بناء الأسرة الفاضلة

عبد الله أحمد



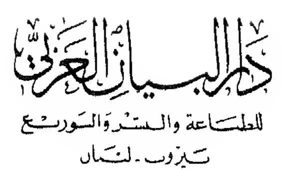
دار البيان العربي

بناء الأسرة الفاضلة

بسم الله الرحمن الرحيم

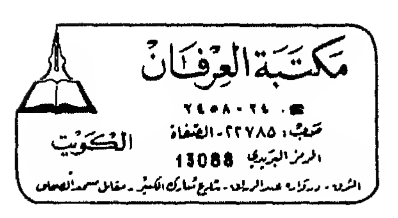
بناء الأسرة الفاضلة

عبد الله أحمد



مكتبة العرفان

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



... يس - بناية بنك الكويت والعالم العربي - تلكس BACHIR LE ٢٢١٧
دار اللسان العربي تلفاكس ٨٦٣٤٦١ - ٣٠٣٢٧٦ - تلفون ٨٢١١٤٢ - ص.ب ٢٥/٩٧

معالم الأسرة الفاضلة

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ﴾[1] .

تلعب الأسرة دوراً خطيراً في واقع الأمة الاسلامية فهي قد تكون كالشجرة الطيبة التي تجسد رسالة السماء وتزرع في افرادها بذور المسؤولية وتدفعهم في مسيرة الاصلاح وبهذا تؤتي اكلها ففي تفسير قوله : **﴿ شجرة طيبة ﴾** ففي الكافي باسناده عن عمرو بن حريث قال : سألت ابا عبدالله (ع) عن قول الله **﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾** . قال : فقال : « رسول الله (ص) اصلها ، وامير المؤمنين فرعها ، والائمة من ذريته اغصانها ، وعلم الائمة ثمرتها ، وشيعتهم المؤمنون ورقها . هل في هذا فضل؟ » .

قال : قلت : لا والله .

قال : « والله ان المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها ، وان المؤمن ليموت

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ .

فتسقط ورقة منها »[١] .

وقد تكون الأسرة كالشجـرة الخبيثة التي تكـون مرتعـا للفساد والـرذيلة ويتخرج منها مختلف أنواع الطغاة والمفسدين في الارض .

ولا عجب في ان تصبح الكثير من الأسر مؤسسات للفساد السياسي في المجتمعات الاسلامية بعد ذلك .

فكما ينقل لنا التاريخ الأمثلة المتعددة من الطغاة فـإنه ينقـل لنا أيضاً الطغيان والاستكبار على مستوى الأسر والعشائر ، حيث اصبحت العجلة التي تسيّر الفساد في الأمة .

ان الشجرة الخبيثة والشجرة الملعونة التي جاء ذكرها في القرآن انما هي تشير الى احدى العشائر او السلالة التي تحولت الى معول هدم في حياة الأمة الاسلامية وهم بنو امية .

ففي تفسير الآية ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن** ﴾[٢] رأى رسول الله (ص) بني فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات[٣] .

ولم يكن بنو العباس احسن حالا من بني امية في الفساد والطغيان .

فهذا هارون العباسي يهدد ابنه المأمون بقطع رأسه ان نازعه في الملك ، وذاك المأمون يقطع رأس اخيه الأمين ويعلقه على القصر وتأتي الناس لتبايعه .

وهكذا تتحول هذه الأسر الى أدوات للارهاب والقمع في الأمة .

---

(١) الكافي : ج١ ص٤٢٨ باب فيه نكت . من التنزيل . ح٨
(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٦٠ .
(٣) مجمع البيان . المجلد ٤ ح١٥ ص٦٦ .

وفي تاريخنا القريب وبعد سقوط الدولة العثمانية جاءت أسرة اتاتورك لكي تعلن طلاقها للاسلام ، وتحوّل مجرى الحياة في تركيا بعيداً عن الممارسة الاسلامية فيغدو الحجاب مخالفة للقانون ويُمنع تدريس اللغة العربية ويفرض السفور على النساء المؤمنات .

وفي مصر تحت الحكم الملكي كانت اسرة الخديوي تنخر في جسد الشعب المسلم بالفساد السياسي والاجتماعي .

وفي ايران جاءت اسرة بهلوي لتكرّس واقع الفساد والرذيلة ضمن دور البغاء وشرب الخمور ومحاربة العلماء .

وهكذا اصبحت الأسر مؤسسات للطغيان وبملخص القول (شجرة خبيثة ملعونة) واذا كانت بعض الأسر قد خرّجت الطغاة وتحولت الى مؤسسات طغيان فان معظم الأسر المسلمة أصبحت تخرج الجيل المنهزم المستسلم لواقع الطغيان وتخرّج الجيل المائع الذي يكون فريسة شبكات الفساد من فجور وخمور ومخدرات وجنس .

ان هذا المنعطف الخطير في حياة الأسرة المسلمة وابتعادها على القيام بدورها يرتب على الفرد منا مسؤولية كبرى نحو اصلاح تلك الأسر .

ففي سورة الشعراء يخاطب الله رسوله فيقول : ﴿ **وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ، ذكرى وما كنا ظالمين ، وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، انهم عن السمع لمعزولون ، فلا تدع مع الله إلّهاً آخر فتكون من المعذبين ، وانذر عشيرتك الأقربين** ﴾[1] .

فكانت اول مسؤولية للرسول (ص) تجاه الرسالة ان يقوم بانذار عشيرته .

(١) سورة الشعراء ، الآية من ٢٠٨ إلى ٢١٤ .

ففي التفسير ان عشيرة الرجل هم قرابته وسموا بذلك لأنه يعاشرهم وهم يعاشرونه .

وبعد ان نزلت هـذه الآية بمكـة جمع الـرسول (ص) بني هـاشم وهم اربعون رجلا وعمل على انذارهم[1] في قصة مفصلة .

---

(١) تفسير القمي · ج٢ ص١٢٤ .

الأسرة .. مشكلة

﴿ الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾[1]

المشكاة هي الحفرة في الجدار التي تساعد على تركيز الضوء حيث يوضع المصباح فيها ولو تصورنا ان هذا المصباح الموضوع في المشكاة ، في وسط الزجاجة تعمل على عدم تشتت الضوء والزجاجة كأنها كوكب دري الذي يشبه الدر في اندفاع ونقاء ضوئه ، والزيت الذي يشعل نور المصباح هو زيت الزيتون لا شك ان النور الذي سوف يخرج سيكون على درجة كبيرة من الاضاءة هكذا يشبّه الله نوره في السموات .

ان نور الله هذا ينزل على قلب كل انسان ولكن كيف يمكن ان نستفيد من هذا النور ونجعله مضاعفا .

لا بد ان يوضع في مشكاة ومصباح عبر زجاجة اي نحافظ عليه بشتّى

---

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

الوسائل الممكنة .

وما المصباح الذي يحوي النور الا عقل الانسان .

وما الزجاجة التي تمنع تسرب النور الا الأحاسيس الانسانية كالعين والأذن التي تكشف نور المصباح .

ولكن اين تلك المشكاة التي تعمل على تركيز ذلك النور وتوجيهه .

هنا يطلق القرآن أدق تسمية ويسطّر افضل مفهوم للأسرة حين يقرر أن الأسرة هي مشكاة لنور الهداية والرسالة ، لتربية النفس البشرية بأفضل ما يمكن وتنميتها ، وذلك لتتضاعف ثمارها .

اما اذا وضع النور في رياح الشهوة فسوف يقل اشعاعه ، لذلك لا بد من وضعه في مشكاة الأسرة الفاضلة .

لأن الايمان فيها ينمو نمواً طبيعياً معتدلاً ومن دون اسرة فاضلة ومع تراكم العقد والاحباطات النفسية فإنه من الصعب ان تنمو روح الايمان في الانسان واليكم هذه الحادثة :

صادق شاب مؤمن ، ذو اخلاق حسنة ، تربى في جو أسري منعم بالحب والحنان ، ولأبوين مؤمنين ، وعلى درجة كبيرة من الثقافة والايمان ، أنهى دراسته الثانوية وقرر السفر لاكمال دراسته في احدى الدول العربية ، ان اول ما واجهه صادق هو قلة الأصدقاء ولكنه عوض ذلك بتوجهه للتحصيل الدراسي ، لقد طرح استاذ مادة الفلسفة الكثير من الآراء والأفكار التي لم يتعود صادق على سماعها .

تأثر صادق في بادىء الأمر بأستاذه ولكن روحه ووجدانه الداخلي كانا يرفضان تلك الأفكار مع ادلتها ، وهكذا ظل صامداً امام تلك التيارات الالحادية

مع قلة وجود الأصدقاء المؤمنين ولكنه كيف استطاع ذلك . .

انه كان يتذكر في خضم الجو الكثير من اجابات والديه وهو في صغره عندما كان يسأل عن الله والحياة والكون . . لقد كانت تلك الاجابات البسيطة الصادرة بدقة من الوالدين متراساً يحمي صادق من التيارات الفكرية العاصفة لقد هدمت تلك القاعدة كل تلك الأفكار التي كانت صادرة من استاذ الفلسفة وفي ذلك يقول (ريموندبيج) : « ان اول صورة يرسمها الطفل في ذهنه عن الله تنبع من علاقته مع والديه ، وكذلك اول فكرة ترتسم في مخيلته عن الطاعة والسماح والاستقامة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسلوك الأسرة . . ولا يملك الوالدين الفرصة المناسبة لتربية نفس الطفل وتنقية افكاره بل عليهما ان يعرّفا الله لأطفالهما باحسن صورة وقوة ، وبكل ارادة ومتابعة ، وهما في هذا يستطيعان ان يستعينا بمصدرين فيّاضين ، اولهما الدين والثاني الطبيعة » .

كما ان (صادق) كثيراً ما كان يتذكر تلك القصص التي كانت ترويها لها امه وهو على فراشه قبل النوم عن الأنبياء والرسل ومحمد النبي (ص) والأئمة الأطهار والعلماء الصالحين فكانت تلك القصص هي السور الثاني المنيع الذي حصل عليه صادق من أسرته وكانت له نعم العون .

مفهوم الأسرة

الأسرة سور

كما ان لكل حديقة سور يحميها من أيدي العابثين ويزينها ، وكما ان لكل تجمع عسكري حصن يحميه ويصد الهجمات عنه ويضفي عليه المزيد من الهيبة ، كذلك فان كل مجموعة من الناس تحتاج الى سور واطار يحتويهم ويدرأ عنهم الأخطار ، وذلك السور انما هو الأسرة ، هذا هو الوصف الآخر الذي يمكن ان نطلقه على الأسرة .

هل يمكن ان نتصور المجتمع من دون هذا السور؟ وما الذي سيحدث آنذاك؟ تأملوا هذه الصورة لأن فيها تكمن الاجابة . .

تحت عنوان (نادي تبادل الزوجات يفجع اميركا) كتبت مجلة News of the world ان نادي (دع الزوجات يتبادلن) الذي اكتشفته الشرطة في ماكرا عاصمة كاليفورنيا افجع اميركا ولكن لم يزل ذلك في طور النمو المتزايد ، وعضويته في الوقت الحاضر تضم ثماني واربعين زيجة يقيم لك واحد في صحبة الآخر ورفقته ، وتضيف المجلة نقلا عن مندوبها الخاص فتقول :

« لقد تكلمت مع احد اعضاء النادي هذا ، وقد رغب في ان يظل اسمه سراً ، ومع انه اقر نشاط النادي ليس بأمر غير قانوني فقد قال : لا تفهمنا خطأ نحن لا نتعاطى السكر والعربدة ، ولا نمضي ليال حمراء وحشية ، ولا نأخذ الحبوب المخدرة كما هو الطريق المتبع في روما ، وانما فقط نتبادل الزوجات بين فترة واخرى .

فانا وزوجتي بعد عامين من زواجنا كان يمل احدنا الاخر ، وكنا كذلك مع الذين لم تكن لهم متعة وراء اللعب بالورق والحديث عن اولادهم ، وعندما اطّلعنا على الاعلان الخاص جلب اهتمامي ما جاء في الاعلان من (المتزوجين من الشباب العصريين) واتصلنا بالنادي صاحب الاعلان فتلقينا دعوة منه لحضور حفلة ، توفرت فيها وسائل الترفيه ، وقيل لنا انه من الضروري بالنسبة لاعضاء النادي الجدد ان يضعوا على وجوههم اقنعة سوداء ، وذلك فقط للمزح والضحك وضمنا اصحاب النادي الى ٢٠ مجموعة من الأزواج والجميع يرتدون الأقنعة السوداء ، وابتدأنا نلعب ، وفي لمحة خاطفة كنا جميعا قدتعرينا بحيث اصبحنا عراة ، ولم ننزعج من هذا العرى الكامل اطلاقاً ، ولذلك فقد طرحنا الأقنعة السوداء من وجوهنا بلا اي خجل او شعور بالعيب ، واضاف يقول : وانا اتذكر ليلة السبت المولي التي قضيتها في النادي حيث امضيت الليلة مع صاحبة شعر احمر ، وفي صباح اليوم التالي تيقظ الأزواج من نومهم وصنعوا القهوة ، وحملناها للزوجات ، وتناقشنا في مغامراتنا ، ولا اظن ان واحد منا تملكه الغيرة وهو يرى زوجته تقوم الى الفطور وهي تحتضن رجل آخر . .

هكذا يكون المجتمع حينما يفقد سور الأسرة الفاضلة ، يصبح كوكتيلاً من الجنس .

لذلك جعل الإسلام للأسرة قيمة اجتماعية مفروضة ، وشرع القوانين التي تضبط هذه الأسرة ، وانزل أشد العقوبات على من يعتدي عليها .

فحذر من الاعتداء الجنسي على الأسرة وهو الزنى .

﴿ الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾(١) .

وقد ابتدأ القرآن في سورة النور بذكر الزنى اي الاعتداء على الأسرة قبل ان يتكلم على الزواج في الأسرة .

وذلك لكي يقر حقيقة وهي ان الأسرة التي لا يتوافر لها الحماية وبدون قانون يحميها فان مصيرها هو الانهيار .

وحذر الإسلام كذلك من الاعتداء اللفظي على الأسرة الذي يتمثل في القاء التهم على العفيفات ، وجعل عقوبتهم الجلد والاسقاط الاجتماعي بعدم قبول شهادتهم ونبذهم من المجتمع .

﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ﴾(٢) .

وعندما تخرج التهمة من داخل السور (الأسرة) فان القرآن يفتح باب الملاعنة كآخر سبيل لحماية الأسرة .

وقد يكون خارجاً عن اطار الأسرة وهنا لا بد من فضح الفئة التي وراء التهمة او ما يسميهم القرآن بالعصبة **﴿ ان الذين جاءوا بالافك عصبة ﴾**(٣) فهنا يحذر القرآن بالابتعاد عن خطوات الشيطان في بث الاشاعات التي تستهدف وحدة المجتمع فالأسرة التي تلوكها الألسن لا تستطيع ان تقوم بدورها الرسالي

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٤ .

(٣) سورة النور ، الآية ١١

في المجتمع .

ولحماية الأسرة المسلمة لا يكفي ان تتحصن من الاعتداء الجنسي او اللفظي بل لا بد من حماية البيت من الدخول اليه بأي شكل من الاشكال لأنه حرم الانسان « بيتك حرمك فمن اعتدى عليك في حرمك يجوز لك قتله »[1] .

ولا تتحقق الحماية الحقيقية للأسرة الاّ بتطهير المجتمع من مثيرات الشهوة ، ولأن لكل مقام عمل ووظيفة فان البيت هو مقام استخدام الشهوة الحلال ، اما اثارتها في المجتمع فإن ذلك سوف يسبب انحرافاً كبيراً في مسيرة المجتمع ولذلك كان الأمر بغض البصر للمؤمنين والمؤمنات وكان تشريع الحجاب ليكون واقياً فالحجاب ليس هدفاً بذاته بل وسيلة لابعاد المثيرات الجنسية في الحياة العامة .

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن ﴾[2] .

ان كل هذه الحرمات والسدود التي يضعها الله عزّ وجلّ لحماية الأسرة تبين كيف ان الأسرة انما هي سور وحصن الانسان المنيع ضد أي اعتداء .

ان الفهم الأصيل للأسرة هو الذي يجعلها تقوم بدورها في بناء الشخصية الاسلامية وذلك مس خلال بناء ركائز تلك الشخصية وهي (النفس ، التفكير ، الفكر ، العلاقات ، القدرات ، الحكمة) .

---

(١) كنز العمال : ج٩ ص١١٢ ح٢٥٢٣٦ وفيه «دارك حرمك فمن دخل عليك دارك فاقتله»

(٢) سورة النور ، الآية : ٣١ .

الأسرة وبناء الشخصية

(١) الأسرة وبناء النفس والعاطفة

« ونحن لو عدنا الى مجتمعنا الذي نعيش فيه وزرنا السجون ودور البغاء ومستشفيات الأمراض العقلية ، ثم دخلنا المدارس واحصينا الراسبين من الطلاب والمشاكسين منهم والمتطرفين في السياسة والذاهبين بها الى أبعد الحدود ، ثم درسنا من نعرفهم من هؤلاء جميعاً لوجدنا ان معظمهم حرموا من الاستقرار العائلي ، ولم يجد معظمهم بيتاً هادئاً فيه أب يحنو عليهم ، وام تدرك معنى الشفقة فلا تفرط في الدلال ولا تفرط في القسوة ، وفساد البيت أوجد هذه الحالة من الفوضى الاجتماعية وأوجد هذا الجيل الحائر الذي لا يعرف هدفاً ولا يعرف له مستقراً »[١] .

ان انحراف الأفراد وجنوحهم ، واهتزاز وعدم استقرار شخصياتهم . انما يعود الى تلك التربية النفسية في البيت ، فان احترام الفرد في الأسرة والتعامل معه كوحدة انسانية لها مشاعرها الخاصة ينشىء تلك الشخصية القوية ، والتي

(١) البيت والمدرسة .

تستطيع ان تواجه كافة ضغوط الحياة ، ومنها التغلب على تلك العقد النفسية كعقدة الحقارة والخوف والانهزامية والسلبية ، او بتعبير أدق عدم التأثر بمثل تلك العقد بأي شكل من الأشكال ، ولذلك كان احياء شخصية الطفل واحترامه والامتناع عن تحقيره واهانته هو الطريق لبناء نفسية الفرد القوية والى ذلك يشير الرسول (ص) « اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم »[1] .

فعدم استقامة العائلة عبارة عن عدم سلامة وأمن البيت الذي يربى فيه الأولاد اما بالكبت ، او بالتنازع ، او بالمزيد من العطف ، فان كل ذلك يوجب عدم استقامة النفس مما ينتهي بالآخر الى الانحرافات الروحية ، قالوا : ولذا نجد كثرة الانحرافات النفسية عند الايرلنديين لقسوة الأمهات في تربية اولادهم ، وعند اليهود لتكثير الأمهات من العطف ، واللطف بأولادهم ، وعند الايطاليين لتشديد الآباء على الأولاد ، وعند جماعة من الأميركيين لكثرة المنازعات بين الأخوة والأخوات .

وفي كثير من البلاد الغربية يقع الأولاد أوائل بلوغهم بين تناقض متطلبات العائلة منهم ، مثلا : من ناحية يريد الأبوان من البالغين الاستقلال في ادارة امورهم الاقتصادية وغيرها ، بل وحتى الجنسية ومن ناحية اخرى يربطون الأولاد بالبيت وبالطاعة للأبوين ، ومن الطبيعي ان يقع التناقض بين الاستقلال واللاإستقلال .

وكذلك الحال يكون مع الأولاد الذين يريد الآباء منهم الطاعة ، ولا يقومون بكل حوائجهم ولو عدم تزويجهم ، وبذلك يحدث الانفصام والعقد النفسية ، فاللازم اما اعطاء الحاجة ـ ولو النواقص منها ـ في قبال الطاعة واما ترك الأولاد ليقوموا بحوائج انفسهم باستقلال من غير تطلب الطاعة منهم .

---

(١) الوسائل · ج١٥ ص١٩٥ الباب ٨٣ من ابواب احكام الاولاد ح٩ .

فالطاعة لا تكون الاّ في قبال الحاجة ، فاذا اختل الميزان اختلت الصحة النفسية بما اوجب الانحراف ، وهذه هي حالة الحكومات في قبال الشعوب ، فاللازم اما اعطاء حاجاتهم في قبال تطلب الطاعة منهم ، واما تركهم وشأنهم لتحصيل حاجاتهم بأنفسهم بدون تطلب الطاعة ، وانما يكون شأن الحكومة حينئذ المراقب لئلا يطغى بعضهم على بعض .

وفي بعض الأمم يتجلى التضاد في العائلة بمظاهر اخرى ، مثلاً : الأب يريد المجازات للمسيء من الأولاد ، لكن الأم تمنع ذلك ، فيقع الطفل بين هذين النقيضين ، او يرد ألاب انهاء الدراسة للأولاد ليساعدوه في عمله ومزرعته ، وتريد الأم عكس ذلك ، أو تريد الأم زواج البنت ، ويريد الأب عدم زواجها لأجل خدمة البيت ، او غير ذلك ، لون آخر من ألوان التضاد ، تسيُّب الأولاد في الدار ، وارادة الانضباط منهم لدى الذهاب الى السفر ، او الى الضيافة او عند حلول الضيف لديهم .

والحاصل : انه كلما يوجب الازدواجية يوجب انفصام الشخصية مما ينجز بالآخرة الى الأمراض والعقد النفسية . . وحيث ان النفس والجسم يتبادلان المرض ، ولذا قيل : (العقل السليم في الجسم السليم) فاذا مرضت النفس وتعقدت اوجبت بالاضافة الى انحراف خط سير الحياة للمريض ولمن يرتبط به ، تأثير المرض النفسي الى جسمه .

ولذا اعتاد علماء الطب (النفسي والجسمي) فحص صور المرض الجسمي في النفس ، فان لم يوجد هناك مرض ، استوجده في الأعضاء ، والأجهزة البدنية[1] .

وعلى الوالدين ان يسعيا للنفوذ الى اعماق قلب طفلهما حتى يرى المائل

---

(١) الفقه الاجتماع . . الامام الشيرازي .

بالشكل الذي يريانه ، قد يسمع الأطفال ان حديثا يدور حولهم وان الحديث يتناول ذكرهم ومعايبهم وتأويل سذاجتهم الى شيء من البلادة والحمق . . عند ذلك يدركون ان الكبار يحقرونهم ويوجهون اللوم والتقريع نحوهم دون ان يفهموا روحياتهم في حين ان هؤلاء الأطفال الأبرياء لا يعلمون السبب في توبيخهم وتأنيبهم . . .

ولذلك يقول الامام الحسن العسكري (ع) : « جرأة الولد على والده في صغره تدعو الى العقوق في كبره »[1] .

ان عدم احترام الفرد وتحقيره في اسرته تولد ذلك النوع من الأفراد المليئين بالرواسب والعقد النفسية .

خرج المأمون العباسي للصيد يوما فمر اثناء الطريق برهط من الأطفال يلعبون ، ومحمد بن علي واقف معهم لم يتجاوز عمره آنذاك احدى عشر سنة ، فلما رآه الأطفال فرّوا بينما وقف الامام الجواد (ع) في مكانه ولم يفر ، هذا الامر أثار تعجب المأمون فسأله :

لماذا لم تلحق بالأطفال حين هربوا؟

فقال له : « يا امير المؤمنين لم يكن الطريق ضيق لأوسعه عليك بذهابي ولم يكن لي جريمة فأخشاها ، وظني بك حسن ، انك لا تضر من لا ذنب له فوقفت » .

لقد تعجب المأمون من هذه الكلمات الحكيمة والمنطق الموزون والنبرات المتزنة للطفل . فسأله : ما اسمك؟

قال : « محمد » .

---

(١) تحف العقول : ص٣٦٣ .

قال : محمد ابن من ؟

قال : « ابن علي الرضا » . . عند ذلك ترحم المأمون على الامام الرضا (ع) ثم ذهب لشأنه(١) .

ان شخصية الامام الجواد (ع) تدل على تلك التربية التي تلقاها في حجر والده الامام الرضا (ع) ، وتلك النفسية العالية ، فلا الخوف من السلطان وجنوده او التحدث مع الكبار بتلك الصورة لتهز من كيانه وثقته بنفسه ، وليس غريبا الأثر الكبير للأسرة في الجانب النفسي والعاطفي والروحي على افرادها ، ومحاولة الدقة في التعامل مع افراد الأسرة في محاولة لتجنب الوقوع في اوحال الأمراض النفسية العديدة ، ولذلك فالاهتمام بكل امر له تأثير على هذا الجانب وحتى وان كان هذا التأثير في الطعام والمأكول فكثير من الأطعمة لها تأثير مباشراً او غير مباشر في نفسية وروحية افراد الأسرة (وليس هناك شك في ان الشعور يتأثر بكمية الطعام وصنفه)(٢) .

وفي حديث عن الامام الرضا (ع) : « ان الله تبارك وتعالى لم يبح اكلاً ولا شرباً الا لما فيه من المنفعة والصلاح ولم يحرم الا ما فيه الضرر والتلف والفساد »(٣) .

وعندما سأل ابن عبدالله في قوله ﴿ **فلينظر الانسان الى طعامه** ﴾(٤) .

قال : « علمه الذي يأخذه عمن يأخذه »(٥) .

---

(١) بحار الأنوار : ج٥٠ ص٩١ ح٦ .
(٢) الإنسان ذلك المجهول : ص٢٣٢
(٣) بحار الأنوار : ج٦٢ ص١٦٦ .
(٤) سورة عبس ، الآية : ٢٤ .
(٥) الكافي ج١ ص٥٠ باب في النوادر ح٨ .

ان الاهتمام بالطعام المعنوي لا يقل اهمية عن الطعام المادي ، فتلك الجرعات من العواطف والألفاظ التي لها تأثيراً كبيراً على نفسية الأفراد في الأسرة لا بد من مراعاتها كمراعاة الطعام المأكول وفي ذلك يقول الامام الحسن (ع) :

« عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله ، فيجنب بطنه ما يؤذيه ويردع صدره ما يرديه »(١) .

وكذلك كان الاسلام يركز الاهتمام باليتيم في محاولة تعويض هذا الفرد شيئا ما من الحنان الأبوي الذي فقده لذا يقول الرسول الأعظم (ص) :

« خير بيوتكم بيت فيه يتيم تحسن اليه وشر بيوتكم بيت يساء اليه »(٢) .

« ومن عال يتيماً حتى يستغني اوجب الله بذلك الجنة »(٣) .

« وانه جيء بمقدار من العسل الى بيت المال فأمر الامام علي (ع) بأحضار الأيتام ، ففي حين انه كان يقسم العسل على المستحقين كان بنفسه يطعم الأيتام من العسل . فقيل له يا امير المؤمنين ما لهم يلعقونها ، فقال : ان الامام ابو اليتامى وانما العقتهم هذا برعاية الآباء »(٤) .

فحرمان الفرد من الحنان والحب والعطف الأبوي له تأثير كبير في بناء ومسيرة الشخصية الانسانية (ان حرمان الطفل من أبيه ـ وقتياً كان أم دائمياً ـ يثير فيه كآبة وقلقاً مقرونين بشعور الاثم والضغينة ومزاجاً عاتياً منفرداً وخواراً في

---

(١) سفينة البحار : ج٢ ص٨٤ . في مادة (طعم) .
(٢) مستدرك الوسائل : ج١ ص١٤٨ الباب ٧٨ من ابواب ما يتعلق بأبواب الدفن .
(٣) الكافي : ج٧ ص٥١ باب صدقات البني . . ح٧ .
(٤) بحار الأنوار : ج٩ ص٥٣٦ .

النفس وفقداناً لحس العطف العائلي)[1] .

ولذلك كان على الأسرة ان تهتم بجميع الميول الداخلية والمثل الانسانية للفرد وتعمل على ارضاء كل منها في مورده ، وبالمقدار المناسب له . وبذلك يكتسب الفرد شخصية متكاملة متزنه .

(١) أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث الذين هم دون الثالثة عشر ص٣٧ .

(٢) الأسرة وبناء التفكير

ان بناء الشخصية مرتبط ببناء التفكير ، وبناء التفكير مرتبط ببناء الفرد في الأسرة ، ان كثير من الأسر تنمي في افرادها روح التفكير الابتكاري فينشأ الفرد وقد أخذ دروسا عملية كثيرة في عملية التفكير ، ولذلك نجد ان كثير من العلماء والمفكرين قد كونوا بؤراً مفكرة في المجتمع ، فتجد ان الأسرة كلها قد تحولت الى عناصر تفجر الابداع في جوانب عديدة ، فهذا الابن الأكبر اصبح عالماً مفكراً وذلك الثاني اصبح كاتباً بارعاً ، والثالث تحول الى مخترع ومبتكر في احدى مجالات العطاء والابتكار .

ان عدداً كبيراً من اعلام الأدب والعلم والشعر عبر التاريخ قد تمت رعايتهم في اسرتهم ، ولولا تربية امهاتهم لهم لما احتل هؤلاء مكانتهم بين الاعلام المبدعين .

ثم ان للأسرة دوراً واضحاً في تفكير الطفل الابتكاري من خلال سلوكه في اللعب ، ومدى افساح الأسرة لهذا الطفل في تنمية تفكيره الابتكاري ، فالركض والجري واللعب بالعصي وغيرها والتي تبدو للناظر انها تافهة وعابثة هي اساس تكامل جسد الطفل وروحه (ان اللعب يبعث القوة في عضلات الطفل

والمتانة في عظامه كما انه ينمي فيه القدرة على الابتكار ويخرج قابلياته الكامنة الى حيز الفعل)[1] .

ولذلك اشـار الامام الصـادق (ع) : « الغلام يلعب سبـع سنين ويتعلم الكتاب سبع سنين ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين »[2] .

وعنه ايضا (ع) : « دع ابنك يلعب سبع سنين »[3] .

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية عن مجلة العربي العدد٩٥/ ص٥٩ .
(٢) الوسائل : ج١٥ ص١٩٤ الباب ٨٣ من ابواب احكام الأولاد ح١
(٣) الوسائل : ج١٥ ص١٩٣ الباب ٨٢ من ابواب أحكام الأولاد ح١

(٣) الأسرة وبناء الفكر

ان وجود مكتبة .. وصحف .. ومجلات ونشرات مختلفة في البيت تساهم بشكل واضح في بناء المادة الفكرية للأبناء .. ولذلك فكثير من الأسر التي لا توفر اجواء المطالعة والمكتبة يعاني ابناؤها من الفقر الفكري ، ولذلك فان بيوت العلماء والمفكرين تخرج علماء ومفكرين ، في حين بيوت الصناع تخرج الصناع ، فالجو العام في البيت له تأثيره الكبير في بناء الفكر المطلوب للأبناء بشكل متكامل .

فبيوت اليابانيين يتكون بالاضافة الى لوازم المطبخ وغرف النوم والأكل من مكتبة ثابتة وعدة رفوف من الكتب في ارجاء مختلفة من البيت يصل في كثير من الأحيان الى مكتبة ثابتة في كل (حمام) .

ثم لا يكفي ان تكون الأجواء في البيت تدعو الى استلهام الفكر وبنائه ، بل لا بد أن يسود هذه الاسرة ذلك النوع من الحوار الهادىء الهادف في مناقشة كثير من الأمور الفكرية الحساسة والتي تدعم وترسخ عن طريق الحوار الهادف بين الأبناء من جهة والآباء من جهة اخرى ، وهذا ما نلاحظه في كثير من الأسر التي تدعم بالحوار لتجد ان الأبناء يتمتعون بنضوج فكري في كثير من الأحيان ،

ولا يخفى أهمية الحوار في بناء الفكر وترسيخ وتثبيت الكثير من العطاءات الفكرية الهامة في الأبناء . .

وهكذا فان الأسرة لها تأثير كبير في بناء الفكر في ابنائها بل ان للوالدين اثراً فكرياً على الفرد قد يستمر حتى بعد استقلاله التام ، ويعود ذلك الى عدة اسباب :

(١) صعوبة اقتلاع الأفكار بعد رسوخها ايام الصبا ، ويبدو ان رسوخ الأفكار يتطاول في بعض الأحيان على التغيير ، الا ان ذلك تطاول ناشيء من غفلة الشخص ، واستهانة بإعادة النظر في سابقياته التي اكتسبها ايام الطفولة ، مما يدل على ان استمرار الوالدين ليس حتميا ، بالاضافة الى انه يذهب فريق من علماء النفس الى ان الانسان لا يمر عليه وقت الاّ وكان يرتاب من سابقياته ، كالأيام الأولى من الشباب حيث تعصف به مشاعر استقلالية عنيفة تدعوه الى التجرد من افكاره السابقة .

(٢) ان احترام الانسان لوالديه يستمر بعد أيام الطفولة ، ويكون هو السبب في نشوء حسن التقليد لديه ، ويكون هو ايضا السبب في استمراره بالرغم من ان احترام احد لا يفرض عليه اتباعه فرضاً حتمياً .

ان التخلص من افكار احد يستتبع ـ بالطبع ـ تخطئة هذا الشخص ، وحب الآباء لا يدع الفرد يخطّيء والديه ، فالحب هذا مصدر استمرار اتباع الوالدين والملاحظة ، ان السبب لا يوجب حتمية الاتباع إذ انها جميعاً ناشئات العواطف والغفلة والاحترام مما لا يذهب بقدرة الانسان على التفكير الحر .

﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠٤ .

ان كلمة حسبنا في هذه الآية ذات دلالة بليغة على ان سبب اعتماد الناس على آبـائهم هو الاتبـاع الثقافي ، اذ ان افكـار الآبـاء تجعلهم مكتفين ـ في زعمهم ـ عن اتعاب البحث[1] .

فاذا كان الفكر والثقافة التي تغذي الأسـرة ابنائهـا ثقافـة رساليـة ، فان رسوخها بالاضافة الى رساليتها يكون اثر الوالدين واضحا في تثبيتها .

كان الامام علي (ع) يلقي خطبة الجمعة في المسجد في المسلمين ، وعنـد عودتـه الى المنزل يجـد ان الحسن والحسين (ع) يحفظان الخـطبة ، ويقومان بنقل الخطبة الى والدتهما فاطمة (ع) ، فأراد الامام معرفة الطريقة التي استـطاع بهـا الحسنـان (ع) التـوصـل لـذلـك ، فكـانت النتيجـة أن الحسن والحسين (ع) كانا يذهبا الى المسجد ، ويعودان قبل مجيء الامام علي (ع) ويرويان الخطبة لأمهما فاطمة الزهراء (ع) .

---

(١) المنطق الاسلامي للعلامة السيد تقي المدرسي ص٢١٥ ـ ٢١٦ .

(٤) الأسرة وبناء القدرات

نشرت الصحف الكويتية خبر مفاده ان طفلاً لم يبلغ العاشرة من عمره يحفظ كمية هائلة من الشعر يمثل عدة دواوين ، لا بد انّه ابن لأديب او شاعر يميل وراثياً الى الحفظ . . ولكن الخبر يقول ان قصة هذا الطفل بدأت عندما بدأ بحفظ بعض القصائد للمتنبي ، فكان ان لفت اهتمام ابيه ، فاتفق معه بأن يحفظ كل يوم قصيدة من قصائد المتنبي على ان يأخذ تشجيعاً له خمسة دنانير عن كل قصيدة ، فما كان من الطفل الاّ ان بدأ بالحفظ حتى انهى حفظ ديوان المتنبي في فترة قصيرة ، واتّم حفظه لديوان آخر ، وهكذا وبتشجيع الأب للولد استطاع ان ينمي قدرته على الحفظ ، ولكن بعد ان توقفت الخمسة دنانير بعد فترة قصيرة لخلخلة الميزانية ضعف اندفاع الطفل .

ان اهتمام الأب بتنمية قدرة هذا الابن ووضع الحوافز المادية والمعنوية ادت الى تفجير طاقة الفرد وتوجيهها .

فإذا كانت الثقة بالقدرات التي يملكها الفرد أول الطريق في بقاء وتفجير قدرات الفرد فإن وضع الفرد في الأسرة وتعامل الأسرة مع الفرد بصورة طبيعية تدفعه لأن يثق بنفسه في البداية ثم بقدراته ، فكثير من الأسر تنمّي في الفرد

الثقة من خلال التعامل معه كإنسان مسؤول ، في حين ان كثير من الأسر الأخرى تقتل الثقة في نفس الفرد ، فكيف له ان يثق بقدراته .

ثم ان الشعور بالحاجة يفجر القدرة ، والأسرة تقوم بهذا الدور ، وهو ان تشعر الفرد بالمسؤولية ولا بد ان يتحول هذا الشعور بالمسؤولية الى حاجة نفسية وهدف اجتماعي ، وحينما تكون الحاجة النفسية عميقة ، والهدف الاجتماعي واضحاً ، تتحرك الامكانات والقدرات من القدرة الى الفعل[1] .

ان الانضباط ينمي القدرة ، والأسرة مدرسة الانضباط حيث فيها يتعلم الفرد طاعة القيادة (الأب) ، وفيه يقول الله عزّ وجلّ ﴿ **فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما** ﴾[2] ويتعلم الفرد في الأسرة الكثير من ضوابط السلوك ، والتنظيم في الوقت والجهد ، واذا كانت القدرة تنمو كلما ارتفع مستوى الانضباط فان الأسرة المسلمة هي مركز الانضباط الأول .

واذا كانت القدرة تكتمل بفضل التعاون ، فان الفرد في الأسرة المسلمة يمارس التعاون بشكل عملي وقبل خروجه الى الحياة العملية ، فتعاونه مع والديه واخوته وجيرانه كلها تساهم في تعميق هذا المفهوم في ذهنه ، ولذلك فان الفرد يكون انطوائيا وأنانياً بفضل ما كان يمارس بحقه في أسرته .

كما ان القدرة تنمو وتصقل مع التواضع ، فان الفرد يعرف التواضع بشكل واضح في أسرته المسلمة التي تعوده على عدم الترفع على الآخرين ، فاذا كان التواضع يعني احترام اراء الآخرين فأنا مجبول على ذلك من خلال احترامي لوالدي ، واذا كان التواضع يتمثل في استشارة الآخرين فالفرد في الأسرة المسلمة يستشير والده واخوته في كثير من أمور حياته كذهابه في رحلة مع

---

(١) نشرة بناء الشخصية (بناء القدرات) «١٧» ص١٤ ، ١٥ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

اصدقائه مثلا ، واذا كان من التواضع تقبل النقد البنّاء فكثير من تصرفات الفرد تنتقد في الأسرة المسلمة اذا خرجت عن الاطار المرسوم لها .

ان كثيرا من الأسر تساهم في اكتشاف وتفجير طاقات افرادها ، في حين ان هناك أسر اخرى تقتل تلك القدرات ، وتقبرها في مهدها . . وتنتمي الأسرة المسلمة الى النوع الأول وتنبذ النوع الثاني .

(٥) الأسرة وبناء العلاقات

توجه احدهم الى الامام الصادق(ع) شاكياً قائلاً : ان اخوتي وبني عمي قـد ضيقوا علي الـدار والجأوني منهـا الى بيت ، ولو تكلمت اخـذت ما في ايديهم .

فاجابه الصادق (ع) : « اصبر فان الله سيجعل لك فرجاً » .

قال : فانصرفتِ ووقع الوباء سنة احدى وثلاثين ومائة فماتوا والله كلهم فما بقي منهم احد . فقال : فخرجت فلما دخلت عليه .

قال : « ما حال اهل بيتك » .

فقلت : قد ماتوا والله كلهم ما بقي منهم احد .

فقـال (ع) : « هـو بمـا صنعـوا بـك وبعقـوقهم ايـاك وقـطع رحمهم بتروا »[١] .

لقد شدد الإسلام على الأسرة المسلمة وعلاقاتها بالأفراد والأسر الآخرين ولذلك كانت العقوبات والمحن مرتبطة بقطع الـروابط والصلات بين الأفـراد

---

(١) الكافي : ج٢ ص٣٤٦ باب قطيعة الرحم ح٣ .

والأسرة في المجتمع ويشير الى اهمية ذلك امير المؤمنين (ع) : « ان اهل البيت يجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله وان اهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله وهم اتقياء »[1] .

وكان لا بد ان تكون العلاقات بين الأفراد في الأسرة الواحدة على تلك الصورة من القوة والمتانة والترابط .

ان الأسرة في علاقاتها تتجاوز افرادها لتصل الى الجار ، ولتكون العلاقة مع الجار كعلاقة الأسرة بافرادها ، فالرسول الأعظم (ص) كتب بين المهاجرين والأنصار . . ومن لحق بهم من أهل يثرب « ان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه »[2] .

هكذا يركز الإسلام في الأسرة كيفية بناء الفرد لعلاقاته مع اسرته ومع من جاوره من الأفراد والأسر ، ليصل الى اربعين دارا من كل جانب ، وكان هذا جواب الصادق (ع) عندما سئل عن حد الجار .

وما اوضحه الرسول الكريم (ص) : « كل اربعين دار جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله »[3] .

وهكذا يتعلم الفرد في الأسرة كيف ينمي علاقته ، فاذا كان المستلزم الأول في بناء العلاقات مع الآخرين هو الشعور بالمسؤولية فإن الآسرة المسلمة هي التي تربي فيه عملياً ذلك الشعور . واذا كانت الأخلاق من الأمور الهامة في بناء العلاقات فان الأسرة المسلمة تقوم بتعويد الفرد وتعليمه معنى الالتزام ، واحترام الوقت ، وآراء الآخرين ، والعمل الجماعي المنضبط ، والجدية في

---

(١) الكافي : ج٢ ص٣٤٧ باب قطيعة الرحم ح٧ .
(٢) الكافي : ج٢ ص٦٦٦ باب حق الجوار ح٢ .
(٣) الكافي : ج٢ ص٦٦٦ باب حق الجوار ح١ وص٦٦٩ باب حق الجار ح١ .

ذلك ، وممارسته تلك الأمور الأخلاقية وغيرها ممارسة عملية ، فتنمي في الفرد تقبله للآخرين ، وتقبل الأفراد الآخرين له .

يحكي أحد الأخصائيين النفسانيين قصة من واقعه يقول : استرجعت بعض المعلومات في ذهني وتذكرت صديقاً قديماً كان أنجح مني في علاقاته مع الآخرين ، وكان الشيء الذي يميزه عني هو قوة بيانه وطلاقة لسانه ، ولم اكن ادرك حينها لماذا لم اكن طليقاً مثله ، ولكني ادركت الآن السبب ، لقد كان ذلك الصديق يحصل على تلك السمة من أسرته التي كانت تتعامل معه بطريقة تدعوه للانطلاق وحرية الكلام ، في حين أني لا انسى انني انتقدت يوماً احدى المأكولات على المائدة وكانت عبارة عن هدية فما كان من أسرتي الا ان انهالوا عليّ قذفاً وتوبيخاً ، الأمر الذي دعاني أتجرع الصمت في كثير من الأمور التي تحتاج الى حديث ومبادرة او نقد او مجاملة . . ، انها الأسرة تبني في الفرد الشعور والقدرة ببناء العلاقات بدرجات متفاوتة بين فرد وآخر . .

(٦) الأسرة وبناء الحكمة

تساهم الأسرة بشكل مباشر في بناء الاطار السلوكي لابنائها ، فمنذ اليوم الأول لولادة الطفل تبدأ الأسرة في تحديد سلوك هذا الفرد ، ومنذ ذلك اليوم تبدأ الشخصية في البناء ، فالطفل الذي تعود ان اراد شيئا كان عليه بالصراخ والبكاء ، لا شك انها حددت احدى سمات الشخصية وهي الاتكالية واستخدام السلوك الانفعالي في الوصول الى الرغبة والهدف المطلوب .

وهكذا يتعلم الفرد اذا سلك سلوكاً منافياً للأعراف التي حددتها له الأسرة كان العقاب او الزجر ، في حين الحصول على الراحة والموافقة من قبل الأسرة حين السلوك باتجاه امر مستحسن لدى الأسرة .

كـان لقمان الحكيم يـوصي ابنـه على تعلم الحكمـة : « يـا بني تعلم الحكمة فان الحكمة تدل على الدين وتشرف العبد وتقدم الصغير على الكبير وكيف يظن ابن آدم ان يتهيأ له امر دينه ومعيشته بغير حكمة »[١] ولا عجب ان يتخرج الحكماء من بيـوت العلم والحكمة لأنهم تـربّوا على الحكمـة وعلى السلوك العلمي .

---

(١) بحار الأنوار : ج١٣ ص٤٣٢ .

كان ابن احد الحكماء يذهب الى الغـابة متمشياً على أطرافهـا وينشد النشيد تلو الآخر ، وتحت قانون الصدى كان الصوت يرجع مرة اخرى ليسمع الطفل ما أنشده ، وبحكم سنه كان يعتقد ان هناك طفلاً آخر قد سرق نشيده واخذ ينشده ، فقام بشتم ذلك الطفل الموهوم ليسمع الشتيمة ترتد اليه ، فقال له انك طفل بذيء وسمع الردّ ايضا انك طفل بذيء ، ولما عاد للمنزل سرد على والده ما حدث ، وان هناك طفلاً سرق نشيده ، وشتمه ، وقال له : انك طفل بذيء .

فماذا قال الأب لابنه؟ تمعنوا في اجابة الأب لأنها تسطِّـر لنا نهجاً في تربية الأبناء وصقل الحكمة في حياتهم .

قال له الأب : يا بني قل خيراً تسمع خيراً .

وعاد الطفل للغابة ، وأخذ يردد المديح لذلك الطفل الموهوم قائلاً : انك طفل جميل ، فسمع الرد : انك طفل جميل .

وهكذا انغرست هـذه الحكمة في قلب ذلـك الطفـل ليتعلم أن معاملة الآخرين له مرتبطة بمعاملته لهم .

هكذا يكون دور الأسرة في بناء الحكمة في الفرد ، فانها تزوده بالحكمة وتعمل على سلامة أجهزة الحكمة فتقوم بتنمية عقله ، وتوسيع آفاقه ، وتعمل على تطهير قلبه ، فلا تزرع العداوة والحق على الآخرين فتدنس قلب الفرد وتصون لسانه فتجعله ملتزماً بآداب الحديث وتردعه عن الألفاظ البذيئة .

ولأن معظم الأسر لا يسمع افرادها سوى السباب ، وزرع لبذور الأنانية والحقـد على الآخـرين ، فـلا عجب ان يحجـز الفـرد على بنـاء الشخصيـة الحكيمة .

الاستعمار ومحاولات تحطيم الأسرة :

لقد جاء الأمر الالهي الى نبي الله موسى (ع) للاهتمام ببناء الأسرة الفاضلة القوية من اجل بناء المجتمع الذي يعتمد على مبادىء وقيم السماء كمرتكز للحياة فيه .

وان تكون تلك الأسر في بيوت محصنة ، ومجموعة البيوت تكون مجتمعا رساليا مصغرا بعيدا عن مجتمع الفساد ، وان تكون متقابلة فالقيام بأوامر الله واقامة الصلاة . .

﴿ وأوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾[1] .

لقد اهتمت التوارة بشؤون الاسرة ونظمت لبني اسرائيل قواعدها ورسمت لهم قوالب التفكير والعمل بصدد الزواج والعلاقات الزوجية والآثار المترتبة على عقد الزواج كما حددت لهم حالات الطلاق ، ورتبت لهم طبقات المحارم ، وما الى ذلك من المقدمات الاساسية في نظام الاسرة[2] .

ولذلك كان النظام الاسري في مصر القديمة . المجتمع الرسالي الذي بناه موسى (ع) . من اكثر النظم الاجتماعية استقراراً وتماسكا[3] .

وعندما احس فرعون بخطر تلك الاسر « البيوت » التي تشكل المجتمع الرسالي المصغر كان لا بد له ان يزعزع ذلك الكيان المتماسك القوي والذي بدأ يشكل خطراً مباشراً عليه وعلى اصحابه المستكبرين :

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٨٧ .
(٢) دراسات في الاجتماع العائلي د . مصطفى الخشاب : ص١١ .
(٣) دراسات في الاجتماع العائلي د . مصطفى الخشاب : ص٨ .

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتّل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ﴾[1] .

لقد ادرك فرعون خطر الأسرة الرسالية وبالتالي توجه لتحطيم تلك الأسر بالقضاء على ركائزها الرئيسية (الأبناء . . النساء) فالابناء هم جيل الثورة الخطرين والنساء من اللاتي ساهمن في بناء تلك السواعد القائمة ، اما لماذا لم يذكر شيئا عن الرجال (الآباء) وذلك لان فرعون يعلم انه لن يستطيع ان يصل اليهم فهم من الحذرين في تحركهم فلن تصل يده اليهم ليمارس بحقهم الارهاب وكما فعل بالابناء والنساء ، لقد مارس فرعون ذلك ولكن الله ابى النصر الا للمتقين :

﴿ وإذا انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾[2] .

لقد كان البلاء والعذاب يشمل كل اسرة بما فيهم الرجال **﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾** .

ولكن بعد بناء الأسر المؤمنة والمجتمع المصغر فإن الطاغوت ركز في عذابه للابناء والنساء دون الرجال الذين ابتعدوا عن ايدي الطاغوت فلم ينلهم .

ولا زال الاستكبار العالمي واذياله من الطواغيت والشعراء يوجهون سهام حرابهم المسمومة الى الاسرة المسلمة لمعرفتهم بخطر تلك الاسرة في بناء المجتمع الرسالي ومواجهة المستكبرين ولذلك فانهم في سبيل تحطيم الاسرة المسلمة لجأوا الى اساليب عديدة نذكر منها :

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٢٧ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ١٤١ .

١ ـ التوجه المادي :

ان ما يسعى اليه المستكبرون هو تحويل تلك المؤسسة (الاسرة المسلمة) المنتجة والمربية للاجيال المؤمنة من اسرة قائمة على الاسس المعنوية الى اسرة يكون هدفها وتوجهها مادياً بحتاً . . ان الاسرة المسلمة هي الاسرة التي تصطبغ بصبغة الهية تركز على المعنويات لا الماديات .

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾[١] .

فأحد اهداف تكوين الاسرة المسلمة هو الوصول الى حالة الاطمئنان النفسي والسكينة والبعد عن القلق والاضطراب .

وان المودة والرحمة هما من ركائز بقاء تلك الاسر واستمرارها ، ولذلك كان التركيز منذ البدء بالتفكير في بناء الاسرة على ان يكون شريعة الله التي يحدد فيها مع من يتم الاقتران لتكوين الاسرة الفاضلة :

﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعونَ الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾[٢] .

ولا يتم بناء هذه الخلية توجها لشهوة عارمة ، فالحب الشهواني لن يكون عاملاً من عوامل الزوجية السعيدة ، ان الحب الروحي لن يتسنى الا بعد الزواج .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢١

قال الرسول (ص) : « ايها الناس . . اياكم وخضراء الدمن » .

قيل : يا رسول الله وما خضراء الدمن؟

قال : « المرأة الحسناء في منبت السوء »[١] .

هكذا تبدأ مسيرة الاسرة الاهتمام بالقيم المعنوية لا المادية الظاهرة ، ولكن اجهزة الاعلام الاستكباري يصور لنا من خلال الافلام والمسلسلات والقصص المختلفة غير ذلك ، فالاهتمام ينصبّ بشكل مركز لخلق توجه عام لدى الافراد للحب الزائف ومسيرة الحياة حسب هذه النظرة ، وبالتالي خلق قدوات اسرية زائفة لها تأثير كبير على حياة كثير من الأسر المسلمة ، فكثيرا ما تجد ان موقفاً معيناً في فيلم استكباري يؤدي الى انعكاسة بشكل مباشر على الاسرة ، فتلك الاسرة التي تحطمت اركانها لا لشيء سوى لان الزوجة ارادت ان تكون نسخة طبق الاصل عن بطلة الفيلم الذي شاهدته قبل فترة . . وان لكثيرا من القصص الواقعية لتثبت لنا اثر ذلك الابواق الدعائية في مسيرة كثير من الاسر المسلمة .

ان نسبة الزواج بلغت في المجتمع الكويتي (٢٠٣١) في حين بلغت نسبة الطلاق (٩٦٦) في الفترة ما بين شهر مايو الى سبتمبر سنة١٩٨٣ ، ويتبين من الاحصائية ان نسبة الزواج تقل حيث كانت في شهر مايو (٤٥٤) حالة ووصلت الى (٣٣٤) حالة في شهر سبتمبر .

وان نسبة كبيرة من حالات الزواج لا تستمر فيتم الطلاق[٢] .

وان اسباب الطلاق كلها تعود لأمور مادية تافهة ، فالزوج الذي اصبح لا

(١) الكافي : ج٥ ص٣٣٢ باب اختيار الزوجة ح٤ .
(٢) القبس الكويتية ١٩٨٣/١١/١٢ .

يطيق الحياة ليس يفعل ذلك لأجل ان طريقة حياة الزوجة لا تلائمه ، وانما يفعل غالبا لأجل قضية الملح في الطعام ، او كلمة صدرت من الزوجة ، أو رأى في غير المكان الافضل لوضع السرير مخالفا لرأي الزوج ، او تأخير بسيط في اعطاء كوب حليب او ما شابه ذلك ، لأن التوافه تكون وراء كل شقاء يصيب الازواج قالها احد القضاة بعد الفصل في أربعين الف قضية طلاق .

إن التوجه المادي في مسيرة الاسرة هو احد أهداف القوى الاستكبارية لتحطيم الأسرة المسلمة ، وفي مقابل ذلك يُسأل الامام الصادق (ع) مرة : ما حق المرأة على زوجها؟

فأجاب : « يشبعها ، ويكسوها ، واذا جهلت غفر لها »[1] .

قد يتأجل تكوين تلك الأسرة في كثير من المجتمعات لأسباب مادية بحتة كعدم وجود المال لشراء الاثاث وتجهيز البيت ، وان كثيراً من القوانين والعادات والتقاليد الاستعمارية التي تحكم بلادنا هي السبب في قلة الاسر وفي عدم نجاح تلك الاسر للقيام بأدوارها .

نشر الانحلال :

ان نشر الفساد في المجتمع من خلال الاباحية المطلقة للرجل والمرأة في العيش والتحرك حسب الهوى من الخطط الاستعمارية للنيل من الاسرة المسلمة ، ففي الوقت الذي تدعو وتساهم أجهزة الطاغوت في نشر الافكار الداعية للتحلل والسفور والاختلاط الرذيل بكل ما اوتيت من قوة نجد ان القرآن الحكيم يركز على الاحتشام المطلق للمرأة في المجتمع .

ان عزوف كثير من الشباب عن الزواج وتكوين الأسر يرجع الى اهم

---

(١) الكافي : ج٥ ص٥١٠ باب حق المرأة على الزوج ح١

يجدون ما يشبع غريزتهم الجنسية، ومن هنا نفسر تركيز اجهزة الطاغوت في نشر الفساد وانشاء دور للبغاء ففي فترة ما قبل الثورة الاسلامية كانت طهران وحدها تحوي ٤٠ الف دار للبغاء بصورة رسمية ، ومن هنا يأتي تفسير التساهل القانوني من الحكومات المفسدة في شأن المفسدين ، بل ولتجيير بعض القوانين التي تحمي وتشجع هذه الاباحية في الوقت الذي يجد هذا المفسد كل ردع وقوة في قانون الله .

تحريف مسار الاسرة :

لقد حدد الإسلام قيادة هذه المؤسسة للرجل ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** ﴾[1] . ولكن قيادة الرجل لا تخرج اطلاقا عن دائرة المسؤولية الى دائرة التحكم من خلال القسوة في التعامل والتطلع بالغلظة في السلوك والمعاشرة ، وفي الواقع فان قيادة الرجل قضية مفروضة في لا شعور كل من الرجل والمرأة ، فاذا كان الرجل بحكم طبيعته الرجولية هو الذي يكون الحمل ويضع المولود ، وإذا كانت المرأة بحكم طبيعتها الانثوية هي التي تستقبل الحمل وتلد المولود فان الرجل تتكون في لا شعوره النفسي احساس بالايجابية والتفوق ، ومن ثم يولد عنده شعورا بالاستعداد لتحمل اعباء القيادة والعطاء ، بينما يتكون في لا شعور المرأة احساس بالاخذ والتقبل ، وبحكم هذا الشعور يجب على الرجل السعي والعمل من اجل المعيشة لان عطاء الرجل بالقيادة ، بينما عطاء المرأة يكمن في تربية الجيل المؤمن والمساهمة في دفع الامة الاسلامية نحو الحضارة ، وان ما يطرح اليوم من خلال ابواق الاعلام الاستعماري تحت ستار تحرير المرأة وهم يقصدون بذلك خروجها عن اطار الفضيلة ، لهي ضريبة توجه الى الاسرة

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٣٤ .

المسلمة لتحريف مسارها الطبيعي والفطري الذي رسمه الله لها ، وبالتالي فان كثيرا من الزيجات تفشل، وتنطفىء شعلة الاسرة نتيجة لذلك التنازع الحادث في قيادة الاسرة ، هذا بالاضافة الى كثرة الاثار النفسية والتربوية والاجتماعية الناشىء عن هذا الانحراف في مسيرة الاسرة ، فبحوث علم النفس تذكر لنا الاخطار الكبيرة التي تترتب عليها قيادة الام للأسرة دون الرجل . . منها الميل الى الميوعة ، وعدم القدرة على مواجهة صعوبات الحياة ، والتخوف من تكوين الأسر الجديدة .

ان المناداة بتحرر المرأة على حساب بناء الاسرة المسلمة ، وانشغال المرأة عن دورها الرئيسي في تربية الاجيال الرسالية ، لهي مؤامرة تستهدف النيل من قوة توجيه الاسرة المسلمة .

دور الاسرة تجاه المجتمع :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ﴾[١] .

يوجه القرآن الكريم انظارنا الى اصل خلق الانسان من اسرة واحدة (آدم وحواء) ثم نشأ عن ذلك الاصل الاسرة ، فلا بد لنا ان نتراحم ونتواصل من اجل بناء المجتمع الفاضل وليكون دافعنا لذلك هو التقوى .

ان مجتمع الرسول (ص) كان قوياً صامداً في وجه كل الاخطار المحدقة وكل أوجه الصراع التي عاشتها الامة الاسلامية انذاك ، واذا رجعنا قليلا الى الاسرة المسلمة في عهد الرسول الأكرم (ص) نجد انها كانت من اقوى الاسر

---

(١) سورة النساء ، الآية . ١ .

في صمودها وقيامها بدورها الرسالي تجاه ابنائها فها هي اسرة آل ياسر تواجه الموت وليستشهد الابوان ولتكون أولى الشهادات في الإسلام شهادة أسرة آل ياسر . . ولكنها افرزت (عمارا) ، ذلك الذي كان في يوم من الايام معيار الحق والباطل كما حدده الرسول (ص) . . .

وتلك الاسرة التي يقتل فيها كل ابنائها في احد المعارك فتعود الام بجثث ابنائها لتدفنها وهي مستبشرة لا جزعة . . وتلك الاسرة النموذجية اسرة الامام علي (ع) تعيش في اشد الظروف صعوبة حتى تصل إلى الموت ولكنها تبقى الاسرة المعطاءة . . تعطي . . وتؤثر ذلك العطاء على نفسها ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً** ﴾[1] .

وكان نتاج هذه الاسرة . . الحسن . . الحسين . . (عليهم افضل الصلاة والسلام) .

ان أمثال تلك الاسر هي التي كونت ذلك المجتمع القوي الصامد امام كافة متغيرات الحياة .

فالمجتمع الفاضل لا يكون الاّ بوجود الاسرة المسلمة التي تستقي منهلها ومنطلق عملها من الاوامر الربانية بعيدا عن المادة ، ولتكون المعهد الذي يربى فيه الفرد الرسالي ، ولتكون منبت الايمان ، ومزرعة التقوى ، وحقل الاخلاق الفاضلة ، ان الاسرة بالنسبة للمجتمع كمثال المعهد الذي يخرج الافراد المتدربين ، فمثلا معهد اللغة يخرج فئة تجيد فنون اللغة ، وتقوم بتطوير الجانب الثقافي في المجتمع ، ومعهد التربية مثلاً هو الذي يخرج الفئة من الشباب الذين يتحملون مسؤولية تربية وتعليم قطاع كبير من المجتمع .

---

(١) سورة الإنسان ، الآية . ٨ .

ان الأسرة انما هي معهد يخرج الجيل الذي يشحذ ارادته ويقاوم هواه فيقتحم ساحة المعركة دفاعاً عن الوطن ، وهو الجيل الذي يبذل ماله ونفسه وجهده في سبيل خدمة افراد المجتمع وتنمية اقتصادهم .

واذا فشلت الاسرة في تربية أبنائها فانها ستخرج جيلاً يشكل عالة على المجتمع فيأخذ ولا يعطي ، وينسحب منهزماً امام اول اعتداء يقع على وطنه او حقوقه ، اننا يجب ان نتلمس تأثير الاسرة تجاه المجتمع بوضوح عندما ننظر عبر التاريخ الى ما يحدث في المجتمع عندما تنحرف الاسرة .

عندما تفقد الاسرة عنصر التقوى فإنها تهتز وتصاب بالخلل وبالتالي فان المجتمع بكامله سوف ينتقل اليه ذلك الخلل . وهذا ما حدث لمجتمع لوط ، لم يكن للاسرة اي معنى في مجتمع نبي الله لوط (ع) فلا الرجل يقوم بدوره ولا المرأة تقوم بدورها ، فما الذي حدث لهم

﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب ، وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ﴾[1] .

لقد انحرفت الاسرة عن مفهومها فاكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء حتى ان دعوة لوط (ع) بتزويج بناته لم تلق الا صدودا .

لقد كان الانحراف الأسري في أسوأ احواله وأقواها حتى ان امرأة نبي الله لوط (ع) قد اصابها الانحراف فكانت من المنافقين وكان لا بد من فصلها من أسرة الايمان ليصيبها ما اصاب القوم ، وكانت نهاية المجتمع الذي تحطمت فيه الاسرة .

---

(١) سورة هود ، لآية : ٧٧ ـ ٧٨ .

﴿ فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾[1] .

وكمثال اخر على تأثير انحراف الاسرة على المجتمع انه لما ضربت روسيا العائلة ومزقتها ووضعت محلها دور الحضانة والروضات نشأت عندها أزمة نفسية حادة تجلت في سلوك الآباء والامهات والاطفال فقد خرجوا وهم عاجزون عن الابداع والاخلاق ، فضلاً عن المفاسد الاجتماعية التي اجتاحت روسيا جميعاً بسبب هذه الاجراءات . . وعندما ضاقت المرارة عادت الى صوابها فالغت الشيوعية الجنسية واعترفت بالاسرة وتنظيمها[2] .

ابراهيم ، هاجر ، اسماعيل . . رمز الاسرة الفاضلة :

الطاعة :

لقد امتثل ابراهيم لأوامر الله ونقل اسرته (اسماعيل وامه هاجر) الى مكان ليس فيه زرع او نخل او ماء او ناس بعد ان كانوا قرب فلسطين حيث مخيمه ومضيفه وماشيته ، انه امتثالاً لأمر الله عزّ وجلّ ومن اجل ان يرشد الناس ويدعوهم للصلاة .

﴿ ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾[3] .

ان طاعة الأسرة لله تؤهلها لأن تكون اسرة فاضلة . . انها الاسرة التي تصطبغ بصبغة الله ، وتمتثل بأوامره دائماً في كل صغيرة وكبيرة حتى اذا وصل

---

(١) سورة هود ، الآية : ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) ديناميكية المجتمع الاسلامي ـ قاسم الاسدي ص : ٦٣ .

(٣) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٧ .

هذا الامر الى التضحية بالابن بتلك الصورة التي حصلت لاسرة ابراهيم (ع) .

﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، فلما اسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا ابراهيم ، قد صدّقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ﴾(١) .

انها الطاعة المطلقة لامر الله **﴿ افعل ما تؤمر . . ﴾** وما يترتب على ذلك فهو في حساب التعامل مع الله عزّ وجلّ .

العطاء :

ان الاسرة لا بد ان تخرج من ربوعها الفرد الصالح وليمارس دوره الرسالي في المجتمع لذلك دعا ابراهيم ربه لأن يرزقه ولداً . . وليكن هذا الولد صالحاً والا لما قامت اسرة نبي الله ابراهيم (ع) بدورها في بناء حضارة بابل **﴿ رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم ﴾**(٢) .

وحتى يكون هذا الفرد صالحاً لا بد له ان يكون مطيعاً لرب الاسرة ما دام هذا الاب يمثل المبادىء والقيم السماوية ولذلك عندما حاوره أبوه في شأن رؤياه لم يعترض بل اجاب بثقة تامة **﴿ افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾** ما دام الامر الذي تعهده والده امر الهي فلا اشكال في التضحية بالنفس من اجل الله ولبقاء سلطة الاب كما هي دون اي خلل فيها .

انه العطاء الكامل من الاب والابن . . من الاسرة الفاضلة . . في سبيل الله .

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٠٢ ـ ١٠٧ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٠٠ ـ ١٠١ .

الصمود :

قد تبتلى الاسرة باختيار ويعرف منها مدى مقاومتها وقدرتها على الصمود والبقاء امام التيارات الجارفة وكلما كان البلاء كبيراً ويمس كيان الاسرة كلما كانت الحاجة الى قدرة على الصمود اكبر واقوى وهذا ما امتحنت به اسرة ابراهيم (ع) انه كان بلاءً عظيماً ولكن الاسرة الفاضلة لا تزحزحها الرياح ولا تؤثر فيها الفتن بل تزيدها اصالة ومقاومة ورسالية . . ﴿ **ان هذا لهو البلاء المبين** ﴾ ولكن النهاية تكون بمستوى المقاومة وكان ذلك لابراهيم (ع) واسرته ﴿ **وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه في الاخرين ، سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه باسحٰق نبياً من الصالحين** ﴾[1] .

التحصن :

قد تسير الاسرة في ركاب الايمان ، وتصمد امام الكثير من الابتلاءات ، ولكنها لا تستطيع الاستمرار في ذلك فتقع فريسة لبعض الانحرافات التي قد تتسع شيئاً فشيئاً حتى تصل الى أعلى مراتبها وهو الشرك بالله عزّ وجلّ ، ولذلك حصن ابراهيم (ع) نفسه واسرته من الوقوع في تلك المزالق ونراه في ذلك يتوجه في كثير من الأوقات الى الدعاء الى الله ليأمن هو واسرته ذلك الانحراف . ﴿ **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني ان نعبد الاصنام** ﴾[2] . لقد استجاب الله دعاء عبده ابراهيم (ع) لانه كان كثير الدعاء ولانه كان صادقاً في دعائه وليس مرائياً فيه ﴿ **ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ، الحمد الله الذي وهب**

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٠٧ ـ ١١٢ .

(٢) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٥ .

لي على الكبر اسماعيل واسحٰق ان ربي لسميع الدعاء ﴾[1] .

انها الاسرة الفاضلة . . تطيع . . تعطي . . تصمد . . تتحصن الله وفي سبيل الله .

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٨ ـ ٣٩ .

الخاتمة :

ان معظم الاسر اليوم تحمل في طياتها الكثير من معوقات بناء الشخصية الاسلامية لذلك كان على الفرد تخطي تلك المعوقات لكي يتكامل بناء شخصيته . وسوف تكون معوقات بناء الشخصية في الاسرة هي محور الاعداد القادمة من معالم الثقافة الاسلامية التي تدور حول الاسرة الفاضلة .

الترف [1]

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾[2] .

﴿ لا تـركضـوا وارجعـوا إلى مـا أتـرفتم فيـه ومسـاكنكم لعلكم تسئلون ﴾[3] .

﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾[4] .

﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾[5] .

---

(١) ترف يترف ترفاً ، أترفه المال أي أفسده وأبطره .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٦ .

(٣) الأنبياء ، الآية : ١٣ .

(٤) سورة سبأ ، الآية : ٣٤ .

(٥) سورة هود ، الآية : ١١٦ .

لعل خير ما يقال عن الترف انه ناقوس الخطر في حياة الأمم ، والمسمار الأخير في نعش الحضارة ، والتاريخ يشهد على ذلك .

فالمترفون هم الطابور الأول الذي يعارض مسيرة الاصلاح ، وهم المنبع الرئيسي للفساد والرذيلة في الأمة .

والمترفون هم العامل المباشر في تحطيم القرى واهلاك المجتمعات ، وذلك لأنهم فقدوا الايمان بالله فأحرقوا الموازين الاقتصادية ونشروا الفوضى والتحلل الخلقي .

قال الرسول الأعظم (ص) ذات مرة لاصحابه : « لا تجالسوا الموتى » .

قيل : يا رسول الله وكيف؟

قال : « كل غني مترف »[1] .

لقد شقت الأمة الاسلامية طريقها نحو بناء صرح الحضارة يوم كانت على درجة كبيرة من البساطة في العيش والمتطلبات ، ابتداءاً من القائد ، ومزورا بالأسرة ، وانتهاءاً بالفرد ، فالرسول (ص) لم يكن سوى ابن إمرأة كانت تأكل القديد بمكة ، يفترش التراب ، ويمشي في الأسواق ، ويجالس الفقراء ، ويعاني من الجوع ، ويأوي إلى غار حراء قلعة البناء الذاتي . والأسرة كانت تطحن الشعير وتقنع باليسير .

والفرد كمصعب يرفض اللباس الوثير والمال ليلبس الصوف ويلتحق بركب الثورة فاصله هكذا شقت الأمة طريقها .

ولكن عندما تطفل على قيادتها الخلف الذين اتبعوا الشهوات ، بدأت مسيرة الترف في الأمة ابتداء بالقادة ، ثم عمّ الأسرة المسلمة وأصبح الفرد أسير

---

(١) الوسائل : ج١٤ ص١٤٣ الباب ١٠٦ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه ح٣ .

التحـرك المادي ، وأصبـح الترف أحـد الموانـع التي تقف أمام بنـاء الأسـرة المستقبلية المسؤولة وتهدد كيانها ومن يطالع التاريخ لا يخفى عليه ذلك .

فمن الأخبار التي تنقل لنا بداية الترف والبذخ في الأمة التالي!

انظر في كتاب تاريخ التمدن الاسلامي .

١ ـ البذخ في الألبسة :

كان المسلمون في صدر الإسلام يتوخون الخشونة في العيش ، والتعفف بالمطعم والملبس ، وأول من اتخذ من الملوك هو معاوية منذ كان أميراً في الشام ، وأحب الأمويون الوشي وأكثرهم رغبة في لبسه هشام بن عبد الملك فاجتمع عنده ٢٠٠٠ قميص وشي ، و١٠٠٠٠ تكة حرير ، وكانت كسوته إذا حجّ تحمل على ٧٠٠ جمل ، ولما أترف بنو أمية لبسوا الحرير على أنواعه ، وتفننوا بأنواع الأنسجة ، وأحبوا الوشي ، وأكثروا من لبسه فقلدهم الناس في ذلك ، على أن رجال الدولة ومن جرى مجراهم من الخاصة في العهد العباسي كانت لهم ألبسة لمجالس الأنس والشراب يسمونها ثياب (المنادمة) .

وقد خلف المعتصم بالله الآتي :

٤٠٠٠٠٠٠ من الثياب المقصورة سوى الخامات .

٦٣٠٠٠ من الأثواب الخراسانية المروية .

٨٠٠٠ من الملاءات .

١٣٠٠٠ من العمائم المروية .

١٨٠٠ من الحلل الموشاة اليمانية وغيرها منسوجة بالذهب .

١٨٠٠٠ من البطائن التي من كرمان من أنابيب القصب .

١٨٠٠٠ من الألبسة الأرمنية .

٢ ـ المسكن :

بنى المعز في بغداد دار بقيمة ١٣٠٠٠٠٠٠ درهم .

كان للمعتمد بالله العباسي دار فسيحة وواسعة ذات بساتين عرفت بدار الشجر ، كان فيها أشجار مصنوعة من الذهب في وسط بركة كبيرة لها ١٨ غصن من الذهب والفضة ، لكل غصن فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل ثمار وعلى أغصانها أنواع من تماثيل الطيور من الذهب والجواهر ، وكان خدم المقتدر ١١ ألف .

٣ ـ التسري :

وهو اقتناء الجواري للتمتع بهن أو استيلادهن .

كان للمتوكل العباسي ٤٠٠٠ جارية .

وكان عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية منهن ٣٠٠ للغناء والضرب على آلات الطرب ، وقد ابتاع الرشيد جارية بثمن ١٠٠٠٠٠ دينار وأخرى بـ ٣٦٠٠٠ دينار .

هكذا بدأت مسيرة الترف في المجتمع الإسلامي من القمة إلى القاعدة لا سيما بعد أن جُزِّئت الأمة إلى دويلات ، وحدوث الطفرة بعد ظهور النفط والانفتاح على الغرب ، وأصبحنا سوقاً لكل ما أفرزته المدنية الغربية ، وأصبح التوجه المادي هو الذي يحرك الأسرة المسلمة ، وبرز إلى السطح من الظواهر ما أعاد إلى أذهاننا الترف الأموي والعباسي وأيام العرب في الأندلس .

إن هذا التوجه المادي المتنامي لهو ناقوس خطر ومعول هدم في بناء الأسرة .

يقول ربنا في سورة النور التي تدور حول الأسرة الفاضلة :

﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوٰة وايتاء الزكوٰة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصٰر ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾(1) .

ولو أردنا أن نفهم أبعاد الترف فإن التعريف اللغوي لا يكاد يسعفنا لفهم أبعاد الترف دون معرفة حالة التخلف الشاملة التي تعيشها أمتنا ، فالأمة الاسلامية تعيش ظاهرة التخلف بكل أبعادها ، والترف كجزء منها ليس حالة طارئة انفجرت بوجود عناصرها إنما هي بذور التخلف العام الذي نعيشه فعجز الأمة عن مواجهة التحديات الحضارية كالقضايا المصيرية سياسية كانت أو علمية أو اجتماعية ، والانشغال الجانبي في أمور الحياة كالاهتمام المفرط بالرياضة أو الألعاب أو الحفلات وعدم قدرة الأمة على تحمل مسؤولياتها التاريخية في الإصلاح والتغيير تجسِّد لنا حالة الترف على المستوى العام ، وكذلك بالنسبة للفرد اليوم حيث يعيش حالة الاستسلام والتهور واللامبالاة الكاملة تجاه نفسه ومجتمعه وينشيء الادمان والمخدرات والمسكرات بهذه الكميات الهائلة إنما يعبر عن حالة الميوعة ، ورضوخ الفرد أمام هذه المغريات الشيطانية ، كما أن روح اللامبالاة السائدة في الأمة والتشبث بالأرض وطمس الرؤوس في الرمال كي لا ترى حقيقة الواقع لصور مختلفة لواقع واحد يدعى الترف .

إن امتنا اليوم تعاني من غياب الشعور بالمسؤولية وهي مصابة بداء عدم تمييز الأمور المصيرية عن غيرها ، ويمكن أن يكون أحد الأسباب الرئيسية وراء

---

(1) سورة النور ، الآية : ٣٦ ـ ٣٨ .

ذلك هو سيادة حالة الترف على الأسرة ، وبالتالي على الفرد فتخرج لنا الجيل العاجز عن مواجهة الحياة ومتاعبها ، إنما كيف سادت هذه الحالة على واقعنا وشلت قدرات الأمة على التحدي والمواجهة؟

هناك ثلاث عوامل رئيسية وراء تفشي حالة الترف في مجتمعاتنا (الأسرة ـ الطاغوت ـ الفكر الأرضي) .

أولاً : الأسرة :

تمثل الأسرة المدرسة الأولى لتشكيل وتوجيه سلوك الفرد وعاداته وطبائعه فيترعرع الطفل مقلداً أبويه في عاداتهم وسلوكهم ، كما يخضع لنمط التربية والبناء في سنينه الأولى ، فإذا منيت الأسرة بعدم الترابط والخلل فإن أفرادها يصابون بأمراض داخلية تنعكس بصورة أو أخرى على سلوكهم ، وبالتالي حياتهم الخاصة والعامة فتنشأ تلك الشخصية المهلهلة التي ليس لها هدف معين تصبو إليه ، ولا حياة ثابتة يبني بها نفسه فينغمر في وحول الرذيلة ، وتتلاطمه موجات الشذوذ والإنحراف ، وبالتالي الرضوخ لجبر المادة ، فتطغى عليه فيكون مترفاً .

ان الفرد الذي يصاب بعقدة الحقارة ، ويتجذر شعوره بالنقص عبر مؤثرات تربوية متعددة ، إن مثل هؤلاء الأفراد يجدون في الواقع المترف مجالاً واسعاً للتخلص من الشعور بالنقص ، لذلك نجد هؤلاء يسعون لاقتناء السيارة الفارهة ، أو المنصب الظاهر ، ويلهثون وراء الكماليات ويتباهون بها أمام المجتمع .

والأسرة إنما تصل إلى هذه الحالة من التفكك والانحلال بسبب العوامل التالية .

١ ـ الافراط في التربية :

إن من أعظم الأخطار التربوية التي تنعكس على شخصية الإنسان مدى الحياة دون أن يحس بها هو الإفراط ـ في المحبة والدلال ـ أوفي الشدة، الغلظة.

ان الإنسان منذ نعومة أظفاره مجبول على حب الحرية المطلقة فهو يرغب في أن يعمل ما يشاء ويخرب ما يريد ، ويتناول ما يرغب . . يريد كل ما تراه عيناه دون تمييز الحسن من القبيح .

فهل من مصلحة الطفل رضوخ الأب والأم لأوامره رضوخاً تاماً؟ كلا .

إن المربي الناجح هو من يتعامل مع الأبناء من منطلق الحاجة له والمصلحة ، فيعمل على تحقيق مصلحة الطفل فيما ينمي قدراته ، ويبني شخصيته المستقلة ، ويمنع ما يضره أو يؤثر في مستقبله ، بينما استجابة الوالدين المطلقة لأوامر الأبناء ـ بأي حاجة كانت ـ ينمي في الطفل حالة الطاعة الكاملة لأوامره ونواهيه ، ويتوقع الاستجابة الدائمة لكل ما يريد ، وعندما يشب ويعترك الحياة الاجتماعية يصطدم مع أول مواجهة ، ويستشهد عالم النفس الشهير « أدلر » على ذلك بحادثة وقعت لإمرأة انتحرت لسبب تافه جداً ، وهو أن جاراً لها كان يرفع صوت مذياعه دائماً ، الأمر الذي كان يزعجها ، وحاولت أن تستنكر أعماله عدة مرات فلم يهتم بها ، وأخيراً أقدمت على الانتحار .

فيقول « أدلر » : ان الأبحاث التي عملت على شخصية هذه المرأة وبنيتها التربوية وجدت أنها نشأت منذ الطفولة على الدلال والافراط في المحبة والاستجابة المطلقة لمطالبها ، وبالتالي لم تطق العيش في عالم تسمع جواب النفي لطلبها .

فالفرد الذي يحيطه جوّ من الدلال والمحبة المفرطة لا يستطيع مقاومة الحياة فينهزم أمام أول معضلة ، فالطبيعة الهشة مهيأة لتفشي حالة الترف ، ان

عجـزه عن التصدي للمشـاكل تجعله يلجـأ لتعويض هـذا العجز بـالإسـراف والطغيان على الواقع الذي يعيشه ، أو أن التربية المترفة الذي نشأ عليها تدعه يستجيب لكل رغبة في نفسه كالإستجابة لرغبة الجنس والهـوى ، فلا يحض بنفسية قادرة على مواجهة الأهواء مما تسقطه في خبائل الإثم والرذائل حتى إذا تلوثت حياته بأنواع من الشذوذ والرذائل لا يستطيع الخروج منها .

وأخيراً قد يلجأ إلى الإنتحار كصورة من صور رفض الواقع والتمرد عليه وكما يقول الإمام الباقر (ع) : « شر الآباء من دعاه البرّ إلى الافراط »[1] .

ونتيجة لهذه التربية المترفة لا بد أن يأتي اليوم الذي نجني ثمار ما بذرناه دون أن نضع قيوداً وموانعاً تحكم بنـاء شخصيته بنـاءاً قادراً على أن يتحمـل صعاب الحياة ومشاكلها ، وحينها لا نقدر أن نغير سلوك الأبناء لأننا أساساً نسينا واجبنا تجاه البناء المتكامل وعدم الوقوع في مصيدة العاطفة المفرطة .

٢ ـ الأسرة المترفة :

إن كثيراً من الأسر تتحمل المسؤولية الأولى عن تفشي حالة الترف في الأمة حتى سادت هذه الحالة وأصبحت حاجزاً لبناء الشخصية الإسلامية .

كثير من الأسر الحديثة أسرفت في الابداع بارتكاب أنـواع المحرمـات والرذائل . . ومن يزرع شوكاً لا يجني إلا شوكاً . فمن الطبيعي أن أسرة كهذه لا تخرج إلّا جيلاً يحمل في طياته جذور الانحلال والميوعة .

ثانياً : الفكر الأرضي ـ الهوى ـ الشهوات :

الانسان في حياته أمام قوتان تتصارعان لجذبه ، قوة الهوى والشهوات ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج٣ ص٥٣ كما في الطفل بين الوراثة والتربية في موضوع الافراط في المحبة .

وقوة المبادىء والقيم ، وقد تقوده إحدى القوتين بصورة مطلقة أو تشتركان في قيادته عبر مواقف وظروف مختلفة في الحياة ، والقوة الغالبة منبتها الأفكار التي يتبناها الانسان فإذا كانت أفكاراً أرضية مادية كانت القوة الغالبة دنيوية ، وأما إذا كانت معنوية سماوية كانت القوة الغالبة مبدئية وسماوية .

ومن أكبر القوى التي تـدفع بـالانسان وتسخـره للانغمـاس في الأهواء والشهوات والملذات الزائفة وبالتالي الحياة المترفة هي :

أ ـ المال :

﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾(1) .

المال والثروة قوة اعتبارية خطورتها تكمن في أن الانسان قد يعطيها أهمية كبرى مما تؤدي إلى أسره واحباطه .

إن وظيفة المال أساساً هو لخدمة الانسان وحاجاته . . بيد أنه إذا تعلق به إلى درجة العبودية مما يصيره صنماً له وتصبح بالتالي قوة أرضية تفسد وتحرف الانسان عن الصراط المستقيم . عندما تطغى قوة المال والثروة على الانسان وتسلبه ارادته وقدرته على تمييز الحق من الباطل ، تؤدي به إلى تجاهل القيم المعنوية والمبادىء الانسانية ، وكلما ارتبط بالمادة وتعلق بها بعُد عن طـريق الحق . . فتهـوي بـه إلى الـرذيلة حتى تختفي فيـه الخصـال الحميـدة . . . ويستسلم وينقاد للشهوات والملذات . . كما يقول الرسول (ص) :

« حب الدنيا رأس كل خطيئة »(2) .

إن أكبر قوة تدفع الانسان إلى الطغيان والترف هي قوة المال بدليل أن أكثر

---

(1) سورة الأنفال ، الآية : ٢٨ .

(2) العوالي : ج١ ص٣٧ ح٩ .

من واجه الأنبياء إذا لم يكن كلهم هم ذوو الجاه والثروة والمال . . لأنهم يرون قوتهم وقدرتهم في هذه القوة المزيفة ، فيفرح ويطغى كما جاء في قصة قارون . . .

﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . . . ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما اوتيته على علم عندي . . . فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله . . ﴾[1] .

إن قارون من المؤمنين برسالة موسى ، وكان ابن عم موسى (ع) ، وكان أعلم بني اسرائيل بعد هارون وموسى ، وعندما أغدق الله عليه بالنعم أخذ قومه يغبطونه على ثروته . . وعندما طلب منه موسى (ع) الزكاة امتنع وأخذ يكيد المكائد ضد موسى :

« يا موسى لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال فإن كثرة المال تنسي الذنوب وإن ترك ذكري يقسي القلوب »[2] .

ان الحكومات الاسلامية لم تنهار وتتفكك وبالتالي انطمست حضارتها إلاّ عندما طغى المال على القيم والرسالة ولنا في تاريخ الأمويين والعباسيين عبر كثيرة ، فقد وصل الطغيان والترف في حياة العباسيين درجة جعلت الحضارة الاسلامية تتآكل نتيجة الاهتمام الزائد والمفرط في الترف والبذخ وهدر أموال المسلمين .

ان الانسان مهما جمع المال وأسرف وأترف لا يستطيع تحقيق السعادة

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٧٦ .

(٢) أنظر الكافي : ج٨ ص٤٥ ح٨ .

القلبية الحقيقية لأنه يبحث عن سعادة مزيفة فلم تغنهم أموالهم شيئاً ، وكلما غـاص في أوحال المـال وانغمس في عبوديتهـا يقس قلبـه ويبتعـد عن القيم والمبادىء .

ويشير الامام علي (ع) لذلك بقوله : « لينبغي للعاقـل أن يحترس من سكر المال وسكر القدرة وسكر العلم . . . فإن لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار »[1] .

ان الفرصة المواتية لأصحاب المال والثروة في الاختبار أكثر منها عنـد الانسان المتواضع في المعيشة أو الفقير ، فهو معرض لأن يكون عبداً لهذا المال فيطغى ويترف ويفسد ، وبإرادته يستطيع أن يكون سيداً لهذا المال . . وهذا راجع إلى رؤية الانسان إلى هذا المال إذا كانت نظرة الانسان إلى المال بأنها وسيلة لـلاستعلاء والتفـاضل على الآخـرين وإلى الحيـاة الـدنيـا نـظرة خلود وتملك . . فهو أسير هذه المادة الزائلة ، وبالتالي يسير الانهان نحو الطغيان والفساد والترف . . . أما إذا كانت نظرة الانسان إلى المال نظرة قناعة وتعفف واستصغار ، وإلى الدنيا نظرة اصلاح وخدمة ، فإنه ينتصر على ضغط المـال ويملك زمام نفسه من الوقوع في مرض الترف . .

إن كثيراً من علمائنا في التاريخ كانوا أثرياء وأغنياء ولكن نـظرتهم إلى المال كانت نظرة كبير إلى لعب أطفال ، العلامة المجلسي كان ثرياً وغنياً إنما لم يحجبه غناه عن خدمة الناس لكسب الآخرة بمال الدنيا . . . إنما الأهم من ذلك هو ألاّ يتعلق قلب الانسان بالمال ، ويبني بالتالي آمالـه على هذه بـدل التوكل على الله :

« حب المال والترف ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل »[2] .

---

(١) غرر الحكم : ص٥٤٥ ح١١٠٥٩ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج١ ص١٥٥ .

عندما يتعلق قلب الانسان بالمال ينسى نفسه وأهله وضميره . . فيحجبه عن كل خير . . . فيحسن له القبيح ويقبح له الحسن من الأعمال فكما يقول الامام علي (ع) : « المال مادة الشهوات »[١] .

وروي بأن رجل موسر جاء إلى الرسول (ص) نقي الثوب فجلس إلى رسول الله (ص) ، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه ، فقال له رسول الله (ص) : « أخفت أن يمسك من فقره شيء » .

قال : لا .

قال « فخفت أن يوسخ ثيابك » .

قال : لا .

قال (ص) : « فما حملك على ما صنعت » .

فقال : يا رسول الله إن لي قريناً يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي .

فقال رسول الله (ص) للمعسر : « أتقبل » .

قال : لا .

فقال له الرجل : لِمَ؟ .

قال : أخاف أن يدخلني ما دخلك[٢] .

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ، الحكمة : ٥٨ .
(٢) الكافي : ج٢ ص٢٦٢ باب فضل فقراء المسلمين ح١١ .

الهوى ـ والشهوات :

لدى كل انسان احساس فطري يميز من خلاله القبيح من الحسن ، كل انسان يعلم أن الظلم قبيح والخيانة سيئة ، والكل يحب بفطرته الصدق والأمانة والوفاء . . . وهذا استجابة طبيعية لفطرة الانسان ، فالانسان بطبيعته يدرك حسن وقبح الأمور ، ولكنه يتعرض إلى انحرافات سلوكية تنطبع على حياته وتصبح ملكة من وحي الفكر المنحرف . أحد عوامل انحراف الإنسان في واقع الرذيلة هو الفكر الأرضي الذي يقدس له الدنيا ويؤلّه له الشهوة بأنها أساس السعادة كما يدعي بعض علماء الغرب ، فمقاييس الفضيلة والرذيلة تسقط عندهم ، ويكون محور حياتهم الاستمتاع بملذات الدنيا بأكبر قدر ، فيقع أسير وعبد اللذات الحيوانية والشهوات الجنسية .

ان مأساة الانسان الغربي اليوم هو انفلات زمام الجنس والشهوات في حياته ، الشواهد والأحداث التي يمر فيها المجتمع الغربي اليوم يندى لها جبين التاريخ ، فقد نشرت جريدة الوطن الكويتية خبر عن أصغر أمّ في أمريكا والبالغة من العمر١٠ سنوات ـ وهي طالبة في المدرسة المتوسطة ـ لا تعلم من هو الأب للمولود الجديد ، وانها تشك بأربعة أشخاص اعتدوا عليها ، واحد منهم عمها أخو أبوها!! وما الصيحات الخليعة والصرخات الماجنة التي تتعرض لها أوروبا وأمريكا اليوم من قبل أندية تبادل الزوجات أو جميعة نكاح الأحباب . . . والثورة العارمة على الزواج ، والدعوة إلى إباحة الجنس بصورة مطلقة ما هي إلاّ نتيجة الفكر الأرضي المنحرف ، وانفلات الروابط الانسانية بين الذكر والانثى ، حتى علماء الاجتماع وعلماء النفس في أوروبا وأمريكا أصبحوا يخافون إنهيار صرح المجتمع نتيجة إنحلال وتفكك الأسرة ، ويعلل كثير من علماء الاجتماع بأن السبب الرئيسي وراء هذا التهور الجنسي في الغرب هو الفكر المادي والاباحية الجنسية . . . فأصبحت الأسرة مفككة ، والأجواء التي يتربى فيها الفرد ملوثة

بالرذائل والموبقات ، فينشأ الانسان في جوّ من الانحراف والفساد ، وبالتالي يعكس هذا الواقع في تعامله مع المجتمع ويكون أسيراً لهذه الشهوة واللذة الزائفة .

أوصى الله سبحانه وتعالى لعيسى بن مريم (ع) : « لا تتخذن الدنيا رباً فتتخذك عبداً »[1] .

فالانسان الذي يتخذ الدنيا رباً ويقدس شهواته لا بد أن يكون عبداً مطاعاً لها وبالتالي يطغى ويترف ، ومن الطبيعي أن المجتمع الذي ينقاد لضغوط الشهوة والملذات تتمزق فيه العلاقات الأسرية المبنية على الود والاحترام ، وتحل محلها علاقات الجنس واللهو واللعب ، وتضيع فيه كل مقاييس العفة والكرامة :

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم . . .﴾[2] .

وطبيعياً أن هذا الانسان الذي لا يعير الشرف والعفة أي قيمة كما يقول أحد علماء الاجتماع : « ان الفرد الصالح عندنا هو الفرد الذي ينقاد للقانون حتى لو كان شعوره منحرف وسلوكه سيء ويحمل في جوفه ضغائن وأحقاد وسموم . . . » .

هكذا يكون القانون في الفكر الأرضي أساساً لاعطاء الشرعية للانحراف واتباع الشهوات ومقياس الحياة هو مصلحته وشهوته . . . ويغفل نداء العقل وكرامة الانسان .

يقول الامام علي (ع) : « الدنيا تغر ، وتضر وتمر . . . »[3] .

---

(١) تنبيه الخواطر : ج١ ص١٢٩ .
(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣ .
(٣) نهج البلاغة : قصار الحكم ، الحكمة : ٤١٥ .

﴿واعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾[1] .

ثالثاً : الطاغوت :

ان الصراع الدائر بين الاسلام والجاهلية ـ الكفر ـ صراع ذو أبعاد مختلفة ، ثقافية ، اجتماعية ، سياسية ، اقتصادية . . . أي أنه صراع حضاري شامل لا يختص بجانب من الحياة دون الآخر ، ومنذ سيطرة الغرب على البلاد الإسلامية ، وهو يخطط للاستمرار للابقاء على بلادنا الاسلامية ، وبعد فشل أغلب السبل العسكرية ، والاقتصادية ، والسياسية ، . . . . في بقاء سيطرته علينا ، يقوم اليوم بإخضاع نفسية الإنسان المسلم للغرب ، وسلب إرادته وقوته عبر امكانياته وثرواته الذاتية وهذا لا يحتاج لجنود واهدار الأموال . . . عرف الاستعمار من بعد الحروب الصليبية بأنه لا يمكن أن يبقى ويستمر في سطوته على البلاد الاسلامية إلّا عبر إذابة الشخصية الاسلامية وتمييعها في الأفكار والمدنية الغربية ، كما صرح بذلك وزير خارجية فرنسا عام١٩٥٢م حين قال : « ليست الشيوعية خطراً على أوروبا فيما يبدو لي ، ان الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الاسلامي ، فالمسلمون عالم مستقل يملكون تراثهم ، فلا بد من إذابة شخصياتهم الروحية في الحضارة الغربية ، وهنا مكمن الخطر » .

ويقول أحد المستشرقين : « أن علينا أن نخرج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوق لا صلة له بالله . . . وبالتالي يأتي النشأ القادم مطابقاً لما نريد ، لا يهتم بعظائم الأمور . . يحب الراحة . . همّه جمع المال والحصول على الشهوات وهدفه المنصب . . . » .

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٠ .

فقام الاستكبار بعدة أشياء من شأنها إذابة الشخصية وتحويل المجتمع إلى مجتمع مترف لا يهتم ولا يبالي بالأمور المصيرية .

١ ـ تشويه وسلب مصدر الثقافة :

﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾(١) .

قال غلاديستون أحد أعضاء البرلمان البريطاني : « ما دام هذا القرآن موجود بيد المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون في مأمن بالمستقبل » .

الاستكبار الدولي لا يهاب البلاد الاسلامية لموقعها الجغرافي أو ثرواتها الاقتصادية . . . بقدر ما يخاف من القوة الذاتية الكامنة في كيانهم الاسلامي ، ومصدر هذه القوة هو القرآن ، لأن القرآن منبع بناء الشخصية الرسالية واعطاءه البعد الإلهي . القادر على تجاوز التحديات الداخلية والخارجية في الانسان فإرتباط الأمة بالقرآن يعني ارتباطها بالله . . . وبالتاريخ . . . وبالقيادة الرسالية .

يقول المبشر تاكلي : « يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح ضد الاسلام نفسه » فقامت الدوائر الاستعمارية بزرع الاهتمامات القشرية بالقرآن كأنواع القراءات والاحصاءات . . . وحقن المبادىء العلمانية فيه ، وربطه بمبادئهم الوضعية كالاشتراكية في القرآن ، الرأسمالية في القرآن . . . ولا يخفى على أحد ما قامت به المؤسسات الاستعمارية في الاستشهاد بالقرآن في الأمور التي تتفق ومصلحتهم كاستعمال الآية الكريمة **﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها . .﴾**(٢) لتبرير مواقفهم الاستسلامية تجاه اسرائيل واستثناء آيات

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .

القتال وتجاهل الكفار كما قامت بدور رئيسي في ابعاد الجانب الغيبي من حياة الرسول وتشبيهه بالعبقري ، وأكثر من غير مجرى التاريخ ومقارنته مع شخصيات تاريخية كالرؤساء الأمريكان وغيرهم ، ولم تكتفي بذلك بل أخذت تزرع كيانات اسلامية عميلة لها في الجسد الإسلامي ، عملها تشويه المبادىء السامية للاسلام ، ووضع الغطاء الشرعي على اعمالهم ، واصدار الفتاوى لتبرير انحرافهم وسيطرتهم علينا ، وجاء هذا التوجه لتدمير وفناء كافة القيم الأصلية التي تحيي أمتنا الاسلامية ، وتخدير الأمة عبر تشويه الرسالة حتى لا تحس بخطر الاستكبار ، واقصاء الاسلام عن حياتنا ، فكما يقول وليم جيفورد بالكراد : « متى ما توارى القرآن عن بلاد الاسلام يمكننا أن نراه فيدرج في سبيل حضارتنا التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » .

عندما تنسلخ الأمة من قيمها الرسالية ومن مصادر ثقافتها تكون مهيأة لتقبل أي شكل أو فكر يملى عليها ، فجاءت الرحلة الثانية من لعبة الغرب على الإسلام بإيجاد الوسائل الكفيلة بتشكيك الأمة بثقافتها .

٢ ـ توفير الفراغ :

عندما تتخلى الأمة وتتجرد عن مبادئها ، وتتميع قيمها الحضارية ، وتتوجه إلى المصالح واستيراد المدنية الغربية ، يولد فيها الفراغ في (العقيدة ـ الثقافة . . . الشخصية) .

ان من أكبر المشاكل الحضارية التي تعيشها أمتنا اليوم هو الفراغ ، فبعد تفريغ الأمة الاسلامية من مصادر ثقافتها أخذت تتخبط دون وعي ودراية في مدارس من خلق الشرق والغرب . . بحثاً عن كيان وشخصية لها . . فتلجأ تارة إلى المذاهب المادية كالرأسمالية أو الشيوعية وأخرى إلى الروحية السلبية ثم الصوفية . . فعندما لا تجد ما يشبع غرائزها النظرية تعيش حالة الفراغ في

النفس والعقيدة وبالتالي في السلوك والممارسة ، فتصبح الأموركلها دون هدف والحياة خالية من روح . . . فيتربى الفرد بنفسية هشة ، تتقبل كل ما يملي عليها من زخارف الدنيا وملذاتها دون أن يكون لديه موانع لردع هـذه الموجـات ، وتتكون شخصية فارغة لديها القابلية للتشكيل والتحريف ، وتصبح كل الأمور بلا هدف فتفقد الحياة الكريمة ضرورتها وقدسيتها ، فتتفجر هذه الفجـوة في صورة ممارسات طائشة بصور البذخ والاستهتار والترف لملء هذا الفراغ الذي يعيشه ، فيكون جلّ اهتمامه سيارته الفارهة ، أو الاهتمام بمسكنه المستورد ، أو الاستيلاء بالمناصب والمقاعد المرفهة والتفاخر بالأسماء الرنانة . . لسـد حيز الفراغ الذي يعيشه ، أو تتفجر قنبلة الفراغ بأشكال الجريمة والشذوذ والترف واللهو واللعب ، والبعد عن الأمور المصيرية وضياع الأمة الاسلامية اليوم ما هو إلّا تجسيد لظاهرة الفراغ الذي تعيشه في العقيدة والهدف والسلوك ، فعندما تفقد العقيدة محتواها الأصيل بزرع الاهتمـامات الهـامشية في الانسـان تفقد الحياة هدفها وبالتالي يفرز السلوك اللامبالي والمترف .

٣ ـ نشر الفساد :

ان الصراع الدائر بين الإسلام والجـاهلية ليس عـداء بين الشعوب ولا خلافات سياسية في مناصب الحكم إنما صراع مبدأ ايـدلوجيـات ـ الجاهليـة والرسالة السماوية ـ الصراع الحالي ليس لطرد الاستعمار ، فالاستعمار الظاهري خرج من بلادنا مع أنـه خرج من البـاب ليدخـل من الشباك إنمـا صراع بين ارادتين ، إرادة البقاء على مفاهيم الغرب والحضارة المادية والعلمانية ، وبين إرادة العودة إلى الإسلام الحقيقي ومفاهيم السماء . . بعد أن حاول الاستكبار سلب روح الثقافة ومصدر اشعاع المسلمين ، خلق أجواء من الفراغ الشامل في حيـاة الإنسان المسلم ، قـام بتعبئـة هـذا الفـراغ بـأنـواع الـرذائـل والفسـاد والانحراف ، ومع توفر عناصر إشعال فتيل الترف كالمال والجهل والفراغ قام

بخلق أجواء قائمة على الطغيان والترف ، كما يقول أحد المستشرقين : « بأن من أهم الأساليب لتحطيم كيان الشخصية الاسلامية هو تدمير أخلاق المسلم . . وتمييعه . . » .

عندما نزحت خارج لبنان واحتلتها عسكرياً بعد الحرب العالمية الاولى . . أتت إلى لبنان بسفينتين ، سفينة مدججة بالسلاح وأنواع الأسلحة ، وأخرى مملوءة بالمشروبات الروحية والراقصات ، وسُئل قائد الاحتلال عن سبب احضار السفينة الثانية ، قال : لحفظ استمرار بقائنا في لبنان ، وهذا ما حصل فعلاً حتى تمزقت لبنان شر ممزق ، لأن الروح السائدة أصبحت روح مترفة .

قام الاستعمار بنشر أنواع واشكال من المحرمات والموبقات ابتداء من الأندية الليلية والملاهي إلى فتح مراكز الدعارة وأندية القمار حتى أصبح لبنان مصدر لتوزيع الفساد والمواد المخدرة في العالم ووكر من أوكار الانحلال « فمن سل سيف البغي قُتِل به » .

واليوم مع توفر الامكانيات المادية في بعض البلاد الاسلامية تقوم الدوائر الاستعمارية بنفس الألاعيب والتخطيط لإذابة الشخصية الاسلامية في بحر الفجور والترف المادي .

انتقلت اليوم منابع الفساد والانحلال بصور وأشكال أخرى . . الڤيديو أخذ يجتاح كل المنازل ، ويساهم في تصدير الخلاعة والميوعة المتفشية في الأوساط الغربية ، حتى أن إحدى الصحف الكويتية نقلت عن أسرة تتكون من أم وأب وأخوين وأربع أخوات تقوم بتبادل الأفلامة الممنوعة ، والحفلات الراقصة ، والسهرات الخليعة ، يقمن الأخوات بعيداً عن الأنظار ورقابة الأم والأب بمشاهدة حتى الأفلام الرذيلة والمخلّة بالآداب ، فلا حاجة اليوم للبحث

عن الرذائل فإنها مجهزة لنا في منازلنا ، كما أن الاعلام يلعب دوراً رئيسياً في السماح لهذه الوسائل بنشر اعلاناتها وترويجها ، وعدم وجود تلك الرقابة الرادعة في مواجهة هذا التفسخ والانحلال هو كذلك جزء من التسيب والانحراف ، وليس من الصدفة أن تترك الرقابة مثل هذه الانحرافات أن تنتشر وتوجيه اهتمامات الأمة نحو التحلل والميوعة والترف ، يمكن أن لا يقوم الطاغوت مباشرة بنشر وسائل الإنحلال بين الناس إنما يهيّء الوسائل الكفيلة لنشر وتفشي الفساد ، عبر تمييع القوانين الوضعية أو الفساد الاداري ، وتفشي ظواهر الرشاوي والواسطات والمحسوبيات . . . وبالتالي السماح بانتشار مثل هذه الوسائل لاستعباد الناس وخلق أجواء مترفة وبالتالي الشخصية المصابة بعاهة الترف ، كما قام الاستكبار بدور آخر جوهري في مد جسور المدنية الغربية مع بلادنا الاسلامية . وعمد منذ البدء ببناء وزرع دمى عميلة من أبناء الأمة الاسلامية ليكونوا خلفاء لهم في البلاد ومن ثمة نقل مدنيتهم الزائفة إلينا ، فكما يقول اللورد ميكالي رئيس اللجنة التعليمية الانجليزي : « يجب علينا أن نُنشىء جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين مستعمراتنا ، وستكون هذه الجماعة وطنية في اللون والدم ، انجليزية في العروق والرأي واللغة والتفكير » .

فقام الاستعمار بحجج التعليم والتثقيف . . . بإرسال البعثات إلى الغرب . . فجاء الخريج ذو كفاءة عالية في كافة أنواع الرقص ، وعاد محملاً بكميات من المخدرات ، وبعض الأفكار الغربية التي تربط أبناء أمتنا عبر عالم الغرب المنحل بدل أن يأتي بالخبرة العلمية والابتكارات العصرية . . . فكما جاء في بيان كبار رجال الاستعمار في شؤون التعليم : « إن علينا أن نعلّم أولاد الشرق من غير أن نثقفهم علينا أن نعلمهم لكي يكونوا آلات صالحة في المعامل والمتاجر والحقول . . » .

فلم تسعفنا البعثات خلال السنوات الخمسين الماضية إلا بعداً عن القيم

وتكريس واقع الانحلال والترف وبالتالي التبعية ، لأن الفرد عندما يتجرد من مصدر ثقافته وتاريخه يقع أسيراً للأفكار الهدامة ، ولا يمكن أن نبني مجتمعاً متحضراً على أنقاض ثقافة ذيلية وحياة مترفة ، وخاصة إذا كان من على قمة الهرم على رأس الأمة فالناس على دين ملوكهم ، وهذا ما أدى بالحضارة الاسلامية في عهد العباسيين إلى الانحدار والتهاوي بفضل اهتمامات أولي الأمر . . . بزخارف الدنيا ، وبالتالي خلق أجواء صاخبة من الترف .

اهتم العباسيين بزخارف الدنيا وزينتها دون القيم والمبادىء . . حتى جعلهم ينافسون الكعبة الشريفة وبيت المقدس من حيث الاهتمام والأبهة ، فشيّد المنصور القصور الفاخرة جدا في بغداد لجلب انظار الناس إليه مما دعى الأمراء والمقربين بالإسراف على قشور الحياة كالمباني والمنازل والملابس . . . وغدت هذه معيار التفاخر بين الناس من بعدهم ، حتى أن المتوكل بنى ثلاث قصور بقيمة ١٠٠ مليون درهم .

فبالتالي انحرف توجه الناس واهتمامهم بتوجه الحكام ، وطغى البذخ والانحلال والترف على الحياة العامة ، فكان لهارون الرشيد ٢٠٠٠ ـ الفين ـ جارية منهن ٣٠٠ ـ ثلاثمائة ـ مغنية لآلات الطرب . . وأصبحت تجارة وتبادل الجاريات والمغنيات إلى درجة ان هارون الرشيد اللارشيد باع جارية بمئة ألف دينار « ١٠٠,٠٠٠ » . كما طلب محمد الأمين العباسي إلى ابن عمه جعفر الصادق أن يبيعه جارية له ، اسمها « بذل » ، فأبى ، فأمر بملأ قاربه ذهباً ، فبلغت قيمة ذلك ٢ مليون درهم!!!

وتفشى في المسلمين الانحلال والترف حتى غفلت الأمة عن واجبها تجاه الدين والرسالة ، فانهارت أمام القوى الغازية التي لا تملك من عناصر القوة والنظام أي شيء ، انما لسوء الوضع وضعف حالة المسلمين نتيجة انغماسهم

في زخارف الدنيا والترف في الحياة لم تستطع المقاومة والصمود أمام زحف المغول .

﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾[1] .

﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية . ١٤٦ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٩ .

الوقاية من الترف

الترف كمشكلة اجتماعية حضارية غالبا ما توجد في مجتمع لا تسوده المبادىء والقيم فيُرى المال صنماً ، والحياة هدفاً ، فيقف امام الدنيا ذليلاً خاضعاً ، لا يستطيع مواجهتها ولا تحديها ، فتنعكس على حياته بالهزائم النفسية والاجتماعية ، والحياة ليست دائما كما يريدها الانسان ، فتارة تكون لك ، وتارة تكون عليك كما في الحديث :

« الدهر يومان يوم لك ويوم عليك . فان كان لك فلا تبطر ، واذا كان عليك فاصبر »[١] .

فاذا اعتاد الانسان الحياة المترفة أي حياة اللامبالاة بالمبادىء والقيم . . حياة الانغماس الكلي في الدنيا . . لا يمتلك السيطرة على نفسه . . ولا يستطيع مقاومة الأيام العصيبة بالحياة كما الأرض القاحلة الواسعة المحرومة من الرياض فيكون مسلوب الارادة ، ضعيف الشخصية ، وهذا ما يريده الاستكبار منا أن يخلق فينا أسراً ضعيفة ، يملون المشاكل ، يرضخون للانحراف ، ويميلون للراحة والسكوت الزائف .

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٤ ص٤٢٠ .

ان رسالة السماء تدعونا لبناء الصرح الرسالي المؤمن والقادر على مواجهة التحديات وصدها بكل عزم ، والصمود أمام الموجات المادية والأهواء الدنيوية عبر بناء تلك الشخصية الرصينة في اوساط الاسرة المتدينة القادرة على تجاوز المشاكل وبناء الشخصية الرسالية في الوسط المترف ، كما يقول الإمام امير المؤمنين (ع) :

« ان من أحب عباد الله إليه عبداً اعان الله على نفسه ، استشعر الخوف . . . وباشر روح اليقين ، واستلان ما استوعرة المترفون »[1] .

فلمواجهة الحياة المترفة ومقاومتها لا بد ان نعمل على محورين :

أولاً : علاج وتحصين الأسرة ككل .

وثانياً : برنامج للفرد الرسالي في الوسط المترف .

أولاً : تحصين الأسرة :

ان الأسرة هي المنبع الطبيعي والفطري في تغذية وبناء الشخصية ، والتعامل مع الواقع الخارجي ، فإذا لم تستطع الأسرة بناء أسس التعامل مع الحياة القائمة على الاعتدال والاستقرار والأمن وتنير الطريق المظلم للفرد فلا بد أن تنتج أفراد يطغى جانب من حياتهم على الجوانب الأخرى .

عندما نرى الانسان قد طغى وأسرف وتمرد على الواقع يجب ان لا ننظر إليه كمشكلة آنية أفرزتها الظروف الحالية . اننا يجب ان نعالج جذور المشكلة والتي من أبرزها علاج بناء الأسرة . . لكي نوقف النزيف أولاً ثم نعالج الجرح . . . كيفية تحصين الأسرة؟

* كثير من الأسر اليوم جلّ اهتمامهم الأكل والملبس ، واهمال الأبناء

(١) أنظر نهج البلاغة : قصار الحكم ، الحكمه١٤٧ .

دون رعاية ، وعدم الاهتمام الكافي في بناء شخصية الطفل والاقتراب منه وتغذيته بالفضائل والخصال الحميدة منذ صباه ، وهذا لا يتم الا عندما نعطّي الأبناء الأهمية الاولى في حياتهم لكي يحسّ بأن له كيان ووجود يحترم نفسه ويقدر شخصيته فيجب اشعار الأبناء بدفيء الانتماء الأسري ، كما علمنا مربي الأئمة الإمام علي (ع) حين خاطب الامام الحسن (ع) : « بل وجدتك كلّي حتى كأن شيئاً لو أصابك اصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني فعناني من أمرك ما يعنيني في أمر نفسي »[1] .

عندما يحس الطفل بهذا القرب والانتماء يكون مهيّأ لتقبل التوجيه والنصح . . . ان عناية الأسرة بابنائها وخلق أجواء من الحنان والاهتمام المتبادل والاتزان في الحب والعطف لا يفسح المجال لثورة الأبناء على الواقع الذي يعيشه فيتمرد على الأسرة ثم المجتمع فيطغى ويسرف في الافساد والترف .

كان رسول الله (ص) يحمل سبطيه الحسن والحسين (ع) على كتفيه ويقول : « هذان ريحانتي في الدنيا ، من أحبني فليحبهما »[2] .

وروي ان الأقرع بن حابس لمّا رأى شدة إقبال النبي على صغيريه قال للرسول (ص) : يا رسول الله ان لي عشرة من الأولاد ، ما قبلت واحد قط .

فغضب الرسول (ص) وقال له : « ما علي ان نزع الله الرحمة منك . . »[3] .

كما ان البحوث التربوية الحديثة اثبتت ان رجال العلم والاخيار الصالحين إنما يأتون من أسر يسودها الود والمحبة ، كما أن الأشرار والمنبوذين والمفسدين

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٣١ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤٣ ص٢٧٥ .
(٣) مكارم الأخلاق : ص٢٢٠ .

يأتون من الأسر المنحلة والمفككة ، ومن الذين لا يعيرون ابناءهم اي اهتمام . فالاسرة القائمة على روح الاعتـدال في المعيشة والاحتـرام المتبادل واشبـاع الغرائز الاجتماعية في الانسان لا تسودها الهيمان ، وبالتالي الطغيان والترف ، ولا يجب ان تقف الاسرة عن دورها الرئيسي عندما تهيّء القواعد الاولى في التربية والبناء وتترك ابناءها في سن الرشد ليعتركوا الزمان والواقع دون مراقبة وتوجيه ، فكثير من الأسر تهمل ابناءهـا عندمـا يصلوا إلى السنين الأولى من الحياة الاجتماعية . . هذا ما يجعل الفرد ينخرط في وسط مترف او مفسد أو منحرف ، فعندما لا يستطيع الخروج مما يعانيه من مشاكل يطغى ويتمرد على المنزل ، كما تشير الاحصائيات الواردة من الغرب وخاصة امريكـا عن تفاقم جرائم الابناء لأبائهم وحتى قتلهم . . ففي الآونة الأخيرة نتيجة اهمـال الآباء لأبنـائهم ينحرف عن حيـاة الاسرة ، ويحس بـالنقص والفشل نتيجـة الحيـاة المترفة ، وعدم وجود الموّجه المرشد فينتقم من والديه ، اذن لا بد من استمرار التوجيه والنصح والرقابة حتى لا ينفلت الابناء عن مؤسسة الأسرة ، فيتخبط لنيل السعادة ، وينحرف في وادي الرذيلة والترف ، فهو لا يستطيع ان يميز الخير من الشر ، فحينما يرتكب القبيح ويرى غض البصر أو التجاهل من الوالدين يتمادى في الطغيان حتى يقع فريسة الترف . . ومن المؤسف أن هذا الاهمال في رقابة الابناء أدى الى التسيب والانحلال ، حتى أصبح التهور والشذوذ طابعاً لهم في كثير من سلوكهم وطغت ظاهرة الترف على حياتهم .

ثانياً : التربية الايمانية

ان الهوى والغرائز الشهوانية في الانسان هي من أقـوى وأخطر الغـرائز الكامنة في الانسـان ، وهي بدايـة طريق المـآسي والمشاكـل . . . فالميـول المكبوتة عندما لا ترى استجابة صحيحة ورشيدة لهدايتها تتفجر في الانسـان عقداً عظيمة ، والخرافات هائلة تتجه بالانسان نحو الترف :

« مثل الدنيا كمثل الحية : لين مسها ، قاتل سمها »[1] .

أساس الانحراف وطغيان الانسان من تعلق قلب الانسان بالدنيا كما يقول الرسول (ص) :

« حب الدنيا رأس كل خطيئة »[2] .

لذا كي نقف سدّا امام مغريات الدنيا وايقاف نزيف الترف من حياتنا لا بد أن تكون البنية الأساسية للأسرة قائمة على الايمان والتقوى ، والإعراض عن التعلق بالدنيا .

ثالثاً : الانفاق والاحسان :

ان الترف كظاهرة اجتماعية عندما تطغى على شخصية الانسان تُفقده الإحساس باخوانه في الدين والخلق ، وتنمي في الانسان الأنانية والفردية في العيش الرغيد . . فلكي نتغلب على هذه الحالة الشاذة السلبية لا بد لنا من مقاومة الرؤية الانانية فينا عن طريق الانفاق والاحساس ، فيقول الله تعالى :

﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[3] .

والانفاق والاحسان ليس بمعنى عطاء ما يزيد عن حاجتنا بل اعطاء ما نحب ونرغب ، لان الانسان متعلق بالدنيا ، فاذا أراد التجرد منها يجب ان تكون لديه ارادة التخلص من التعلق فيها عبر الانفاق ، والله تعالى يقول :

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٦٨ وقصار الحكم ، الحكمة : ١١٩ . وغرر الحكم : ص١٩٦ ح٣٧٤٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج١ ص١٢٨ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٠

﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [1] .

فـذلك يبني في الانسـان روح تحسس آلام الآخـرين والعـطف عليهم ومسـاواتهم فيعيش آلامهم ومصائبهم . . سليمـان النبي (ع) كان ملكـاً على الخلائق كلها يعرف سرهم ولغتهم . . وكان مع كل هذه الثروات والجاه كان يفترش الطعام لآلاف الناس ليأكلوا على مائدته ، بينما كان هو يأكل خبز الشعير مع التمر وذلك من كدّ يمينه وليس من خزائن الدولة ، هناك حقيقة وسنة من سنن الحياة اذا استوعبها الانسان فلا يقتر ولا يسرف ولا يترف ، انما اذا لم يعِها فان مصيره الحياة المترفة ، وهي ان الانسان بذاته لا يملك ملكاً ذاتياً فهو يولد عرياناً ويذهب من هذه الدنيا عرياناً ، والامانة التي بيده اما هو مفارقها أو هي مفارقته ، فلا تبقى وتخلد معه كما لم تخلد وتبقى مع غيـرهم من السلاطين الملوك :

﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها﴾[2] .

فلكي يتغلب الانسان على الترف يجب ان يواجه ويتحدى ضغط الترف بالعطاء والانفاق على المساكين والمحتاجين والعاملين ، وان يبحث عنهم لكي يطهر نفسه من التعلق بالدنيا وزينتها ، وهذا لا يعني البذل والسخاء في الدنيا انما لله وفي الله ، فكلما كان عطاء الانسان في سبيل الله كان تقربه الى الله وتباعده عن الدنيا وزينتها أكثر الناس قربا من الله ، أكثر الناس بذلاً وسخاءً ، فكما يقول الرسول (ص) :

« ما جبل الله أولياءه الا على السخاء وحسن الخلق »[3] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٩٢

(٢) سورة الروم ، الآية : ٩ .

(٣) تنبيه الخواطر : ج١ ص١٧٠ .

يروى عن الإمام الحسن (ع) . بانه لم يقل لسائل لا قط ، فقيل له : لأي شيء لا نراك ترد سائلاً قط؟

فأجاب : « اني لله سائل وفيه راغب ، وانا استحي ان أكون سائلاً أو أرد سائلاً ، وان الله عودني عادة ان يفيض نعمه علي ، وعودته ان أفيض نعمه على الناس ، فأخشى ان قطعت العادة ان يمنعني العادة » .

وانشد يقول :

اذا ما أتاني سائل مرحبا بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله على كل فاضل وافضل ايام الفتى حين يسأل

صحيح ان الاحسان والانفاق يدفع الانسان الى نكران الذات ، ونبذ الحياة المترفة ، انما في الوقت نفسه يجب ان لا يكون ذلك منّة على الله والمؤمنين ، فلا يدعوه ذلك الى التفاخر والعجب بنفسه فيتعالى على بني خلقه حتى يدعوه ذلك الى الكبرياء والتفضل على الناس ، فعن الرسول (ص) قال : « ان العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

فلا يقول كما قال صاحب الجنتين في سورة الكهف :

﴿انا أكثر منك اموالاً وأعز نفراً﴾[1] .

فهذا ليس فقط يفسد العمل انما ينمي روح التعالي والأنفة وبالتالي الترف في الحياة .

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٣٤ .

رابعاً : الشكر :

ان الذي يطغى ويترف في الحياة كل اعتقاده بان هذا من كـدّ يمينه ، وعرق جبينه ، وبالتالي هو حرّ في التصرف فيها كما يهوى ويرغب ، بينما لو تبصر قليلا في الوسائل التي أتت له بالمال من عقل وصحة وقوة . . كلها من نعم الله علينا ، فنحن لم نولد وبيدنا صكوك الملايين والظروف المادية المتوفرة كي نسرف ونترف في صرفها ، بل هي أمانات وعهود وابتلاء لنا كيف نستطيع التصرف فيها ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿انما اموالكم وأولادكم فتنة﴾[1] .

هذا اختبار واستدراج في كيفية التعامل مع الثروة أو المنصب أو القوة . . اذا آمنا بحقيقة هذه النعم من الله وبالتالي نشكر الله على هذه الخيرات ونبذلها لكي نكسب رضوان الله والآخرة نجحنا والاّ سوف تكون نقمة علينا ، وتجرّنا المعاصي الى حياة البذخ والترف .

الامـام علي (ع) يقـول : « اذا أتتكم أطـراف النعم فـلا تـردوهـا بقله الشكر »[2] .

ويقول الباريء عزّ وجلّ :

﴿لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾[3] .

هناك علاقة طردية بين الشكر والنعم ، بمقدار ما يشكر الانسان تـدوم وتزداد عليه النعم ، وبالشكر تدوم النعم .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢٨ .

(٢) أنظر نهج البلاغة : قصار الحكم ، الحكمة : ١٣ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

ما الشكر؟ هو ردّ الجميل ، حالة نفسية اجتماعية في انسان عوض عن الخدمة المقدمة للانسان ، تشكر انساناً اذا قدم لك خدمة او أعانك أو . . . الشكر تارة يكون الشكر قلبياً بأن يؤمن الانسان ان كل النعم والخيرات التي بيده من عند الله وبالتالي مرجعها لله .

يولد الانسان عرياناً ويموت هكذا فالله هو الرازق والمنعم والمحسن . . . وما النعم التي بيدنا إلا أمانات ، سوف نحاسب عليها بكل دقة كما يحاسب التاجر محاسبيه حساباته ، بل حساب الله أدق وأصعب .

﴿واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون﴾[1] .

كما قال داود (ع) : « وشكري لك نعمة أخرى منك توجب عليّ الشكر لك »[2] .

وتارة يكون الشكر باللفظ كما يقول الحكماء : الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم ، بأن دائما نتذكر وننبه أنفسنا بشكر الله على عطائه ، وما مستحبات الأكل والشرب من الابتداء بالبسملة والانتهاء بالحمد الّا تذكرة دائمة لنا بالشكر ، ثبتوا النعم بالشكر .

التذكرة والشكر اللفظي انما يعزز الشكر القلبي وينميه فكما يقول الامام علي (ع) : « اذا قصرت يدك عن المكافأة فأطل لسانك بالشكر »[3] .

فالذي دائم الشكر على نعم الله لا يفضل عن ذكر الله والاحساس بالنقص والعجز أمامه ، وبالتالي لا يفخر ويغتر بهذه الأموال التي بين يديه فلا

---

(١) سورة النحل ، الآية . ١١٤

(٢) المحجة البيضاء : ج٧ ص١٥١

(٣) غرر الحكم : ص٢٢٣ ح٤١٥٣ .

يترف . . . « وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين »[1] : الصادق (ع) . وتارة يكون الشكر شكراً عملياً ، كان الرسول (ص) قد أرهق نفسه في الصلاة والعبادة والقيام وفي ليلة كان عند عائشة ، فقالت : يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

فقال : « يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً »[2]؟

فأنزل الله سبحانه وتعالى

﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[3] .

بالشكر العملي ليتصاعد الانسان الى نكران الذات بالعطاء وارجاع الامانة والانفاق في سبيله كما في الحديث الشريف : « افضل الشكر الانعام بها »[4] .

رجل رأى في المنام انه سوف تمر عليه مرحلة في حياته تنزل عليه النعم والثروات . . وبعدها تمر عليه سنوات عجاف والفقر والحرمان . . . وبعد مدة من الزمن تحقق جزء الأول من حلمه ، فأخذت النعم تنزل عليه من محل حبوب ، ومكان الخيرات تأتي اليه كالمطر من حيث لا يحتسب ، فقام هذا الرجل بالانعام والانفاق على المحتاجين الفقراء من غير ان يفكر الادخار والجمع كالقول السائد (القرش الأبيض لليوم الأسود) ومرت أيام طويلة دون أن تنقطع النعم الالهية ، فجاء أحد الأنبياء وقصّ عليه الحلم ، وقال بأن المرحلة الآخرى لم تأتني ، فسأله النبي :

« ماذا فعلت بالنعم »؟

---

(١) الكافي : ج٢ ص٩٥ باب الشكر ح١٠ .
(٢) الكافي : ج٢ ص٩٥ باب الشكر ح٦ .
(٣) سورة طه ، الآية : ١ .
(٤) كما في الكافي : ج٢ ص٩٤ باب الشكر ح٣ .

قال : صرفتها في سبيل الله .

فقال : « ضمنت استمرارها » .

فالنعم ليست بيد الانسان لكي يحافظ عليها انما بيد الله يعطيها لمن يشاء وينزعها من يشاء ، عندما يكون الانسان موقن بأن كل ما لديه من الله فلا يتردد لحظة في الشكر والعطاء والانفاق . . . فعندما يعمر الانسان حياته بالشكر القلبي واللفظي والعملي فيعيش في ظل النعم الإلهية ويكون شاكراً في كل حال ، مما ينزع حب المال والتعلق بالدنيا من قلبه وسلوكه فلا يقدس الثروة ، ولا يعبد المنصب ، ويشفق على الفقراء ، كما يجب ان تعرف بأن التوفيق للشكر كذلك من نعم الله تستحق ان يشكر الله عليه ، لذا ورد :

« ان الله اوحى الى موسى (ع) يا موسى اشكرني حق شكري ، فقال يا رب كيف اشكرك حق شكرك ، وليس من شكر اشكرك به الا وانت أنصحت به علي؟ فقال يا موسى الآن شكرتني حيث علمت ان ذلك مني »[1] .

---

(١) الكافي : ج٢ ص٩٨ باب الشكر ح٢٧ .

الفرد الرسالي ومقاومة الترف

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوٰة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1] .

إذا ابتلي المجتمع بداء الترف فهذا الشيء لا يحرف اهتمامات الأمة إلى أمور جانبية تافهة ، ويعطي الأمور الجانبية أهمية قصوى فقط إنما كذلك يقوم بإذابة حدود الشخصية الرصينة ، وتمييع الشخصية الاسلامية ، لأن الشخصية الاسلامية متكاملة ذات أبعاد عديدة لا تتكامل إلا في أجواء نقية توفر لها عناصر القوة والمتانة ، وتزيل عنها عناصر التآكل والتصدع .

والفرد الرسالي ليس انعزالياً أو نخبوياً ، بل هو يمتد في عمق الجماهير يقول الامام علي : « كن في الناس لا تكن مع الناس »[2] .

لذلك هو معرض للتأثر بواقع المجتمع السلبي كالترف مثلاً ، قد يبقى

---

(١) سورة النور ، الآية : ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) أنظر ميزان الحكمة · ج٦ ص٣١٧ باب ٢٧٣٠ .

الفرد محاصراً بالترف في اسرته ويقع تحت الضغوط الأسرية التي تدفع بأبنائها لكي يكونوا فريسة الدينار والمظاهر ، وما لم يتمتع هذا الفرد ببعض المميزات ، وما لم يكن له برنامجاً لمقاومة الترف في حياته وإلاّ فإنه سوف يقع فريسة سهلة للترف ، وبالتالي يكون في عداد الموتى .

والسؤال كيف يمكن ان نقاوم الترف؟

بناء الكيان الإيماني وسط الكيان المترف

إن ورقة الشجر لوحدها على الأرض الجرداء لا يمكنها ان تقاوم الرياح والعواصف العاتية وعوامل الطبيعة ، لأنها وحيدة لا تمتلك عناصر المقاومة لتلك التحديات فتعصف بها الرياح ، وتذيبها عوامل الطبيعة ، اما اذا تجمعت الأوراق على غصن بفرع الشجر ثم الساق ثم الجذر وتوفرت التربة الصالحة وأشعة الشمس والماء فإنّ أي ورقة في هذا الكيان لا تتأثر بتلك العوامل بل تتحداها ، لماذا؟

لأنها تصبح كيان يملك عنصر التحدي من تماسك وقوة ، ويحمل بذور النمو والتكاثر ، كذلك الفرد في الوسط المترف من الصعب عليه ، إن لم يكن من المستحيل ان يستمر ويبقى ثابتاً أمام مغريات الحياة المادية ، والأجواء المترفة ، والوسط الفاسد المنحلّ ، فلكي نحافظ على الفرد وهو ينمو في الوسط المترف لا بد من ضرب حصار حديدي سميك لكيان ايماني لا تستطيع اغراءات المادة والأجواء المترفة النفوذ اليه ، ان الفرد المؤمن في الأجواء المترفة وخاصة اذا كانت الأسرة هي التي تمثل هذه الأجواء أمام خيارين : إما الانصياع والذوبان في هذا الوسط والأجواء المترفة ، أو تحدي هذا الواقع ومقاومته ، وبناء كيان ايمانه والله يأمرنا أن نتخذ الموقف الثاني حتى لو كان الأمر

يتطلب اتخاذ موقف من أقرب الناس لديك ، صحيح ان طاعة الوالدين واجبة لكنها في حدود الشرع والقوانين الالهية .

ففي الحديث الشريف : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[1] .

فكما ان القوانين الوضعية لا تسمح لك ان تطيع والديك في بعض المواقع ، فإذا قال أبوك اذهب وتجاوز على كل اشارة حمراء في الشارع ، هل تعمل هذا العمل؟ لا ، لماذا؟ لأن هناك قانون وضعي يأمرك بغير ذلك .

كذلك الأمر بالنسبة للقوانين الألهية :

﴿وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾[2] .

الرضوخ الكامل بالخير والشر والحسن والقبيح للأسرة شرك ، لأنك اشركت في طاعة الله طاعة الأسرة بما يخالف طاعة الله ، وبالتالي الاستسلام للواقع المترف شرك .

تقديس الأسرة والانصياع لها لا تكون لذات الأسرة انما لمقدار توافقها مع مبادىء السماء ، والطاعة تكون في حدود التزام الأسرة بالمنهج الرسالي .

اسرة قائمة على العلاقات المصلحية والروابط المزيفة قبلتها اللذة والموبقات وقتها الضائع بالسهر والسمر والأفلام الخليعة . . همها علفها ومأكلها . . . وتهدر اوقاتها بالترفيه واللهو . . . كيف يمكن للفرد ان يخضع ويستسلم لها .

إنما العمل الصحيح هو التصدي ببناء كيان ايماني يحمل في طياته القدرة على المقاومة ، وتوسيع رقعة هذا التجمع الرسالي فيها .

---

(١) العوالي : ج١ ص٤٤٤ ح١٦٤ .
(٢) سورة لقمان ، الآية ١٥ .

ان تغيير مجرى واقع مترف ليس بالأمر البسيط والسهل ، لأن العملية تتطلب مقارعة الأهواء ، ومقاومة اللذة ، والكف عن كل أنواع الرذائل والمغريات . . . ونبهنا الرسول (ص) قبل ١٤٠٠ سنة الى هذه الحياة المترفة وكيفية التعامل معها فقال :

« سيأتي قوم بعدي يأكلون أطايب الطعام وأنواعها ، وينكحون أجمل النساء وألوانها ، ويلبسون ألين الثياب وألوانها ، ويركبون أقوى الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس من الكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون فيها ، اتخذوها آلهة دون الهتهم ، وربّاً دون ربهم ، إلى أمرهم ينتهون ، وهواهم يلعبون ، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان ، من عقب عقبكم وخلف خلفكم ، ابدا لا يسلم عليهم ، ولا يعود مرضاهم ، ولا يتبع جنائزهم ، ولا يوقر كبيرهم ، ومن يفعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام »(١) .

وعلى ذلك لا يمكن ان نقف أمام الأجواء المترفة الآ عبر كيان إيماني يحمل بذور القوة وعناصر المقاومة لكي تستطيع ان تصمد أمام زحف التملك والميوعة والترف .

١ ـ الروابط الإيمانية :

لكي نبني منزلاً جميلاً قوياً لا بدّ من توفر المواد الأولية الجيدة ، ولا بدّ من وجود الروابط المتينة بين أجزاء المبنى من حيث القوة والشكل ، كي يظهر بمظهر الجمال مع المحافظة على قوته ومتانته .

كذلك الحال بالنسبة للتجمع الايماني لكي يحفظ قوته ، ويقاوم عوامل

(١) تنبيه الخواطر ج١ ص١٥٥ .

الضعف ، لا بدّ من توافر روابط وعلاقات ايمانية قائمة على أسس المبدأ والقيم الرسالية فقط ، لكي تكون نموذجاً ورمزاً في مقابل الروابط والعلاقات الزائفة ، والمبنية على أسس مادية كالمال والمصلحة واللهو . . عندما يصعد الانسان في علاقاته الى مستويات القيم الالهية كالوفاء والايثار ، والصدق ، والأمانة . . يسمو في مقاومته مع الناس إلى قمم القيم والمعنويات بدل التزلف والنفاق والمصلحة التي تولدها الروابط الدنيوية كما يقول الامام علي (ع) :

« اجسادهم في الدنيا وقلوبهم معلقة بالرفيق الأعلى »[1] .

فالقواعد والأسس التي رسمها الله لنا عبر منابع الثقافة الاسلامية هي مرتكزات بناء العلاقات الايمانية بيننا فعن الامام الصادق (ع) :

« عليكم بتقوى الله والورع وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار . . . »[2] .

ولكن حقيقة الوضع والحياة التي نعيشها اليوم وصلت بنا الدوائر في المعيشة المترفة والحياة الغير إسلامية الى درجة ان الكثير يعتبر هذا النمط من الروابط والعلاقات انما هو ضربا بالخيال والمثالية ، ولكن عندما نضع التجمع الايماني ونبني العلاقات الأولية على أسس القيم والمبادىء ، نتحسس نقاءها ، ونتلمس صفاءها وبالتالي تكون أمور طبيعية لأن الانسان أساساً جُبل على الخير والفضيلة ، وهي من السمات الفطرية في الإنسان .

صحيح ان المؤمن في التجمع الإيماني يمكن او يواجهه بعض المشاكل والمصاعب في طريقه انما الهدف السامي والمسؤولية الالهية التي يرمي إليها تستحق تحمل التعب والمعاناة والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه :

---

(١) كما في نهج البلاغة : قصار الحكم ، الحكمة ١٤٧ .

(٢) الكافي : ج٢ ص٧٧ باب الورع ح٩ .

﴿ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور﴾[1]

وجاء في دعاء الامام زين العابدين (ع) : « وامنن علينا بحسن الاستعداد لنزول البلايا » .

كما ان المؤمن يجب ان يكون على يقين من قدرته على التأثير وتوسيع نطاق التجمع لأنه يستمد قوته وقدرته من الله وليس من المال أو المنصب أو الناس . . . وما كان لله ينمو .

فهو مثال وقدوة وتجسيد للرسالة ، وبالتالي العلاقات المبدئية للأسرة فكما يقول الامام الصادق (ع) :

« كونوا للناس دعاة من غير ألسنتكم »[2] .

أي بالسلوك والروابط والخلق الحميد .

فهذا يجعل الفرد المؤمن مكان اجلال واحترام في الأسرة حتى لو لم يوافقوه رأيه . فكما كان الرسول (ص) مثال الاخلاق والتعامل المبدئي ، حتى أن أخلاقه كانت شعار رسالته حين قال تعالى :

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[3]

٢ ـ الزهد والاقتصاد :

الانسان طبيعته طبيعة طينية ومتعلقة بالمادة ، فحينما يجوع البطن ، ويعطش الكبد ، وتثور الشهوة وبالمقابل تتوفر الامكانيات المادية ، والاجواء المترفة ، والميول الحيوانية ، ترى نفسية الانسان تخضع ، وإرادته تتميع أمام

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٤٣ .
(٢) الكافي . ج٢ ص٧٨ باب الورع ح١٤ .
(٣) سورة القلم ، الآية : ٤ .

هذه المؤثرات ، فتنطلق الشهوات والأهواء دون قيد حتى تطغى على الروح والقلب طلاء الترف ، فلن يعد يتقبل ولا يستجيب لنداء العقل .

ولكن في الكيان الايماني يحمل المؤمن ارادة قوية يستطيع بها حفظ نفسه أمام مغريات المادة ، وحتى التأثير على المحيط المترف ، وقوة ومتانة هذه الارادة تنبع من علاقة الانسان بالله . . عندما يتعلق قلب المؤمن بالله ، ويبني علاقة عبد بمعبود ، وعاجز بقادر ، تسمو روحه إلى آفاق القيم السامية ، والايمان ، والتقوى .

قال الامام علي (ع) : « كبر الخالق في أنفسهم وصغر ما دون ذلك في أعينهم »[1] .

إنما كيف نبني هذه العلاقة لكسب ارادة المقاومة؟

ان عدكم التعلق بالدنيا ومفاتنها هي المرحلة الأولى والبداية السليمة لخلق مناخ روحي ، ونفسية عالية لمقاومة الأجواء المترفة ، لا أن نترك ونطلق الدنيا ، لأن الدنيا مزرعة الآخرة ، إنما عدم التهافت على شرها ، والانصراف عن ملاذها المحظورة .

قال الرسول (ص) : « من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره . . . ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه صنيعه وجعل غناه في قلبه »[2] .

ان لا نجعل كل همنا في الدنيا زخارفها وحطامها ، ونتلف كل حياتنا في كسب وتكديس المال ، وارضاء الميول الجنسية . . . قال الرسول (ص) : « انّ

(١) نهج البلاغة : الخطبة : ١٩٣ .
(٢) بحار الأنوار : ج٧٠ ص١٠٤ .

حب الدنيا رأس كل خطيئة »[1] .

وليس الزهد بمعنى الانزواء والرهبنة انما بمعنى عدم التعلق القلبي في الشيء ولمعرفة معنى الزهد رويت قصة عن زاهد جاء أحد السلاطين المترفين وهو في مترفه وجاهه ، والتفت إليه السلطان قائلاً : أنت زاهد؟

فقال الزاهد : أنت أزهد مني .

فقال السلطان : كيف؟

فقال الزاهد : لأني زهدت في الدنيا الفانية وأنت زهدت في الدنيا الباقية .

فمعنى الزهد هو الاعراض القلبي عن الشيء .

أخذ عيسى بن مريم الحواريون معه كعادته ، وذهب الى مدينة من المدن ، وقبل أن يصل إلى المدينة رأوا كنزاً متناثراً على الأرض ، فبدأ أصحابه والحواريون يجمعون في هذا الكنز واشتغلوا به وطلبوا من عيسى أن يأتي معهم ويجمع من ذلك الكنز ، فقال :

« أنا عندي كنزاً في داخل المدينة » .

وذهب الى المدينة وطرق الباب على إمرأة عجوز لها ولد حطاب ، فأكرمته ، وبقي عندها ، فجاء في الليل الولد من الصحراء وجلس عند عيسى ، فشعر عيسى أن هذا الولد عنده حاجة ، فسأله حاجته ، فقال عيسى (ع) :

« هل لك حاجة » .

قال الولد : عندي مشكلة ولكن لا يمكن حلها .

---

(١) تنبيه الخواطر : ج١ ص١٢٨ .

قال عيسى : « أنا أحلها لك » .

فقال الولد : لا يمكن .

قال عيسى : أنا أحلها لك .

فقال الولد : المشكلة أنني حطاب وأرغب في الزواج من ابنة الملك .

فقال عيسى : « أنا أحلها لك » .

فذهب الرجل إلى أمه وقال لها : هذا الرجل الغريب الذي أتى إلينا ويبحث عن مأوى قال لي « أنا أحل مشكلتك » .

فقالت الأم : إن فيه سمات الصالحين لعله صادق .

فأصبح الصباح وأتى الشاب الى عيسى وقال له : حل مشكلتي .

فقال عيسى (ع) : « اذهب الى الملك واطلب يد ابنته » .

فذهب الشاب إلى الملك وطلب منه التزويج من ابنته .

فقال الملك : إن ابنتي ابنة ملك وهي معتادة أن تنام على فراش وثير حرير وأنت ماذا تشتغل؟

الشاب : حطاب .

فرأى الملك ان حطاب فقير لا يليق به أن يتزوج ابنة الملك فطلب منه بعض المال والذهب .

فذهب الشاب الى عيسى (ع) وشرح له ، فأخذ عيسى (ع) مقدرا من تراب الأرض واعطاه الشاب فتحول إلى ذهب ، فذهب بها إلى الملك ، فاعتقد الملك ان الشاب قد اكتشف كنزاً ، فطلب المزيد من الأحجار الكريمة ، فأعطى عيسى (ع) الشاب حصى تحولت الى أحجار كريمة ، وتزوج الشاب ابنة

الملك ، وفي الليلة الثانية عين وليا للعهد ، وفي الليلة الثالثة مات الملك فأصبح الحطاب هو الملك ، وأخذت الوفود تأتي لتهنّئه ومن جملتهم النبي عيسى (ع) ، ولما أراد عيسى (ع) الخروج قال له الحطاب الملك : أنت الغريب الفقير مع الثياب الرثة التي عليك اذا كان باستطاعتك ان تحول حطاب الى ملك خلال ثلاث ليالي لماذا لم تفعل ذلك لنفسك .

قال عيسى (ع) : « أنا أطلب ملكاً ولكن لا أطلب ملكا يبلى » .

قال الملك : ما هو ذلك الملك

فأخذ عيسى (ع) يشرح له حول القيامة والجنة التي عرضها السموات والأرض .

فقال الملك : اذا كان هنالك ملكا لا يبلى واعظم من هذا فلماذا أبتلي اذا بهذا الملك .

فقال النبي عيسى (ع) : « باستطاعتك ألا تبتلي ، أترك ما أنت فيه وتعالى معي » .

فخلع ثياب الملك ولبس ثياب الحطاب وخرج مع عيسى ، وكان الحواريون قد جمعوا الكنز ، فلما عاد عيسى (ع) نادوه وقالوا : تعالى هذا هو الكنز .

فقال عيسى (ع) : « كنزي هذا الرجل ، انتم عند بعض الأحجار نسيتموني وأنا نبيكم ولكن الرجل هذا أصبح ملكاً وترك الملك » .

ان الزهد يجب ان يتحول في حياة الفرد الرسالي إلى برنامج يومي يوجه السلوك الاقتصادي لدى الفرد في المأكل والملبس . .

فمن صفات المتقين كما يذكر الإمام علي (ع) في نهج البلاغة :

« ملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع »[1] .

وفي حديث للمسيح عيسى بن مريم (ع) يقول :

« أكلي ما تنبته الأرض وشربي ماء الفرات ، فراشي التراب ، وسادتي الحجر ، لباسي الشعر ليس لي ولد يموت ولا إمرأة تحزن ولا بيت يخرب ولا مال يتلف فأنا أغنى ولد آدم »[2] .

ويقول الامام علي (ع) :

« طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً وماءها طيبا والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً »[3] .

كما أن المترفين لا يبالون بالله وبالآخرة والقيم والمبادىء ، فان الانسان الزاهد لا يبالي بأمور الدنيا ، لا يبالي بماذا يأكل ، لأن الأكل لسد الجوع ، ولا يحرص ويجعل جل اهتمامه في نوع الملبس ، وموديل الأثاث في المنزل ولون السيارة . . فعندما يخلع الانسان تعلقه بالدنيا ، لا ينهار أمام المشاكل والمصاعب :

« من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات »[4] .

لأن ليس في قلبه من الدنيا ما يخاف عليه من الفقدان او الحرمان ، وبالتالي نظرته الى حطام الدنيا تكون نظرة كبير الى لعبة اطفال لا يبالي ولا يهتم ، وليس الزهد ايضا هو كثرة الصلاة والصيام ، فلو صلى الدهر كله ،

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة : ١٩٣

(٢) أنظر بحار الأنوار : ج١٤ ص٢٣٩ والبحار : ج٧٠ ص١١٠ . وتنبيه الخواطر : ج١ ص١٤٣ .

(٣) نهج البلاغة : قصار الحكم ، الحكمة : ١٠٤ .

(٤) الكافي : ج٢ ص٥٠ باب صفة الإيمان ح١ .

وصام الليل كله وقلبه متعلق بالدنيا لا يمتلك ارادة قوية وروحية عالية .

قال الرسول (ص) : «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار» .

فقيل : يا رسول الله أمصلين؟

قال : « نعم كانوا يصومون ويصلون ، يأخذون وهناً من الليل ، فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه »(1) .

القضية ليست بكثرة الصلاة والصيام وانما بمدى تعلق الانسان بالله وتجرده عن حب الدنيا .

مر موسى (ع) برجل يبكي ، وذهب ، ثم ذهب ومر عليه ورآه يبكي . فقال موسى (ع) : « يا رب عبدك يبكي من مخافتك!! »

فقال الله تعالى : « يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا ، لم اغفر له وهو يحب الدنيا »(2) .

في زمن الوزير أبي محمد المهلبي ، دخل عليه الشريف الرضي (وهو جامع كلمات الأمام علي (ع) في نهج البلاغة) فاحترمه كثيرا وحينما خرج الشريف الرضي التفت الوزير فقال أبي محمد : ان هذا الرجل يستحق التكريم .

قال الرجل : ولم

قال : حاولت معه ثلاث مرات أن أعطيه شيء من المال فرفض .

---

(1) تنبيه الخواطر : ج1 ص131 .
(2) تنبيه الخواطر : ج1 ص134 .

في المرة الأولى قالوا له : المال لك .

قال : لا أحتاجه .

وفي المرة الثانية أرسلت المال باسم القابلة فقال ; نحن لا نحتاج لأن القابلة منا وهي إمرأة من العائلة لا تأخذ أجراً .

وفي المرة الثالثة أرسلت له مبلغاً من المال في المدرسة للشريف الرضي تسمى بدار العلوم ، وعندما ذهب به رسولي وضع المال في صحن وأخذ المال إلى الشريف الرضي فامتنع عن أخذه وقال : لا أحتاجه ، والتفت إلى الطلاب وقال : هل منكم أحدا يحتاج هذا المال؟

كلهم رفضوا إلا واحداً منهم قال : نعم أنا أحتاج .

وقدمت الصحن له وبه ١٠٠ الف دينار فأخذ ديناراً واحد ، وصرف الدينار وأخذ منه مبلغ يسير وأرجع الباقي ، وقال : أنا أحتاج هذا المبلغ فقط .

فالتفت الشريف الرضي اليه وقال : لم أخذت .

قال : أنا في الشهر الماضي احتجت الى زيت للسراج لكي أطالع ولم يكن عندي شيء من المال ، فذهبت الى البقال ، واستقرضت منه شيئا من الزيت ولم أكن املك ما أرد الدين لهذا أخذت هذا المبلغ للبقال .

فنادى الشريف الرضي خادم المدرسة ، وأعطى له مفتاحاً وقال له : إصنع لكل طالب من هذا المفتاح واحداً (وهو مفتاح المخزن) .

وقال لهم : كلما احتجتم إلى شيء فخذوه من المخزن ولا حاجة أن تأخذوا من هؤلاء .

الصمود النفسي :

﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون﴾[1] .

البعض من المؤمنين يعلمون أنهم ضمن الكيان الإيماني وانهم على الحق ولكن عندما ينظرون إلى الجهة الأخرى . . . المترفون وإلى العامة من الناس التي تلهث وراء المادة وتتظاهر بها . . . ينهزمون نفسياً وهذه الهزيمة النفسية سرعان ما تتحول الى هزيمة في شخصية الفرد فينهار أمام زينة الحياة .

يرى الآخرون يلبسون أفضل الثياب ، ويركبون أجمل السيارات ، ويأكلون اشهى الطعام ويسكنون أفخم المنازل ، وسيلٌ آخر من الكماليات التي تخيم على الأسر اليوم فيتساءل عبر وساوس الشيطان وتسويل النفس ما حصدت من العمل في سبيل الله غير التعب والمصاعب والاهانات؟! ولم أجد الفرصة الكافية للحصول على تلك المظاهر ، كما قال بعض أصحاب موسى **﴿ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾** .

إن من أكبر الضغوط التي يواجهها الفرد الرسالي اليوم هي الضغوط النفسية التي يسببها التوجه العام المترف في المجتمع والذي يجر الفرد للتوافق معه ، قد لا ينهار الفرد في البداية ولكن الانحراف دائماً يبدأ بخطوة ، وعندما ينساق الفرد الى هذه الخطوة فان الخطوات الأخرى سوف تتلاحق ، لذلك لا بد أن يتحلى بالصمود النفسي ويفكر عبر المنطق الايماني **﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا**

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٧٩ ـ ٨٠ .

الصابرون﴾[1] .

ان الفرد يجب عليه ألا يجلس وينتظر ويكون فريسة للترف ، بل عليه ان يتخذ موقعاً هجومياً تجاه الترف ، فكما أن ظاهر الترف هو الراحة واللذة فان واقع الترف مؤلم ، لأنه (الشقاء/ عدم الاطمئنان/ ضعف الارادة/ الجحود) .

وعلى الفرد ان يذكر نفسه دائماً بالواقع الحقيقي للترف ، ويكشف ذلك الواقع المزيف ، لأن ذلك يعطي للفرد مناعة نفسية ، وليستقرأ واقع المجتمع حيث التفكك الأسري ، الميوعة ، الفساد والشذوذ الجنسي ، الجريمة والمخدرات ، الانهيار النفسي ، ان كل ذلك هو افراز الترف .

الفاعلية والعمل المضاعف :

الإنسان مفطور على النشاط والعمل ، لذلك نرى الطفل في حركة دائبة من اللعب والحيوية والنشاط . .

والذي لا يمتلك هذه الحيوية لا بد أنه مصاب بخلل ، ذلك جسم الانسان ، الخلايا ، وكريات الدم الحمراء والبيضاء ، وعضلات القلب ، والجهاز الهضمي في حركة دائمة ، كذلك الانسان فهو مجبول على الحيوية والنشاط ، والمحرك الرئيسي لهذا النشاط هو الطموح ، والاسلام يوجه هذا الطموح الى جهة الخلد ومرضاة الخالق عزّ وجلّ .

﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾[2] .

فعندما يكون الهدف جنة الخلد وملكا لا يبلى يدعوه الى الاستمرار في

---

(١) سورة القصص ، الآية : ١٨٠ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

العمل دون كلل او ملل تجاه كسب الآخرة ومرضاة الله ، فاستمرار العمل والنشاط في سبيل الله يكسب الآخرة من جانب ويحول دون ايجاد الفراغ ، وبالتالي عدم فتح المجال لحياة الترف والانحلال من جانب آخر والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿واذا فرغت فانصب والى ربك فارغب﴾(1) .

فمن صفات المؤمن في الكيان الايماني استمرار العمل بشكل مضاعف والفاعلية فعن الامام الصادق (ع) :

« الابقاء على العمل أشد من العمل »(2) .

فلا يكفي الايمان والعمل اذا ما استمر حتى يتحول الى تقوى أي استمرار دائم للعمل فكما يقول الامام علي (ع) :

« وليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة »(3) .

وكما جاء القرآن الكريم : **﴿وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءاً غدقا﴾**(4) .

المناظر المحيطة بالانسان في الأجواء المترفة تتطلب أن يكون الانسان دائم الحذر ، دائم النشاط والعمل في سبيل الله ، وهذا هو مكمن الخطر في حياة المؤمن الرسالي في التجمع الايماني ضمن الوسط المترف ، فعلى المؤمن ألا يغتر بأنه كان مؤمناً تقياً في مدة معينة من حياته فكما جاء في الحديث :

---

(1) سورة الشرح ، الآية : ٧ .
(2) الكافي : ج٢ ص٢٩٦ ح١٦ .
(3) تحف العقول : ص٧٠ .
(4) سورة الجن ، الآية : ١٦ .

« العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له »[1] .

ومن أكثر العوامل التي تستدرج المؤمن في الكيان الايماني هو العجب ، فعن الرسول (ص) : « ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه »[2] .

إنما على المؤمن أن يرى أنه دائماً مقصر ودون مرتبة الكمال ويرى ما حوله من أجواء الترف وانخراط الأمة في الترف والتخلف الذي تعيشه البلاد الاسلامية فلا يقف عند حد في العطاء ويرى نفسه ذليلاً أمام الله .

في الحديث ان الله تعالى أوصى موسى (ع) : « ان يا موسى أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال يا رب ولم ذاك ، قال : فأوحى الله تبارك وتعالى اليه ، اني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم أجد فيهم أحدا أذل نفساً لي منك يا موسى ، انك اذا صليت وضعت خدك على التراب »[3] .

فكثير من المؤمنين كانوا شعلة من النشاط ، وقمة في العطاء ، وقاوموا الواقع المترف والمنحل لسنوات عديدة في لحظة وزلة بسيطة ، انحرفوا وذابوا في الوسط المترف ، فلكي نقف ونستمر في مقاومة الأجواء المترفة وتحديات المادة والنفس لا بد لنا من كيان إيماني قائم على الورع والتقوى والعطاء المستمر .

البرمجة الروحية :

لكي يتجرد الانسان من حب الدنيا والتعلق بها ، ولكي يكون قلبه مهيّأ

---

(١) بحار الأنوار : ج٦٩ ص٣٢٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٦٩ ص٣١٤ .

(٣) الكافي : ج٢ ص١٢٣ باب التواضع ح٧ .

لبناء روابط وعلاقة مع الله ، لا بدّ من برنامج روحي عبره يقوم بالتزود بالقوى الايمانية للمقاومة ، فالارتباط بالقرآن يجعل الفرد يستلهم القوة والثبات فإنه شفاء للقلوب ، كان الأئمة والاوصياء عندما يتعرضون لمصائب وفتن فإنهم يرجعوا الى القرآن :

﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[1] .

كما أن الاهتمام بالفرائض والايتاء بالمستحبات والتدقيق فيها والتجنب للمكروهات تعطي الانسان زخماً روحياً وشفافية نفسية يقف فيها امام مغريات الحياة ، فكما أن الانسان يعطي من وقته عدة ساعات للأكل واللبس والراحة ، كذلك لبناء روحية عالية يجب الاهتمام بالعبادات اهتماماً بالغاً ووضع فترة معينة لذلك ، لا أن يأتي بها كواجب فقط ، انما اللقاء مع الله سبحانه وتعالى :

﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[2] .

حتى تؤدي دروها في ايقاف زحف الدنيا على الانسان .

فعندما يكرر يومياً ١٣ مرة على الأقل **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾**[3] بقلب ملؤه اليقين والأمل بالهداية سوف يهديه الله ، كما ان الصلاة بلا روح يمكن ان تكون غلاف مبطن بالترف فلم يصل الفاسد مفسداً ولا أهل النار الى سقر إلا حين استخفوا أو تركوا الصلاة :

﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين﴾[4] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٠٣ .

(٣) سورة الفاتحة ، الآية . ٦ .

(٤) سورة المدثر ، الآية ٠ ٤٢ .

﴿وخلف من بعدهم خلفا أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾(١)

فبالاضافة إلى هذه البرامج اليومية على المؤمن في الكيان الايماني ان يستغل ويستفيد من المناسبات والفرص ، ويعطيها بعداً روحياً حتى تكرس فيه القيم الروحية ، وتخلق أجواء بديلة عن اجواء الترف . . فبدل استغلال ليلة الجمعة في السهر والسمر على أشرطة الفيديو أو الرحلات الترفيهية . . . يقوم بعمل برامج روحية كختمة القرآن على أرواح الموتى أو دعاء كميل . . واستغلال واستثمار المواسم الاسلامية كشهر رمضان ومحرم . . لكي ينمي أجواء ايمانية في الوسط المترف ، فأينما يصل الانسان في وحول الرذيلة ، وغفلة الترف ، لا بدّ له من ساعات الرجوع والتذكرة ، واعادة التفكير في نفسه ، ولعل تكون هي الفرصة المؤاتية لنجاة مسلم ، وانقاذ انسان من الأجواء المترفة والمحيط المفسد ، ولكن من المسؤول في ذلك؟

المسؤول الأول والأخير هو الانسان نفسه :

﴿وهديناه النجدين﴾(٢) . أنت مسؤول عن انهيارها ووقوعها في غياهب الترف والتفسخ ، وأنت المسؤول الأول والأخير في بناء نفسك وروحك ، فلا يمكن ان يستطيع أحد أن يزكيك ويخرجك من حب الدنيا ورغبتك فيها الاّ نفسك التي بين جنبيك ، والله عبر القرآن والأنبياء وضع برامج عمل لنا وعلينا ان نلتزم بها أولا ودور الأنبياء لا يتجاوز التذكرة والتنبيه ، فكما يقول الباري عزّ وجلّ :

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة البلد ، الآية : ١٠ .

﴿فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾(١) .

ولا يتم نقاء النفس وبناء الروح في مواجهة الترف الا في ظل محاسبة يومية ودقيقة ، لأن الانسان يومياً معرض لاغواء الشيطان وغفلة الترف . . فلا بد من رقابة شديدة على تصرفاته واعماله كلها فكما في الحديث :

« حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا »(٢) .

وعن امير المؤمنين (ع) : « من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر »(٣) .

وأكثر الذين يخفقون في متاهات الترف هم الغافلين عن محاسبة النفس ، فعندما يعيش الانسان حالة الرقابة على النفس وأهوائها ، واعماله وسلوكه يبني ملكة التغلب على الاهواء والشهوات فيحاسب نفسه عند ارتكاب أي زلة ، ويعاقبها عند الوقوع في معصية ، وكما يقول الباري عزّ وجلّ :

﴿واتقوا الله حق تقاته﴾(٤) .

فلا يكفي ان يكون في فترة من حياته تقياً ورعاً ، انما يجب ان تدوم هذه الرقابة ، ويستمر الاتصال بالله حتى يدوم تعهده تجاه الأمانة الالهية التي حملها الله إياه .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً﴾(٥) .

---

(١) سورة الغاشية ، الآية : ٢١ .
(٢) غرر الحكم : ص٢٦٤ ح٥٠٢٠ . وتنبيه الخواطر . ج١ ص٢٩٨
(٣) نهج البلاغة : قصار الحكم ، الحكمة . ٢٠٨
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢
(٥) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

الفساد .... دمار الأسرة

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ، وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾[1] .

مجتمع لوط :

ذلك المجتمع الذي إنفجرت فيه قنبلة الحس[2] الموقوته فحطمت كل أركان الفضيلة والتقوى ، وتناثرت شظايا الفساد لتحرق اليابس والأخضر ، لم يكن مجتمع لوط منذ ولادته مجتمع الرذيلة ، لكنه وقع في أحضانها في النهاية ، فقد جاء في أخبار مجتمع لوط (ع) الآتي .

---

(١) سورة هود ، الآيات : من ١١٢ إلى ١١٧ .

(٢) كذا في الأصل والظاهر انها «الجنس» .

عن أبي جعفر (ع) قال : «كان قوم لوط أفضل قوم خلقهم الله تعالى ، فطلبهم إبليس لعنه الله الطلب الشديد ، حتى اكتفى الرجال بعضهم ببعض ثمَّ جعلوا يرصدون مارة الطريق. فيفعلون بهم حتى ترك مدينتهم الناس ، ثم تركوا نساءهم فأقبلوا على الغلمان ، فلما رأى إبليس لعنه الله أنه قد أحكم أمره في الرجال دار إلى النساء فصير نفسه امرأة ، ثم قال : إن رجالكم يفعلون بعضهم ببعض؟ قلن : نعم ، قد رأينا ذلك وعلى ذلك يعظهم لوط ، ويوصيهم حتى استكفت النساء بالنساء فلما كملت عليهم الحجة بعث الله عزّ وجلّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في زي غلمان عليهم أقبية فمروا بلوط (ع) وهو يحرث ، فقال : أين تريدون؟ فما رأيت أجمل منكم قط ، قالوا : أرسلنا سيدنا إلى رب هذه المدينة . فقال : أولم يبلغ سيدكم ما يفعل أهل هذه المدينة يا بني إنهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتى يخرج الدم ، . فقالوا : أمرنا سيدنا أن نمر وسطها ، قال : فلي اليكم حاجة قالوا : وما هي؟ قال : تصبرون ههنا إلى اختلاط الظلام ، قال : فجلسوا ، قال : فبعث ابنته فقال : جيئي لهم بخبز وجيئي لهم بماء في القرعة ، وجيئي لهم عباء يغطون بها من البرد . فلما أن ذهبت إلى البيت أقبل المطر وامتلأ الوادي ، فقال لوط : الساعة يذهب بالصبيان الوادي ، قال لهم : قوموا حتى نمضي ، فجعل لوط (ع) يمضي في أصل الحائط ، وجعل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل يمشون في وسط الطريق فقال : يا بني ههنا ، فقالوا : أمرنا سيدنا أن مر في وسطها ، وكان لوط (ع) يستغنم الظلام ، ومر إبليس لعنه الله فأخذ من حجر إمرأته صبيا فطرحه في البئر فتصايح أهل المدينة كلهم على باب لوط (ع) فلما نظروا إلى الغلمان في منزل لوط (ع) قالوا : يا لوط قد دخلت في عملنا ، قال : ﴿**هؤلاء ضيفي فلا تفضحون**﴾[1] قالوا : هم ثلاثة خذ واحداً وأعطنا اثنين ، قال وأدخلهم الحجرة

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٦٨ .

وقال لوط (ع) : لو أن لي أهل بيت يمنعونني منكم!؟ قال : وقد تدافعوا على الباب فكسروا باب لوط (ع) وطرحوا لوطاً ، فقال له جبرئيل (ع) : **﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾**[1] فأخذ كفاً من بطحاء فضرب به وجوههم وقال : شاهت الوجوه ، فعمي أهل المدينة كلهم فقال لهم لوط : يا رسل ربي بما أمركم ربي فيهم؟ قالوا : أمرنا أن نأخذهم بالسحر ، قال : فلي اليكم حاجة ، قالوا : وما حاجتك؟ قال : تأخذونهم الساعة ، يا لوط **﴿إنَّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾**[2] لكن ترحل فخذ بناتك وامض ، ودع امرأتك .

قال عزّ وجلّ لمحمد (ص) :

﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾[3] .

أي من ظالمي أمتك إن عملوا عمل قوم لوط »[4] .

اذن إن أي مجتمع قابل لأن يتحول إلى فوضى الجنس والشذوذ اذا لم يحصن نفسه ، ولما كانت الشهوات كالديناميت فإن الترف هو الفتيل الذي منه يتفجر الفساد .

وعندما غزا الترف الأسرة المسلمة قال الفساد : خذني معك فقد كان المجتمع الإسلامي ممثلاً بالأسرة المسلمة على درجة كبيرة من التقوى والتقدم ، لكنهم زرعوا ألغام الفساد في طريق هذه الأسرة الشامخة فأصبحت معظم الأسر تتلكأ في مسيرتها وهي تترقب الإنفجار في أية لحظة ، ويوما بعد

---

(١) سورة هود ، الآية · ٨١

(٢) سورة هود ، الآية : ٨١ .

(٣) سورة هود ، الآية . ٨٣

(٤) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ص٣١٢ عقاب اللواطي والدي يمكن نفسه واللواتي مع اللواتي .

يوم تتحطم الأسرة تلو الأخرى .

وإذا لم نتدارك الأمر فسيؤدي الأمر لانهيار المجتمع بأكمله ، لم يحدث ذلك بالصدفة والفجأة ، ولم يكن الاسلام غافلاً عن ذلك فقد وضع الحصن المنيع للأسرة ولكن القائمين على الأسرة المسلمة ضربوا بذلك عرض الحائط ، فحدث الانهيار ولا زال الانفجار يدوي عالياً .

اولا : إستراتيجية الإسلام في حماية الأسرة

(١) تحصين البيت معنوياً من الاعتداء الجنسي واللفظي :

المسكن هو الذي يمثل السكن في حياة الانسان ، أي الإستقرار والأمن ، ولا يمكن أن يكون البيت مصدرا للأمن والاستقرار إلا إذا إنعكس هذا الشيء على الأسرة ، لذلك تعتبر الأسرة حصن الانسان ، وقد فرضت فرضا في المجتمع الاسلامي ،.وفرض الله حرمة الاسرة بقوة العقوبات التي اوجبها على من يعتدي على نظام الأسرة ، وقد إختار القرآن أصعب العقوبات على من يتجاوز حصن الأسرة حيث الزاني والزانية يجلدا من دون رأفة إذا كانا غير محصنين ، والقرآن عبر سورة النور يتطرق لعقوبة الزنا قبل أن يبدأ بالتطرق للزواج ، وذلك لكي يؤكد على أنه من دون قانون يمنع الاعتداء على الاسرة ويحفظها فإن كل القوانين الأخرى لا تنفع شيئا ، ما هي فائدة الزواج في الغرب في الوقت الذي يجد الزوج سبيله إلى كل بيت؟

ان انتشار الزنى في المجتمع يعني انهدامه ، والاطفال سوف يتحولون إلى بؤر وجرائم شنيعة نتيجة للعقد المتراكمة ، لذلك تؤكد الروايات على هذا الجانب ألا وهو حرمة الزنى .

قال أمير المؤمنين (ع) : « ألا اخبركم بأكبر الزنا؟ قال : هي إمرأة توطىء فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فيلزمه زوجها فتلك التي لا يكلمها الله ولا ينظر إليها يوم القيامة ولا يزكيها ولها عذاب أليم »[1] .

وقد جعل الله عقوبة الزنا تنصب على جلد الانسان لأنه عبر ذلك حصل على اللذة الحرام ، وهذه الجلدات التي تنزل على جسم الانسان إنما هي ضربات موجعة لكي يتألم الانسان من نفس الموضع الذي تلذذ منه ، ومن باب كم من أكلة منعت أكلات ، وبالفعل كم من لذة جرّت ويلات .

وإذا كان الزنى كاعتداء جنسي على الأسرة ، فإن الإعتداء اللفظي المتمثل بزنى اللسان لا يقل خطورة عن ذلك ، لذلك فرض الله عقوبة شديدة على من يزني بلسانه حيث يشيع الفاحشة ، فالبيت الذي تلوكه الألسن بالتهم الفاسدة فإنه ليس محلاً آمناً فالإتهام يكون وسيلة رخيصة لإشاعة الفاحشة والمجتمع الذي سقطت فيه قيمة الأسرة ، إن هذا المجتمع يسهل عليه الهبوط إلى حضيض الفواحش .

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) قال :

قلت له : جعلت فداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات .

فقال لي : « يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك ، وان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولا فصدقه وكذبهم ، ولا تذيعن عليه شيئا تشينه به وتهدم به مروءته فتكون من الذين قال الله عزّ وجلّ .

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في

---

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ص٣١٠ عقاب الزاني والزانية

الدنيا والآخرة﴾[1][2] .

(٢) تحصين البيت من دخوله :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾[3] .

كان الرجل في الجاهلية يدخل البيت بلا إستئذان حتى إذا توسطه قال : دخلت ، وذلك خلاف العقل والأدب إذ لعل الرجل مع أهله ، أو لعل المرأة عارية تغتسل ، أو لعلهم يكرهون ان تقع العين على شيء من أمورهم ، ولهذا نهى الله سبحانه عن ذلك ، فمن آداب دخول البيت أن يستأذن الإنسان ثم يسلم ، واذا لم يجد فيها أحداً فلا يدخل البيت إلا إذا كان مأذونا في دخولها متى شاء من أهلها .

عن جابر عن عبدالله الأنصاري قال : « خرج رسول الله (ص) يريد ، فاطمة وأنا معه فلما إنتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه ثم قال : السلام عليكم .

فقالت فاطمة : وعليك السلام يا رسول الله .

قال : أدخل؟

قالت : أدخل يا رسول الله .

قال : أدخل ومن معي؟

---

(١) سورة النور ، الآية : ١٩ .
(٢) الكافي : ج٨ ص١٤٧ ح١٢٥ .
(٣) سورة النور ، الآية : ٢٧ .

قالت : ليس عليّ قناع .

فقال : يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقنعي به رأسك ففعلت .

ثم قال : السلام عليك .

فقالت : وعليك السلام يا رسول الله .

قال : أدخل؟

قالت : نعم يا رسول الله؟

قال : انا ومن معي؟

قالت : ومن معك؟

قال جابر : فدخل رسول الله ودخلت »[1] .

ومن أدب العائلة المسلمة أيضا أن يكون للزوجين أوقات خلوة لا يدخل عليهم من الخدم أو الاطفال أحد ، إلّا بعد الاستئذان ، فكما ان الاستئذان مطلوب ممن هم خارج البيت كذلك هو مطلوب ممن هم في داخل البيت ، اذا اراد دخول غرفة العائلة ، وذلك في أوقات ثلاث ، هي قبل وقت صلاة الفجر ، وقبل وقت صلاة الظهر أو بعده ، وبعد وقت صلاة العشاء ، حيث أن في هذه الأوقات يستريح الإنسان ، وكثيرا ما تبدو العورات .

عن أبي بصير عن أبي عبدالله (ع) قال : « الاستئذان ثلاثة : أولهن يسمعون والثانية يحذرون والثالثة إن شاؤوا أذنوا وان شاؤوا لم يفعلوا فيرجع المستأذن »[2] .

---

(١) وسائل الشيعة : ج١٤ ص١٥٨ الباب ١٢٠ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه ح٣ .

(٢) وسائل الشيعة : ج١٤ ص١٦١ الباب ١٢٢ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح١ .

وكذلك إذا بلغ الأطفال الحلم فإنه يجب عليهم الاستئذان اذا أرادوا الدخول في أي وقت كان .

(٣) تنظيف المجتمع من مثيرات الشهوة :

لكل مقام عمل ووظيفة ، والبيت هو مقام استخدام الشهوة الحلال أما إثارتها فسوف يسبب إنحراف مسيرة المجتمع ، تماما كالمحطات التي تحتوي على الاشعاعات النووية ، إن هذه الاشعاعات تستخدم في اغراض سلمية كالزراعة وما شابه ، ولكن اذا تسربت من المحطات فانها تدمر المجتمع ، ولذلك ترى الآف من المظاهرات تخرج في الغرب بسبب إحساسهم بالخطر ، ونحن يجب أن نعلم أن الشهوة هي اخطر من الاشعاعات النووية متى لو تسربت من الاسرة إلى المجتمع ، لذلك يجب ان يظل البيت هو مقام حفظ الشهوة لكي لا تتسرب للخارج ، وبذلك يقع الدمار وقد وضع الاسلام ضوابط والتزامات على الأسرة المسلمة يجب مراعاتها حتى يحافظ على دورها .

* الحجاب :

وضع الإسلام الحجاب بهدف تحديد الإثارة الجنسية بالقنوات النافعة لها ، وأمر بالحجاب الظاهري والباطني فليس الحجاب هدفاً بحدّ ذاته وانما هو وسيلة لابعاد المثيرات الجنسية في الحياة العامة .

* عدم التبرج وإبداء الزينة :

إذا كانت الزينة تكسب المرأة مزيداً من الجمال فإن ذلك يجب ان يظل في إطار العلاقة الزوجية وفي حدود مقام البيت ، أما ان تنتقل الى الخارج فإن ذلك شيء محرم حيث يمنع الإسلام المرأة من إبداء الزينة للأجنبي .

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين

زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن﴾[1] .

وكما جاء في التفسير ان ما ظهر منهن بغير اختيارهن ليس عليه بأس كما إذا هبت الريح فرفع العباءة وأبدت الزينة ، والجيب هو شق الثوب طرف الصدر ووضع الخمار لئلا يبدو الصدر من الشق ، أو المراد به ستر الوجه والصدر ، فان سدل طرف الخمار إلى الصدر مستلزم لستر الوجه ويؤيد ذلك ما روي عن الامام الباقر (ع) :

« استقبل شاب من الأنصار إمرأة بالمدينة وكانت النساء يتقنّعن خلف اذانهن فنظر اليها وهي مقبلة فلما جاوزت نظر اليها ودخل في زقاق قد سماه لبني فلان فجعل ينظر خلفها واعترض ، فشق وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه فلما مضت المرأة نظر ، فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره فقال : والله لآتين رسول الله (ص) ولأخبرنه ، قال : فأتاه فلما رآه رسول الله (ص) قال له ما هذا ، فأخبره ، فهبط جبرائيل بهذه الآية **﴿ولا يبدين زينتهن﴾**[2] .

* عدم الخلوة بالأجنبي :

في ليلة من ليال الشتاء حيث ينهمر المطر غزيراً واذا بفتاة تطرق بيت احد العلماء طالبة المكوث ليلة واحدة فقط في منزله إلى حين الصباح ، دخلت الفتاة ليعيش هذا العالم من الصراع مع هواه ليلاً طويلاً ، فكلما حدثته نفسه تجاه تلك الفتاة وضع اصبعه على الشمعة فيحترق ، وهكذا وما أطل الصباح حتى كانت أصابعه العشرة قد إحترقت ، إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أن الخلوة بالمرأة لا تخلو من وساوس الشيطان وتحريك الشهوات في النفس ، لذلك شدد

---

(١) سورة النور ، الآية . ٣١ .

(٢) وسائل الشيعة : ج١٤ ص١٣٩ الباب ١٠٤ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ج٤ .

الإسلام في مسألة الخلوة بالأجنبي أو الخلوة بالاجنبية .

عن الرسول (ص) قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبيت في موضع يسمع نفس إمرأة ليست له بمحرم »[1] .

عن أبي عبدالله (ع) قال : « فيما أخذ رسول لله (ص) البيعة على النساء ألا يحتبين ولا يقعدن مع الرجال في الخلاء »[2] .

* عدم المفاكهة مع الأجنبي :

المرأة المسلمة على درجة من العفة والحياء والإتزان ويجب ألا تهدم صرح ذلك عندما تكون في مجلس يضم الأجانب فلا تمازح ولا تفاكه .

يقول الرسول الاعظم (ص) : « من فاكه إمرأة لا يملكها حبس بكل كلمة كلمها في الدنيا ألف عام (في النار) والمرأة اذا طاوعت الرجل فالتزمها أو قبلها أو باشرها حراماً أو فاكهها وأصاب منها فاحشة فعليها من الوزر ما على الرجل فإن غلبها على نفسها كان على الرجل وزره ووزرها »[3] .

عن أبي بصير قال : كنت أقرىء امرأة كنت أعلمها القرآن فمازحتها بشيء ، فقدمت على أبي جعفر (ع) فقال لي :

« أي شيء قلت للمرأة؟ » .

فغطيت وجهي فقال :

« لا تعودن اليها »[4] .

(١) وسائل الشيعة : ح١٤ ص١٣٣ الباب ٩٩ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح٢ .
(٢) وسائل الشيعة : ح١٤ ص١٣٣ الباب ٩٩ ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح١ .
(٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ص٣٣٢ باب يجمع عقوبات الأعمال .
(٤) وسائل الشيعة : ج١٤ ص١٤٤ الباب ١٠٦ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح٥ .

* عدم المصافحة أو الملامسة :

لقد أراد الإسلام أن يسد كافة الأبواب التي من الممكن ان تجعل من المرأة مثاراً للشهوة في المجتمع ، وقد تكون الملامسة والمصافحة أشد تأثيراً من المفاكهة أو ابداء الزينة ، لذلك حرم الاسلام مصافحة المرأة الأجنبية .

عن ابي بصير عن أبي عبدالله (ع) قلت له : هل يصافح الرجل المرأة ليست بذات محرم؟

فقال : « لا إلا من وراء الثوب »[١] .

(٤) الزواج :

شجع الاسلام على الزواج المبكر ، أوجد كافة المنطلقات التي تدفع الفرد المسلم ، فقد نهى الاسلام عن حالة الفردية ، وحذر منها ، قال الرسول (ص) :

« أكثر أهل النار العزاب »[٢] .

« رذال موتاكم العزاب »[٣] .

وجعل تزويج الشباب والفتيات مسؤولية اجتماعية تقع على عاتق المجتمع حيث يجب أن يوفر الأجواء المناسبة .

---

(١) وسائل الشيعة · ج١٤ ص١٥١ الباب ١١٥ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح١ .
(٢) وسائل الشيعة : ج١٤ ص٨ الباب ٢ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح٧ .
(٣) الكافي : ج٥ ص٣٢٩ باب كراهة العزبة ح٣ . والوسائل : ج١٤ ص٧ الباب ٢ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح٣ .

(٥) التعفف أو تنزيه الجوارح :

اللسان . . . السمع . . . البصر .

هذه الجوارح قد تكون أدوات استقبال وبث للفساد والرذيلة وقد تكون أدوات استقبال وبث للفضيلة ، فكما جاء في الحديث أن اللسان يزني والاذن والعين كذلك .

عن أبي جعفر عن أبي عبدالله (ع) : « ما من احد إلا وهو يصيب حظاً من الزنا فزنا العينين النظر وزنا الفم القبلة وزنا اليد اللمس »[١] .

فلا يكفي أن :ضع سورا حول الأسرة ، لأن اللص يهجم على المنزل وان كان مغلقاً وينهب ذلك المنزل عبر سائر الأساليب الاجرامية ، كذلك الانسان يكون أحيانا كاللص حين يقفز على سور الأسرة لينال مبتغاه الشهواني عبر نظرة حرام أو استراق السمع أو يبث الكلام البذيء الفاحش . . وهكذا .

بمعنى أن الاسلام حرص ايضا على توجيه جوارح الانسان المسلم بحيث تكون عامل لقلع جذور الفساد لا من اجل بذره ونشره وأكد على أهمية تنزيه الجوارح .

* غض البصر :

عن أبي عبدالله : « النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة »[٢] .

وقال الرسول الأعظم (ص) : « يا علي أول نظرة لك والثانية عليك لا

(١) الوسائل : ج١٤ ص١٣٨ الباب ١٠٤ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه ح٢ .
(٢) الوسائل : ج١٤ ص١٣٩ الباب ١٠٤ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ج٦ .

لك »[1] .

هذا هو القدر الجائز من النظر أما أن تتحول العين إلى اداة ملاحقة ، وكشف لعورات المسلمين ، فهذا ما يحذر منه ربنا ورسولنا الاكرم حين يقول : « من اطلع في بيت جاره فنظر إلى عورة رجل أو شعر امرأة أو شيء من جسدها كان حقا على الله تعالى أن يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا يتبعون عورات الناس في الدنيا ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ويبدي للناس عورته في الآخرة »[2] .

* اللسان :

ان الكلمة الطيبة هي التي يجب أن تخرج من الإنسان لا الكلمة الخبيثة ، فاللسان بإمكانه أن يكون مصدراً للفحش مما يعرض كرامة الآخرين وعلى الانسان ان يصون لسانه ، لذلك نقول في دعاء كميل : واجعل لساني بذكرك لهجا .

عن أبي عبدالله (ع) قال : « من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه ان يكون فحاشاً لا يبالي ما قال ولا ما قيل »[3] .

* السمع :

(واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة) إن الذين كفروا بدعوة نبي الله نوح كانوا يضعون اصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا إلى كلام الحق .

ونحن المؤمنون برسالات الأنبياء يجب أن نسدد اسماعنا عن الباطل سواء

---

(١) الوسائل : ج١٤ ص١٤٠ الباب ١٠٤ من أبواب مقدامت النكاح وآدابه ح١٣ .
(٢) وسائل الشيعة : ج١٤ ص١٤١ الباب ١٠٤ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح١٦ .
(٣) الكافي · ح٢ ص٣٢٣ باب البذاء ح١

تمثل في لغو أو غيبة أو غناء أو عبارات بذيئة أو أحاديث العشق والهوى . . .

(٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رقابة المجتمع) :

بالإضافة إلى رقابة الاسرة جعل الاسلام لكل فرد في المجتمع رقابة على المجتمع وعلى الافراد الاخرين ، وهذه الرقابة تتمثل في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعبر ذلك يطهر المجتمع بعضه بعضا ، بمعنى أن الفرد إذا تحلل من رقابة ضميره ومبادئه وهرب من رقابة الأسرة فإنه هناك رقابة المجتمع التي ما اصعب الهروب منها وجعل الاسلام منطلقات كثيرة تدفع الفرد المسلم للقيام بهذا الدور ، الحمية والغيرة على الاسلام وعلى المسلمين ، وجعل ثواب الاخرة منطلقا آخر ، وحذر الذين يتخلون عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفا على مالهم أو أنفسهم .

﴿كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[١] .

هذا هو برنامج حماية الأسرة الذي يطرحه الاسلام لكي يجعل من الاسرة قلعة ومدرسة لبناء الانسان الفاضل ، وان هدم أي جزء من ذلك البناء إنما سوف يؤدي إلى تحطيم الأسرة المسلمة وإنهيارها ، فإلى أي مدى صمد هذا الحصن؟ وإلى أي مدى وصلت الأسرة المسلمة؟ إن معالم الإنهيار لتبدو واضحة في عالمنا الاسلامي وليس انهيار جزء من الحصن بقدر ما هو انهيار الحصن بأكمله ، وأصبح الطلاق بين احكام الله وبين حياة الغرب التي تنتهجا معظم الاسر اليوم .

فتعالوا معاً بين الانقاض نفتش عما تبقى من هذه الأسرة ، ونتلمس

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

بوضوح معالم الانهيار لاسيما بعد ان حدث الانفجار ، ويجب ان نوضح منذ البدء أن هناك من الأسر التي ظل حصنها منيعاً صامداً امام كافة عوامل الهدم حيث حافظت على التزامها وعلى تقاليدها الاسلامية ، وأمثال هذه الأسر هي التي يعقد عليها العزم لكي تربي الجيل الصالح الذي يصلح هذه الأوضاع ، وقد اقتدت بذلك بالأسرة المسلمة على عهد رسول الله (ص) وعهد امير المؤمنين الامام علي (ع) .

ثانيا : معالم انهيار حصن الأسرة المسلمة

(١) إطلاق العنان لمثيرات الشهوة :

بدأ التحلل من الضوابط الإسلامية شيئا فشيئا ، فتحت دعوة التحرر والتقدمية خلعت المرأة حجابها لتكون لهيبا وإثارة في المجتمع ولربما أن بعض الأسر أجبرت فتياتها على ذلك أو منعتهم من لبس الحجاب ، هذه المرأة التي أرادها الإسلام أن تكون على درجة من الحياء والسكون .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « لا تعلموا نساءكم سورة يوسف ولا تقرؤوهن إياها فإن فيها الفتن وعلموهن سورة النور فإن فيها المواعظ »[١] .

لأن سورة يوسف تتحدث على قصة زليخا وكيف همت بيوسف وراودته عن نفسه ، وهذا مما من شأنه أن يهيج الشهوة عند المرأة ، هذه الروح قد قتلت عند كثير ممن نزعن الحجاب ، بل وحتى بعض المحجبات اللاتي لبسن الحجاب الظاهري دون الباطني منه ، فتراها مع أنها محجبة ولكنها لا تتوانى في ابداء جمالها وزينتها عبر هذا الحجاب ، عبر الألوان والأشكال المنمقة والزاهية

(١) وسائل الشيعة : ج١٤ ص١٢٧ الباب ٩٢ من ابواب مقدمات النكاح وآدابه ح٢ .

فأصبح اقرب ما يكون إلى موديل جديد وصرخة اخرى في عالم الأزياء ، وهكذا بدأت أول ثغرة ، ولربما أن بداية الأمر كانت من خلال رؤية ساذجة تلك التي تقول أن المرأة لا تلبس الحجاب امام أبناء عمومتها أو شقيق زوجها ، وهكذا بدأ التسيب في حال ان العبرة بكون الرجل أجنبي ، ودخلت بعد ذلك المرأة عالم الأزياء ، فبدل ان تأتي المرأة وتتعلم ما يكفل كرامتها ويوعيها ويؤهلها لادارة مملكة البيت وطفلها تجدها تتوجه للاهتمام بالتوافه .

تقول إحدى خبيرات الأزياء تحت عنوان عالم الأزياء هو العالم الأكثر إغراء للمرأة :

عالم الأزياء هو الأكثر إغراء للمرأة في أي مكان من العالم ، وفي أي عمر ، وقد لا أكون مبالغة حين أقول أن عناية المرأة بمظهرها تحتل جانباً كبيرا من اهتماماتها ، تتساوى في ذلك المرأة العالمة ، وربة البيت المتعلمة والأمية ، الكل سواء يبحثن عن الجمال في مظهر أكثر أناقة ورونقا ، ولعل السعي بحثا عن الجمال هو الذي يجعل من حواء فريسة سهلة لأي موضة تظهر فتركض وراءها مقلدة على أمل أن يحقق لها الجمال المنشود ، دون مراعاة لتناسب هذه الموضة مع طبيعة جسمها ، وطبيعة المجتمع الذي تعيش فيه وتحكمه تقاليد معينة .

وضمن تحقيق في إحدى الصحف تحت عنوان السكرتيرة موظفة أم عارضة أزياء تقول احدى السيدات :

ان الابتسامة التي ترسمها السكرتيرة في معظم الأحيان على وجهها ضرورية بحكم عملها كسكرتيرة ، وعليها أن تقبل الأمور في بساطة وصدر رحب ، ويختتم التحقيق بهذه المقولة ، إلى هنا يمكننا أن نقول أن المرأة وحدها هي القادرة على أن تكون أو لا تكون ، خاصة في عملها بتركيبتها

الانثوية ، وموقعها الغريزي ، برقتها الطبيعية ، ان تنثر حولها الحب ، وتتمتع باحترام المحيطين ، تتنافس والحب حافزها والعلم رائدها .

هكـذا أصبحت المرأة تنشر الابتسامـات والحب هنا وهنـاك ، وتتجمل بزينتها وأزيائها بين ربوع المجتمع ، واصبـح ذلك جـزء من متطلبـات عمل المرأة . .

إن التسيب ليس له حدود ، لذلك ليس غريبا بعـد ان أسقطت المـرأة حجابها أن تقع في المحظور . . . في المفاكهة ، ولكنه غريب علينا كمسلمين أن نرى المرأة في مجتمعاتنا تقف بين الرجال وتنثر الإبتسامات وتمازح وتلقي بالنكات . . . ولعل نفس تلك النظرة الساذجة لا زالت تسودنا ، فلا اشكال في ان يمازح الشاب ابنة العم ، أو أن يكلمها في التلفون ، ولا بأس للفتـاة ان تجلس بين العائلة بوجـود الاجنبي ، ويتبادلـون الحديث الـودي والعاطفي ، تتخلله مشاهد التلفاز التي تسكب الحياء .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « يـا اهل العـراق نبئت ان نساؤكم يـدافعن الرجال في الطريق اما تستحون ، لعن الله من لا يغار »[١] .

وفي روايـة اخرى : « أمـا تستحون ولا تغـارون نساءكم يخـرجن إلى الأسواق ويزاحمن العلوج »[٢] .

ان كل المظاهر السابقة تعكس كيف أن محاولات الاسلام في تنظيف المجتمع من مثيرات الشهوة قد بترت عبر نزع الحجاب وابداء الزينة للاجنبي والمفاكهة ، والقضية تتعقد عندما يصل الأمر إلى المصافحة والملامسة وهي نقطة التوتر الخطيرة في مجال الاثارة ، لأن الخلوة والملامسة ديناميت يفجـر

---

(١) الكافي : ج٥ ص٥٣٦ باب الغيرة ح٦ .

(٢) الكافي : ح٥ ص٥٣٧ باب الغيرة ح٦

القوى الشهوانية عند الانسان .

قالت أم سلمة : استأذن ابن مكتوم الأعمى على رسـول الله (ص) وانا وميمونة جالستان قال النبي (ص) : « احتجبا منه » .

فقلنا : أو ليس أعمى لا يبصرنا .

فقال : « وأنتما لا تبصرانه »[1] .

أنه في حين أن الاسلام يتشدد في هذه القضية نجد أن معظم الاسر اليوم لا تعيـر هذه المسـألة اي اهتمـام ، فتعمل على تـوفير الاجـواء كـالحفـلات واللقاءات غير المحتشمة ، إن معظم الانحـرافات التي تصيب الشبـاب انما بسبب تلك الاجواء الموبـوءة في الأسرة ، والمتـأمل لسجـلات القضايـا في المخافر والمحاكم يرى ذلك بوضوح وهذه احدى القضايا :

التقى المتهم بالمتهمة المطلقة من زوجها الذي يقيم في بلدها الاصلي ، وكان اللقاء في الطريق العام ، فأركبها معه السيارة وانطلق بها الى المنطقة التي رغبت فيها ، وفي الطريق دار حـوار بينهما راودهـا المتهم خلالـه عن نفسها فقبلت ، وهناك تسللا الى سكنه ، واثناء خلوتهما تم ضبطهما واعترفا بالحادث لكنهما اصلحا خطأهما هذا بالزواج .

وفي قضية اخرى الشاهد فيها ما يلي :

وفي مرة استغل المتهم خلو المنزل من أهله ووجودهـا في المطبـخ ، وأمسكها محاولا الاسترسال فيما على عليه شيطانه إلا أنها دفعته وقاومته وهربت الى ردهة المنزل ، ولحق بها ولم تمكنه من نفسها ، وأبلغت زوجها بما حدث

(١) الوسائل : ج١٤ ص١٧٢ الباب ١٢٩ من ابواب مقدمات النكاح وآدابـه ح٤ ومكارم الأخلاق : ص٢٣٣ .

واعترف المتهم بما اسند اليه .

وقد تزداد غرابة هذه الحادثة عندما تعلم ان المتهم كان يحاول الاعتداء على زوجة شقيقه .

وهذه الحوادث ما هي الا القليل الذي يطفو على السطح من كثير لا تصل اليه الأجهزة الرسمية ولا يعلن في الصحف ، هكذا انهار الجزء الاول من البناء الذي كان يكفل ويحصن الاسرة ، حيث اصبحت المرأة مركزاً للاثارة في المجتمع ، وأصبح الرجل يرتع في هذا المجال .

يقول احد المسؤولين :

انني استنكر تردد بعض الفتيات المراهقات على الأسواق والبحر من غير هدف سوى اثارة مشاعر الشباب ، وارتداء الملابس الضيقة بشكل ملفت للنظر ، مما يدفع بعض الشباب الى ملاحقتهن .

(٢) إنتهاك حرمة المسكن :

(الابن يزني بأمه) تحت هذا العنوان نشرت احدى المجلات العربية هذه الحادثة ، وكان السبب وراء تلك الحادثة الشنيعة هو نشوء الشاب منذ طفولته على الرذائل حيث كانت الأم تتجرد من ملابسها وتداعب طفلها وهي عارية الجسد ، واستمرت على هذه الحالة في التربية حتى شب الطفل ، وترعرع في جو مليء بالمغريات والشهوات، وبلغ من العمر ما يقارب ١٨ سنة ومارس فعلته الخبيثة .

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾[١] .

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٩ .

إنه ليفطر القلب تلك المشاهد التي تنقل من واقع الاسرة المسلمة اليوم حيث لم يعد هناك حرمة للسكن ولم يعد السكن المقام النزيه للشهـوة ، بل اصبح مثاراً للشهوة ايضا في المجتمع .

روي أن رجلاً قال للنبي (ص) أستأذن على أمي؟

فقال (ص) : « نعم » .

قال : إنها ليس لها خدام غيري ، أفأستأذن عليها كلما دخلت؟

قال : « أتحب أن تراها عارية » .

قال الرجل : لا .

قال (ص) : « فاستأذن عليها »

إن ما يحذر منه الرسول الأعظم (ص) يقع في واقع الاسرة اليوم ولكنها اضافة الى صور اخرى فقانون الاستئذان معطل في الاسرة ، فلم يعد المسكن ذلك الحرم الامن حيث يدخله القريب والأجنبي دون استئذان .

عوضا عن تحول بعض البيوت الى بيوت دعارة تمارس فيها الرذيلة ، أي ان المنزل اصبح مخبأ ومستودع الرذيلة في المجتمع في بعض الاحيان ، ويتجلى ذلك في هذه الصورة الحية من واقع المجتمع :

استغل صاحب البقالة فرصة تردد الزبونة على بقالته ، فأُعجب بها ، فقدم لها عرضا راودها من خلاله عن نفسها حال كونه متزوجاً وأباً لأطفال ، فرحبت هي بذلك وحضرت له بمسكنه حيث ارتكبا الفحشاء ، وتكرر الأمر ، واكتشف البقال بأن عشيقته هذه خادمة فعرض عليها ان يتسلل إلى مسكن مخدومها وينفرد بها هناك ، فوافقته على طلبه ، وتردد عليها عدة مرات إلى ان جاء اليوم الذي تم ضبطهما فيه ، المحكمة رأت ان المتهمين قارفا ما اسند

اليهما من تهم الزنا ودخول منزل من دون رضاء صاحبه بالنسبة للمتهم الا أنه وحرصا عليهما من المحكمة لنشوء علاقة زواج ولإعطاء فرصة لتكوين اسرة جديدة قررت المحكمة الامتناع عن النطق بالعقاب بحقهما على ان يتعهدا بغير كفالة بالتزام بحسن السلوك لمدة سنة .

أي زواج يقوم بعد هذه الحادثة؟ وأي أسرة من الممكن ان تقوم على هذه الجريمة وعلى الخيانة؟ واي سلوك حسن بقي بعد ان سقطت كل قيم الشرف والحياء؟ وما قيمة البيت الذي يمارس فيه الحرام؟ إنه الزنى المقنن .

ان هذه الاحداث، أيها القارىء لربما تمر عليك كل يوم وتقرأها بالصحف ولكننا نقرأها للتسلية وملء الفراغ ، لقد فرض الفساد نفسه علينا بحيث صرنا نتقبله وذلك عبر اللامبالاة .

ان هذه الحوادث لو وقعت في الغرب الذي لا قيم ولا أخلاقيات له لبطل العجب ، ولكنها للأسف تقع في ربوع الأمة الاسلامية .

واقعة ليست من نسج الخيال . . بل هي حقيقة حدثت في احدى المجتمعات الاسلامية ، اتسمت بالغرابة والقسوة الى حد ما ، اطرافها اربعة وخامستهم امرأة . . . فقد شاء قدر هذه الاخيرة ان ترتبط بأحد هؤلاء الاربعة وتتزوج منه . . الا ان الظروف المادية للزوج حالت دون تشييد عش الزوجية ، وقد أوهم فتاة أحلامه بأنه قيد الانشاء ، فهو عامل يتقاضى ١٢٠ دينار ، وهي موظفة على الدرجة السابعة ، وليست أفضل حظاً منه . . الامر الذي حدا بهما ومن اجل توفير اجرة المسكن . الى العيش بعيدين عن بعضهما ، حيث التحق هو بمسكن شلة من العزاب . . وبقيت هي في السكن المعدّ لموظفات عملها . . وحتى يتمكنا من الالتقاء ببعضهما لقاء الازواج فقد اقترح هو على شركائه بأن يهيئوا له الفرصة للالتقاء بزوجته وان يخلوا الغرفة كل يوم خميس لينفرد بها . . ومن منطلق انساني رحبّ العزاب الثلاثة بالفكرة . . وحيا الزوج

فيهم هذا الشعور . . . وبدأ اللقاء واستمرت هذه الحال لعدة اسابيع كان يلتقي بزوجته لقاء العاشق . . . وفي مرات كان يتصادف وجود العزاب في المسكن فتعد لهم الزوجة الشاي بعدها يغادرونه تاركين الزوج والزوجة على حالهما . . ولكن الى متى سيستمر الأمر على هذا الحال . .؟ فقد وسوس الشيطان ولعب لعبته . . اجتمع العزاب الثلاثة واتفقوا على اقتناص الزوجة من زوجها خاصة وان كل الظروف مواتية لهم فهم لا يحتاجون الى خطة لخطفها واحضارها الى غرفتهم . . .

انتقلت الخطة من دور التخطيط الى دور التنفيذ . . . فها هي الزوجة قد اتت الى الغرفة واعدت لهم الشاي استعدادا لخروجهم . . لكنهم وعلى غير عادتهم في هذه المرة تريثوا قليلا في الخروج بعد أن شلوا حركة جسد الزوج ببضع اقراص منومة ، بعد ذلك بدأت ايديهم العابثة تمتد الى جسد الزوجة لينتهي الامر بهم الى الرذيلة . . . وبعد الانتهاء من فعلتهم غادروا المسكن . . وكان الزوج لا يزال يغط في نوم عميق حتى استيقظ على وجه زوجته الشاحب ليسألها عما اصابها . . فتمنعت عن الاجابة . . ولم تخبره عن سر هذا الامتناع ، وبين الامتناع والحاح الزوج الذي ابلغها بانهم غير موجودين الآن في الغرفة وافقت على العودة . . ومع عودتها مرة ثانية اعتقد العزاب الثلاثة ان الزوج قد علم بالأمر ، وانه متجاهل على ما بدر منهم . . . وفي هذه المرة كان ثلاثي السوء قد صمما على ارتكاب الجريمة علنا وامام الزوج . . فما ان دخلت الى الغرفة . . وشربوا جميعا الشاي حتى هبوا الى الزوج وقيدوه بحبل كانوا قد اعدوه مسبقا . . واما ناظريه مارسوا الرذيلة مع زوجته . . وبعد ان نالوا مأربهم لاذوا بالفرار . . تاركين الزوج يفك قيده . . والزوجة تتلطخ بثمار علاقة زوجها مع ثلاثي السوء . . وابلغ الزوجة بالواقعة فتم ضبط المتهمين وقدموا الى محكمة الجنايات التي قضت بحبس المتهمين الثلاثة لمدة ٣ سنوات مع الشغل

والنفاذ ، وترك الزوج وزوجته البلاد حاملين معهما بقايا ذكرياتهما مع هذه الجريمة .

(٣) العلاقات الغرامية ثمرة خبيثة :

إن الشجرة الطيبة هي التي تنبت الثمر الطيب والذي خبث لا يخرج الا نكدا ، إذا كانت العفة والطهارة والأمن هو الثمر الذي جنته الاسرة المسلمة يوم تمسكت بالتزامها وتقاليدها فإن العلاقات الغرامية ومن ثم الفوضى الجنسية هي الثمرة الخبيثة التي جنتها الاسرة اليوم .

(كانت كلمة الزنا سابقا تخيف الفتاة كحد السكين فاستبدلوا بها كلمة ممارسة حرية الحب ، لكيلا تخاف .

وكانت كلمة ولد الزنا توقيع العار على جبين المجتمع فاستبدلوها بالابن الطبيعي لئلا يخجل منه احد ، وكلما تغيرت الكلمات تغيرت ملامح المجتمع) .

ان ما يحدث في ربوع المجتمعات الاسلامية من علاقات مشبوهة بين الشاب والفتاة لم يعد مشبوهاً في ظل الواقع الأسري اليوم ، لم يعد غريبا ان يفتخر الأب بأن ابنه يغازل الفتيات ، بل اصبح مثاراً للفخر وضرورة من ضروريات التقدم والحياة العصرية ، اصبح امراً عادياً ان يتصل الشاب والفتاة كل منهما بالآخر ويطلب كل منهما الاخر الحديث أو اللقاء ، واحيانا يتم ذلك بواسطة الاسرة نفسها ، ولكن العلاقات المشبوهة تراها في السوق ، الشارع ، الجامعة ، المنتزهات ، التلفزيون . . حتى اصبحت تعاليم الاسلام كأنها واقع مثالي غير قابلة للتطبيق .

فإلى كل من ساروا على درب الهوى ، ووقعوا في شرك العلاقات الغرامية ، وكانوا أسارى الجنس نقول : تأملوا هذه الحادثة لنرى هل الاسلام

بالفعل مثالي وغير قابل للتطبيق في عالم الاسرة :

عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال : كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه ، وكان حسن الوجه ، حسن القامة ، حسن السمت ، فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها ، فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له : يا فتى اسمع مني كلمة اكلمك بها ثم اصنع ما شئت ، فمضى ولم يكلمها ، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله وقالت له : يا فتى اسمع مني كلمة اكلمك بها ، قال : فأطرق ملياً وقال لها : هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً ، فقالت له : والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ، ولكن معاذ الله أن يشرف العباد إلى مثل هذا مني ، والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسي لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد في مثال القوارير أدنى شيء يعيبها وجملة ما اكلمك به أن جوارحي كلها مشغوفة بك فالله الله في أمري وأمرك ، قال : فمضى الشاب إلى منزله فأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي ، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ، ثم خرج من منزله فاذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى إليها الكتاب ورجع إلى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمٰن الرحيم اعلمي أيتها المرأة ان الله تبارك وتعالى إذا عصي حلم ، فإذا عاد العبد في المعصية ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله عزّ وجلّ لنفسه غضبة تضيق منها السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب ، فمن ذا يطيق غضبه ، فإن كان ما ذكرت باطلاً فإني أذكرك يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن ، وتجثوا الأمم لصولة الجبار العظيم ، فإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري ، وإن كان ما ذكرته حقا فإني أدلك على طبيب يداوي الكلوم الممرضة ، والأوجاع المرمضة ، ذلك الله رب العالمين ، فاقصديه على صدق المسألة ، وارجعي

إليه فإني متشاغل عنك بقوله : **﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾**(١) فأين المهرب عن هذه الآية؟

ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها ، فقالت : يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم ابداً إلا بين يدي الله عزّ وجلّ وبكت بكاء شديداً ، وقالت : أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل علي ما قد عسر من أمرك ، ثم تبعته فقالت: امنن علي بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها ، فقال لها الفتى : أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله عزّ وجلّ : **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾**(٢) ، قال : فأطرقت الجارية وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ، ثم أفاقت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة ، فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً ، فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها ، فقيل له : مم بكاؤك وأنت قد آيستها من نفسك فيقول : إني قد ذبحت طمعها مني في أول أمرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله عزّ وجلّ وأنا أستحي من الله أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده والحكم لله .

هكذا يكون الحب الحقيقي وهكذا يكون موقف الانسان المؤمن وسلوكه .

(٤) الميوعة وإنعدام الغيرة :

إن الرجولة والخشونة صفة مميزة للفرد المسلم في المجتمع وصفة الرجولة تتبعها صفة اخرى لصيقة بها وهي صفة الغيرة على العرض والشرف ،

---

(١) سورة غافر ، الآية : ١٨ ـ ١٩ .

(٢) سورة الانعام ، الآية . ٦٠ .

ولكن الجيل التقدمي المعاصر لا يعرف لهذه الصفات من سبيل ، فالفرد الذي تربى في احضان الترف والتحلل من السلوك الاسلامي هذا الجو الموبوء لا يخرج الاّ جيل الميوعة واللا غيرة ، جيل التشبه بالنساء ، وجيل التشبه بالرجال ، جيل الأجناس المتعددة ، لقد أراد الغرب ان يقتل فينا كل شيء حتى الغيرة على ابنائنا واخواننا ودِيننا ، في حين ان الإسلام ارادنا ان نحرص على هؤلاء .

يقول الامام الصادق (ع) : « ان الله غيور يحب كل غيور ، ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها »[1] .

ولكن عندما فقدت الغيرة أصبحت الأسر تدفع بفتياتها وتلقي بهن في معترك الشهوات دون حساب ، إن هذا الجنس الذي سمي بالجنس الثالث ما هو الاّ نتاج الفساد والرذيلة والشذوذ ، فالسبب الرئيسي وراء ذلك هو الدلال الزائد في التربية ، فعندما سئل احدهم عن سبب رغبته في التحول من شاب إلى فتاة أجاب : (إن أمي كانت تعلمني ذلك منذ الصغر) .

وآخر يقول : (لقد تعودنا على الرقص وجذب الشباب نحونا بسبب أخواتنا في المنزل اللاتي شاركناهم وقلدناهم حتى في حركات أجسادنا) .

وقالت أحدى المجلات أنه يقوم الآن في سنغافورة علماء النفس بفحص ثمانية رجال لبوا اجراء عمليات لهم لتحويلهم إلى اناث ، لمعرفة ان كان هؤلاء اناث من الناحية النفسية .

اذن يتضح لنا ان سبب هذا التحول الذي يطلبه هؤلاء هو نفسي ، ويرجع الى المحيط والبيئة الملوثة ، ولم تقف الأمور عند الجنس الثالث بل ظهر

---

(١) الكافي : ج٥ ص٥٣٥ باب الغيرة ح١ .

الرابع ، ولا ندري ما هي الأجناس القادمة التي سوف تفرزها الاسرة في المستقبل ان ظلت على مثل هذه الأوضاع .

عن ابي عبدالله (ع) قال : « لعن رسول الله (ص) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وهم المخنثون واللاتي ينكح بعضهم بعضاً وإنما أهلك الله قوم لوط حين عمل النساء بمثل عمل الرجال يأتي بعضهن بعضاً »[1] .

(٥) السياحة الفساد المتنقل :

تحت شعار السياحة والترفيه أصبح الفساد له مبرر إجتماعي ، وتحت هذا المبرر انتشرت في الوطن الاسلامي المشاريع السياحية التي يندى لها الجبين ، فمن نوادي بحرية مختلطة ، وجلب الفرق الاجنبية الراقصة ، ومن مدن للترفيه على نمط ديزني لاند ، والفنادق اصبحت مؤسسة حضارية لانها احتضنت حفلات الديسكو وهناك يمارس الهدم في الاسرة حيث بروز اللحوم البشرية والخلوة والمفاكهة والغراميات والنظر للمحارم . . كل ذلك أصبح جائزاً تحت اسم السياحة والترفيه ، هذا في الداخل ولأن السياحة اصبحت جهازاً نقالاً للفساد فقد برزت في المجتمعات الاسلامية موجة قوية اسمها السفر حيث الكثير من جموع الشباب يتوجهون للسفر للخارج لاداء مناسك الترفيه والرذيلة .

بانكوك . . . اسبانيا . . تايلاند . .

هذه الاسماء اصبحت مألوفة لدى الكثير من الشباب إذ ان أزقة الرذيلة في كل واحدة من هؤلاء اصبحت تحتضن الشباب ، وكما يغير الشاب ملابسه

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ص٣١٥ عقاب اللواطي والذي يمكن من نفسه ، واللواتي مع اللواتي .

وهندامه ومأكله اصبح ايضا يغير دينه عبر السفر حيث يفعل ما يحلو له هناك ، ان ظاهرة السفر بهذا العدد الهائل تحتاج الى وقفة تأمل ودراسة .

ففي عيد الفطر في احدى الدول الخليجة فقط ذكرت احدى الصحف انه بلغ عدد الذين انجزوا معاملات الحصول على تأشيرات زيارة الى اسبانيا بلغ ٥ آلاف شخص .

ان المسلمين في عهد المجتمع الاسلامي الفاضل جنوداً وتجاراً كانوا يستغلون السفر الذي كان يضطره عملهم في سبيل الدعوة ونشر الاسلام ، حتى ان بعض البلاد التي وصلها الاسلام انما كان على يد بعض التجار الذين وضعوا البذرة الاولى ثم نمت .

لكننا اليوم نرى المراهقين من المسلمين يذهبون للخارج ويزرعون بذور السوء والفساد ، كانت سابقا لندن هي أرض الملتقى لشلة الأنس وبعدها اسبانيا ثم بانكوك . .

وهكذا بين فترة واخرى اكتشاف ، ولكن في دائرة الهوى ، ومما يؤسف له أن بعض الاسر المسلمة الملتزمة عندما تكون في الخارج تتخلى عن بعض التزاماتها الشرعية لكي تواكب الاجواء هناك .

الحديث الشريف يقول : « سياحة امتي الغزو والجهاد » .

ولكن الحديث اصبح اليوم جهاد أمتي السياحة ، والسياحة بمفهومنا نحن لا كما يريده الرسول الاعظم (ص) .

(٦) الفحش والبذاءة :

اصبح الكلام البذيء والفاحش في كل مكان في الاسرة . . في التلفاز . . التلفون . . الشارع .

الأب أو الأم عندما تغضب على ابنها تلقي على مسامعه شتى انواع السباب التي لا يجرأ القلم على كتابته .

مشكلة تحدث بين المارة في الشارع تتحول الى حرب ومساجلات بالكلمات والكل يبدع في تلفظ الكلام البذيء ، بل حتى اطفالنا الذين لم يتجاوزوا الحلم يتلفظون بذلك ولا عجب فإن جزءا من ذلك يعرض علينا في التلفاز ونحن نسمعه ونقرأه من باب الفن .

ان كثيراً من الاسر تشتكي من المعاكسات الهاتفية التي يسمعون عبرها ايضا شتى انواع الكلام السوقي عبر ألسنة المراهقين (فقد كتبت احدى الصحف تحت عنوان ٢٨ معاكسة في يوم واحد) من احدى محلات البنشر انطلقت ٢٨ مكالمة هاتفية في يوم واحد لتزعج منزل المدعو . . بالالفاظ البذيئة والمخلة بالأدب .

يقول امير المؤمنين (ع) في هذا المجال : « قال رسول الله (ص) : إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فإنك ان فتشته لم تجده الا لغيَّة أو شرك شيطان » .

فقيل يا رسول الله : وفي الناس شرك شيطان؟

فقال رسول الله (ص) : « أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ ﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد**﴾[1] »[2] .

عن أبي عبدالله (ع) قال : « قال رسول الله (ص) : إن من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه »[3] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٦٤ .
(٢) الكافي : ج٢ ص٣٢٣ باب البذاء ح٣ .
(٣) الكافي : ح٢ ص٣٢٥ باب البذاء ج٨ .

كم هي المجالس التي يكره الانسان ان يتواجد فيها بسبب ما يدور فيها من فحش وبذاءة ، نعم قد تغلف كلمات الفحش والبذاءة بشكل منمق ولكنها تبقى بذيئة في نظر الاسلام .

كان لأبي عبدالله (ع) صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً فبينما هو يمشي معه في الحذائين ومعه غلام له سندي يمشي خلفهما إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرات فلم يره فلما نظر في الرابعة قال : يا ابن الفاعلة أين كنت؟

قال : فرفع أبو عبدالله (ع) يده فصك بها جبهة نفسه ثم قال : « سبحان الله تقذف أمه قد كنت أرى أن لك ورعاً فإذا ليس لك ورع » .

فقال : جعلت فداك أن أمه سندية مشركة .

فقال : « أما علمت أن لكل أمة نكاحاً ، تنح عني » .

قال : فما رأيته يمشي معه حتى فرق الموت بينهما[1] .

وعن سماعة قال : دخلت على أبي عبدالله (ع) فقال لي مبتدئاً : « يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمّالك؟

إياك أن تكون فحاشاً أو صخّاباً أو لعاناً » .

فقلت : والله لقد كان ذلك إنه ظلمني .

قال : « ان كان ظلمك لقد أربيت عليه ان هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي ، استغفر ربك ولا تعد » .

---

(١)الكافي : ج٢ ص٣٢٤ باب البذاء ج٥ .

قلت : استغفر الله ولا أعود[1] .

ان هذه الروايات تبين التبرء ممن يصدر منه البذاءة والفحش ، وكذلك روايات اخرى تتبرأ من الذين يتتبعون عورات المسلمين ويطلبون فضحتهم .

وللأسف فإن مجتمعنا هو مجتمع الفضيحة فبدل ان يطلب الواحد منا الستر للآخر يبحث عن عيوبه وفضائحه ليتم تداولها ، وكثير ما تدور الاشاعات حول الأسر على الرغم من عدم التثبت ، وهكذا تصبح الاسرة فريسة تلوكها الألسن وتتلاعب بأعراضها .

ذات مرة صلى الرسول (ص) ثم انصرف مسرعاً حتى وضع يده على باب المسجد ثم نادى بأعلى صوته :

« يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المؤمنين فإنه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته »[2] .

وقال الرسول (ص) أيضا :

« من وصف امرأة لرجل وذكر جمالها له فافتتن بها الرجل فأصاب منها فاحشة لم يخرج من الدنيا حتى يغضب الله عليه ومن غضب الله عليه غضبت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وكان عليه من الوزر مثل الذي أصابها » .

قيل : يا رسول الله فإن تاب واصلح .

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٢٦ باب البذاء ح١٤ .

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ص٢٨٧ عقاب من تتبع عثرة المؤمن .

قال : « يتوب الله عليه »[1] .

وروي عن سهل بن سعد قال :

اطلع رجل في حجره من حجر رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) ومعه مدري (مشط) يحك رأسه : « لو أعلم انك تنظر لطعنت به في عينيك ، إنما الاستئذان من النظر »[2] .

(٧) الأمراض :

يعتقد الانسان أن هذه اللذة المحرمة ستجر عليه السعادة من خلفها ، ان الصحيح أو الويل والشقاء هو ما تخلفه ، ليس في الاخرة فحسب بل في الدنيا أيضا عبر المئات من الحالات المرضية سواء في جانب النفس أم العضوى .

ان هذا العصر الذي يسيره الجنس أصبحت المستشفيات هي المسكن الطبيعي لرواد الهوى .

اذ ان اطلاق العنان لغريزة الجنس عبر الحرام يجر لأمراض متعددة . عن أبي جعفر (ع) قال : « وجدنا في كتاب رسول الله (ص) اذا ظهر الزنى من بعدي كثر موت الفجأة »[3] .

وعن رسول الله (ص) قال : « خمس ان أدركتموهن فتعوذوا بالله منهنَّ لم تظهر فاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم

---

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ص٣٣٥ باب يجمع عقوبات الأعمال .

(٢) تفسير الميزان :

(٣) الكافي : ج٢ ص٣٧٤ باب قطيعة الرحم . ثواب الأعمال وعقاب الاعمال : ص٢٩٩ عقاب المعاصي .

تكن في أسلافهم الذين مضوا »[1] .

والتاريخ ينقل ان أول ما قد جد على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم ، واضمحلال قواهم الجسدية وتدرجها الى الضعف يوما فيوم ، فإن الهياج الدائم أوهن أعصابهم ، وتعبد الشهوات يكاد يأتي على قوة جسدهم وجلدهم ، وطغيان الأمراض السرية قد أجحف بصحتهم ، فمن أوائل القرن العشرين لا يزال حكام الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوى والصحة البدنية المطلوبة في المتطوعين للجندي الفرنسي على فترة كل بضع سنين لأن عدد الشباب الوافي بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقلْ ويندر في الأمة على مسير الأيام[2] .

الهربز لم يكن هذا الاسم اختراع جديد اكتشفه المسلمون أو العرب بقدر ما هو ضريبة الفوضى في الجنس ، هذا المرض الذي عرف بانه مرض العلاقات الغرامية المحرمة ظهر في البلاد الاسلامية وكتبت عنه الصحف .

ان كل ما سبق في كفة ومرض الادمان على المخدرات في كفة اخرى ، هذا المرض الذي يقتل شبابنا كل يوم والذي أفرزه واقع الفساد وتشتت الاسرة .

فتحت عنوان أدمن على المخدرات فاعتدى على زوجة شقيقه ، تنقل احدى الصحف هذه الواقعة المؤلمة حيث تخلى الجاني عن غيرته وامتدت يده الى اكبر الكبائر لتهتك أكبر الحرمات .

انه شاهد آخر لمعالم انهيار الأسرة المسلمة .

---

(١) الكافي : ج٢ ص٣٧٣ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح١ وثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ص٢٩٩ عقاب المعاصي .

(٢) الحجاب أبو الأعلى المودودي .

(٨) الطفل . . . . الضحية يدفع الثمن :

الطفل في النهاية هو من سيدفع ثمن هذا الفساد وذلك الانهيار ، فعندما تنتشر الخيانة الزوجية والعلاقات الغرامية فان معدل الطلاق سيرتفع وتقع الطامة الكبرى على الطفل ، واذا كان ثمرة الزنى فعلى الأغلب سوف يقع في احضان الانحراف ، وعندما تنتشر الجريمة واللاأمن في المجتمع فإن المجرم مجرم الجنس لا يفرق بين صغير وكبير لأنه يبحث عن اشباع الشهوة ، فجرائم هتك عرض الاطفال تشغل حيز كبير من قضايا المحاكم .

(مراهق يعتدي على طفلة) .

(الضحية بنت ٤ سنوات والمجرم جاوز العشرين) .

هذه بعض عناوين لقضايا نشرت في الصحف ، وعندما تنتشر الميوعة تبرز راسا على واقع الطفل ، لذلك نرى طفل اليوم على درجة من الدلال والميوعة ، وعلى درجة من الكلام البذيء والغرور والتعالي وروح التسلط والعدوان الا ما شذّ وندر .

نرى اطفالنا يظهرون على شاشات التلفاز وهم لم يجاوزوا ٩ سنوات ، وقد لطخت وجوهم بالأحمر والاخضر يتمايلون ويهزون البطون على انغام الموسيقى ، يرقصون على تصفيق الأب والأم .

هذه هي ابرز ملامح انهيار حصن الأسرة المسلمة .

- اطلاق العنان لمثيرات الشهوة ـ السياحة وتحولها الى ترفيه وفساد .
- انتهاك حرمة المسكن .
- العلاقات الغرامية .

- الميوعة واللاغيرة .

- الفحش والبذاءة .

- الامراض واللاأمن .

- الطفل . . . الضحية .

وأمام واقع الانهيار هذا لا بد ان لنا من بصيرتان ، الرؤية الاولى نحدد فيها المتسبب لهذا الانهيار ، والرؤية الاخرى نحدد فيها الموقف المسؤول تجاه هذا الانهيار .

ثالثا : عوامل وأسباب إنهيار حصن الأسرة المسلمة

١ ـ الطاغوت والاستكبار :

﴿إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾(١) .

﴿وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد﴾(٢) .

ان الصراع الدائر بين الاسلام والجاهلية ليس عداء بين الشعوب ولا خلافات سياسية في مناصب الحكم إنما صراع مبدأ ايدلوجيا ـ الجاهلية والرسالة السماوية ـ الصراع الحالي ليس لطرد الاستعمار ، فالاستعمار الظاهري خرج من بلادنا مع أنه خرج من الباب ليدخل من الشباك ، انما صراع بين ارادتين ، ارادة البقاء على مفاهيم الغرب والحضارة المادية والعلمانية وبين ارادة العودة الى الاسلام الحقيقي ومفاهيم السماء . . بعد أن حاول الاستكبار سلب روح الثقافة ومصدر اشعاع المسلمين ، خلق أجواء من الفراغ الشامل في حياة

(١) سورة النمل ، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الفجر ، الآية : ١٠ .

الانسان المسلم ، قام بتعبئة هذا الفراغ بأنواع الرذائل والفساد والانحراف ، ومع توفر عناصر اشعال فتيل الترف كالمال والجهل والفراغ قام بخلق أجواء قائمة على الطغيان والترف ، كما يقول أحد المستشرقين بأن من اهم الاساليب لتحطيم كيان الشخصية الاسلامية هو تدمير اخلاق المسلم . . وتمييعه . .

عندما نزحت خارج لبنان واحتلتها عسكرياً بعد الحرب العالمية الاولى . . أتت الى لبنان بسفينتين ، سفينة مدججة بالسلاح وأنواع الاسلحة ، وأخرى مملوءة بالمشروبات الروحية والراقصات ، وسئل قائد الاحتلال عن سبب احضار السفينة الثانية قال : لحفظ استمرار بقائنا في لبنان ، وهذا ما حصل فعلا حتى تمزق لبنان شر ممزق ، لأن الروح السائدة أصبحت روح مترفة .

قام الاستعمار بنشر أنواع واشكال من المحرمات والموبقات ابتدأ من الاندية الليلية والملاهي الى فتح مراكز الدعارة واندية القمار حتى اصبح لبنان مصدر لتوزيع الفساد والمواد المخدرة في العالم ووكر من اوكار الانحلال فمن سل سيف البغي قتل به .

واليوم مع توفر الامكانيات المادية في بعض البلاد الاسلامية تقوم الدوائر الاستعمارية بنفس الألاعيب والتخطيط لإذابة الشخصية الإسلامية في بحر الفجور والترف المادي .

انتقلت اليوم منابع الفساد والانحلال بصور وأشكال أخرى . . الڤيديو أخذ يجتاح كل المنازل ويساهم في تصدير الخلاعة والميوعة المتفشية في الأوساط الغربية ، حتى ان إحدى الصحف نقلت عن أسرة تتكون من أم وأب وأخوين وأربع أخوات تقوم بتبادل الأفلام الممنوعة والحفلات الراقصة والسهرات الخليعة ، يقمن الأخوات بعيداً عن الأنظار ورقابة الأم والأب

بمشاهدة حتى الأفلام الرذيلة والمخلة بالآداب ، فلا حاجة اليوم للبحث عن الرذائل فإنها مجهزة لنا في منازلنا ، كما أن الاعلام يلعب دوراً رئيسياً في السماح لهذه الوسائل بنشر اعلاناتها وترويجها وعدم وجود تلك الرقابة الرادعة في مواجهة هذا التفسخ والانحلال ، هو كذلك جزء من التسيب والانحراف ، وليس من الصدفة أن تترك الرقابة مثل هذه الانحرافات أن تنتشر وتوجيه اهتمامات الأمة نحو التحلل والميوعة والترف ، يمكن أن لا يقوم الطاغوت مباشرة بنشر وسائل الإنحلال بين الناس إنما يهيىءالوسائل الكفيلة لنشر وتفشي الفساد ، عبر تمييع القوانين الوضعية أو الفساد الاداري وتفشي ظواهر الرشاوي والواسطات والمحسوبيات . . . وبالتالي بانتشار مثل هذه الوسائل لاستعباد الناس وخلق أجواء مترفة وبالتالي الشخصية المصابة بعاهة الفساد ، كما قام الاستكبار بدور آخر جوهري في مدّ جسور المدنية الغربية مع بلادنا الاسلامية ، وعمد منذ البدء ببناء وزرع دمى عميلة من أبناء الأمة الاسلامية ليكونوا خلفاء لهم في البلاد ومن ثمة نقل مدنيتهم الزائفة إلينا .

فكما يقول اللورد ميكالي رئيس اللجنة التعليمية الانجليزي : يجب علينا أن ننشأ جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين مستعمراتنا ، وستكون هذه الجماعة وطنية في اللون والدم ، انجليزية في العروق والرأي واللغة والتفكير .

إن مسيرة الطغاة في نشر الفساد واحدةٌ عبر التاريخ ، فقد بلغ العصر الأموي والعباسي قمة الانحطاط ، وكانت هناك المؤشرات على بداية الخطر ، فقد ورد في كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ما يلي :

*** المرأة في عصر الأمويين :**

بدأت المرأة بتبديل طباعها من أيام الأمويين ، لأن العفة والغيرة أصابهما في ذلك العصر صدمة قوية بتكاثر الجواري والغلمان ، وانغماس بعض الخلفاء في الترف والقصف ، وانتشار الغناء والمسكر ، فتجرأ الشعراء على التشبيب

والتغزل ، وتكاثر المخنثون في المدن ، وتوسطوا بين الرجال والنساء بالباطل ، فأخذ الفساد يفشو بين الناس ، وضعفت غيرة الرجال ، وقلت عفة الناس حتى كان الشعراء يتشببون ببنات الخلفاء كما فعل عبد الرحمن ببنت معاوية . فالشعراء لم يكونوا يقعدون عن التشبيب مع تعرضهم للخطر ، وقلما كان يجسر على ذلك غير القرشيين وأكثرهم جسارة عمر بن أبي ربيعة ، فانه كان يصطحب ابن سريج المغني فيركبان على نجيبين ، ويلقيان الحاج فيتعرضان للنساء وينشدان الأشعار ، لا يباليان أن يكون فيهن بنت الخليفة أو امرأته ، والظاهر انهم لم يكونوا يفعلون ذلك إلا لما يرون من ارتياح النساء اليه ، لأن المرأة تفتخر بأن يثني الشعراء على جمالها وان لم يرض أهلها ، فقد كان لعبد الملك ابن مروان بنت أرادت الحج فخاف ان يشبب بها ابن ابي ربيعة فاستكتب الحجاج إليه إن هو فعل ذلك أصابه بكل مكروه ، فلما قضت حجها خرجت فمر بها رجل فقالت له : « من أنت » فقال : « من أهل مكة » قالت : « عليك وعلى بلدك لعنة الله » قال : « ولم ذاك؟ » قالت : « حججت فدخلت مكة ومعي من الجواري ما لم تر الأعين مثلهن فلم يستطع الفاسق ابن ابي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً نلهو بها في الطريق من سفرنا » قال : « اني لا أراه إلا قد فعل » قالت : « فآتنا بشيء ان كان قاله ولك بكل بيت عشرة دنانير » فمضى إليه فأخبره ، فقال : « لقد فعلت ولكن احب أن تكتم علي » وانشده قصيدة قالها فيها ، فكانت ايام بني أمية من حيث العفة والغيرة عصر انتقال من البداوة إلى الحضارة ، فلما انقضى عصر الأمويين ذهب ما بقي من سذاجة البداوة في طبائع العرب ، واستسلم الناس للترف والرخاء ، وضعفت الغيرة ، وأبيح التشبب .

*** التهتك :**

وطبيعي في ما قدمناه من الحضارة والترف أن يعتورها شيء من التهتك؟

والفحشاء إن كان ذلك لا يخلو منه قوم مهما بلغ من بعدهم عن الحضارة ، ولكنه يكثر غالبا في المتحضرين لسكون خواطرهم ، وتوفر أسباب الرغد والتنعم عندهم ، كان في جاهلية العرب جماعة من البغايا لهن رايات ينتحيها الفتيان ، وكان بعض الناس يكرهون أماءهم على البغاء يبتغون عرض الدنيا حتى صار البغاء صناعة عليها رئيس يحتكم اليه البغاؤون عند الحاجة ، وتفننوا في ترويج تلك البضاعة بتصوير النساء على جدران الحمامات ، وأقبح ما ظهر من التهتك في اثناء التمدن مغازلة الغلمان وتسريهم ، وظهر ذلك على الخصوص في أيام الأمين ، وتكاثر بتكاثر غلمان الترك والروم من أيام المعتصم وفيهم الأرقاء بالأسر أو بالشراء ، وتسابق الناس إلى اقتنائهم كما تسابقوا إلى اقتناء الجواري ، وغالوا في تزيينهم وتطييبهم ، وكانوا يخصونهم ليأمنوا تعديهم على نسائهم حتى غارت النساء من ذلك ، فعمدت إلى التشبه بالغلمان في اللباس والقيافة يستلمن قلوب الرجال .

وكثرة الجواري في بعض القصور جرهن إلى التفنن بأساليب الفحشاء ، وربما اتخذت كل جارية خصياً لنفسها كالزوج ، كما فعلت جواري خمارويه صاحب مصر ، حتى النساء الشريفات فان قعودهن عن الزواج لعدم وجود الأكفاء أو لأسباب أخر ، كان يجرهن إلى مثل ذلك ، فتكاثر الفساد فيهن لقلة التزويج ، ذكروا ان ابنة الأخشيد صاحب مصر اشترت جارية لتتمتع بها ، وبلغ المعز لدين الله الفاطمي ذلك ، وكان لا يزال في الغرب يتحفز للوثوب على مصر ويخاف الفشل ، فلما بلغه ما فعلته ابنة الأخشيد استبشر وقال : « هذا دليل السقوط » وجند على مصر وفتحها ـ والعفاف سياج العمران ـ .

* مجالس الأنس والغناء :

تقدم الكلام في تاريخ الغناء واصله وانتشاره ، وقد رغب الخلفاء فيه على الخصوص في إبان الحضارة وعصر الرخاء والترف ، وجعلوا للمغنيين نوبات

يدخلون فيها مجالسهم ، ومن أكثر الخلفاء الأمويين رغبة في الغناء وبذلاً للمغنيين يزيد بن عبد الملك ، وكذلك كان ابنه الوليد بن يزيد ، ومن الخلفاء العباسيين المهدي والرشيد والأمين والمأمون الواثق والمتوكل ومن نبغ في ايامهم من الوجهاء والعظماء .

ومن توابع مجالس الغناء المضحكون والمجّانون أشهرهم أشعب في دولة بني أمية ، وأبو الحسن الخليع الدمشقي في أيام الرشيد ، وابو العبر في أيام المتوكل ، وغيرهم كثيرون ، فكانوا اذا عقدت مجالس الأنس ، ودارت الأقدام ، وطرب الخليفة ، لبسوا ملابس مضحكة يقلدون بها الدب أو القرد ، ويعلقون في اعناقهم الجلاجل والأجراس مما يضحك الثكلى ، وكان بعض الخلفاء اذا استخفهم الطرب كلفوا هؤلاء المجانين ما لا يطاق من ضروب العذاب وهم يتلذذون بعذابهم ، فالمتوكل كان اذا طرب أمر بأبي العبر المجان ان يرمي به في المنجنيق الى الماء وعليه قميص حرير فاذا علا في الهواء صاح : « الطريق الطريق » ثم يقع في الماء فيخرجه السباح ، وكان الأمين اذا طرب صاح في ندمائه وجلاسه : « من يكون منكم حماري » فكل واحد يقول : « أنا » فيركب الواحد ويصله ، وكان يقع في مجالس الوليد بن يزيد من السكر والفحش في القول والفعل ما نتحاشى ذكره .

(٢) تجار الخلاعة والجنس :

﴿إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[١] .

ان كل شيء في هذا العصر أخذ يعبأ ويصنع ، الماء . . . الطعام . . بل

---

(١) سورة النور ، الآية : ١٩ .

حتى الهواء ، ولأنه عصر انفجار الجنس والخلاعة فقد صنع الفساد ايضا وعُبّء بالجنس .

فتجار المبادىء والقيم لم يروا سلعة أكثر رواجا من هذه السلعة إذ أنها لا تختص بسوق دون آخر .

وهكذا بدأت سلع الفساد تغزو أسواقنا ومن ثم إلى داخل الاسرة الفن . . الخلاعة المعلبة ، لعل هذا افضل تعبير يطلق على ما يسمونه اليوم بالفن في حين انه الهبوط الى الحضيض ، فقد انتشرت الأفلام الرخيصة في مجتمعاتنا عبر السينما والتلفاز والڤيديو تلك التي تلهب مشاعر الشباب والفتيات ولتصنع جواً مكهرباً من الشهوات .

واليكم ما قيل في الفن على لسان اهل الفن ، فهذا احد النقاد السينمائيين ألّف كتاباً وصدر تحت عنوان (سينما المرأة وجزء خاص عن السينما العارية) :

وبيّن فيه ملامح السينما العارية الفاضحة ، والتي لا يمكن ان تدخل دائرة الفن مهما حاولوا صانعوها ان يستخدموا أحدث الأساليب في التصوير والصوت والاخراج ، لأنها في النهاية أفلام وان كانت تقدم نماذج من أجمل النساء واكثرهن إثارة وشهوة فهي دعوة للظلام والتخلف والانحطاط بقيمة الانسان . هذا ما جاء على لسان الناقد في كتابه .

ويقول احد المخرجين في إحدى الندوات التي عقدت ضمن مهرجان سينمائي : لا اريد ان تتحول السينما المصرية إلى موجات دعارة مقنعة[1] .

وضمن تحقيق قامت به احدى الصحف تحت عنوان افلام الجنس

---

(١) جريدة الوطن١٢ نوفمبر ١٩٨٣ .

الممنوعة قال احد المختصين التالي :

ان هذه الأفلام الخليعة ، لكفيلة بافساد عقول شبابنا ونفوسهم ، فليس المسكرات فقط وما يدخل في نطاقها يجب محاربته بل ايضا مثل هذه الأشرطة يجب ان تحارب وبشدة ، لأنها اكثر خطورة ، قد يكون وجود المسكرات أقل تأثيراً من هذه الافلام الساقطة لما تحمله من صور ومشاهد تضر بجيل الغد ، فتجعلهم لا يركزون على العمل أو الدراسة .

هذه الأفلام يجب أن تشن ضدها حملة لتنظيف مجتمعاتنا من اثارها ، هناك العديد من الأزواج ادمنوا على مشاهدتها كما ان هناك من الشباب الذين اصبحت هذه الافلام هوايتهم دون ان يدركوا ما تترك في نفوسهم من اثار سلبية ، بل بعض هذه الاشرطة اصبح الهدية القيّمة بين الاصدقاء وهكذا يتم تداولها من يد الى يد ومن بيت الى بيت .

بعضهم يقول انها نوع من الأفلام التي تساعد على المعرفة ، ولا اعتقد ذلك لأنها ليست علمية ولا تمت للعلم بأي صلة ، بل هي مجرد مشاهد فاضحة تتناول البشاعة وقلة الحياء .

والدور في توجيه شبابنا ، يبدأ بالدرجة الأولى من الاسرة ، لان الولد السيء يعلم الجيد ، والفساد تكون سمومه سريعة الانتشار . . . وايضا للمدرسة دورها ولكن ليس بنسبة الأهل ، ويجب ان يكون هناك توجيه اعلامي فضلا عن دور الرقابة في هذا الخصوص .

ويقول احد الدكاترة في علم التربية في نفس الموضوع : ان الافلام الهابطة المنتشرة بين شبابنا وصغارنا لا تقدم النموذج الأمثل للسلوك ، وتعتمد فقط على تقديم جانب الترفيه السخيف الذي يعبث ويريح العقول الفارغة ، ولا تضيف بذلك اي تحسن في المستوى التعليمي والمعرفي عند الانسان ،

ومضمون هذه الافلام يعتدي على القيم الاخلاقية خاصة بالنسبة لصغار السن .

كما ان الافلام الاجنبية التي يعشقها شبابنا ويتهافتون على شرائها تعتمد على عنصر الاثارة من عنف وجريمة وإثارة نوازع غضبية وشهوانية ايضا ، وبذلك فهي تشكل عدوانا على ثقافتنا ، ويجب ألا ننسى بأن الدول الأوروبية تحذر من مشاهدة الأطفال لمثل هذه الافلام ونحن هنا في بلادنا العربية يجب ان نسعى لعدم تلقي ابناءنا نوعين من القيم ، بل يجب علينا أن نغذي فيهم قيمنا واخلاقنا الاسلامية .

لعل هذا أقل ما قيل في شأن الخلاعة المصورة والفن اللابريء ، فقد ابتعد الفن عن اداء رسالته ولم يبق منه إلا إبراز السيقان والرقص .

ومع ذلك نجد ان الفنانين الذين هم على هذه الشاكلة يبرزون كرموز ، أو كما يسمونهم نجوم في واقع الشاب أو الشابة او الاسرة ، في حين نجد الطلاق بين الفرد وبين قدواته عبر التاريخ الاسلامي ، ان عجز الاسرة المسلمة في ان تجعل من تلك الشخصيات قدوات لابنائها قمة في المأساة ، ان المتتبع لسيرة هذه الشخصيات في التاريخ يرى فيهم مثال الايمان والتقوى والاخلاص ، في حين ان المتتبع لأخبار اهل الفن يرى فيها المخازي .

يعرض الفيلم ويكتب في الصحف انه يعالج قضية اجتماعية كالخيانة الزوجية مثلا ، ويعرض الفيلم وهو مليء بالخلاعة والمشاهد الغرامية الفاضحة ، فيؤجج الشهوة ، ويكون أكبر عامل مساعد للخيانة الزوحية والرذيلة .

فقد نقلت إحدى الصحف في احدى الجرائم تحت عنوان (يختطف امرأة فتهرب من منزله الى الشارع شبه عارية) التالي :

إلا ان المتهم خضع لغريزة السوء ، وتحول بالمجنى عليها الى مسكنه ،

وطلب منها تشغيل جهاز التلفزيون ، وعندما فعلت ذلك ابصرت فيلماً خليعاً فرفضت النظر اليه لكونها مسلمة وتصلي ، ثم تناول المتهم شراب الخمر وطلب منها الرضوخ لأمره وارتكاب الفحشاء فرفضت .

ونقلت الصحف ايضا خبر محاكمة الفنانين الذين اشتركوا في الأفلام الهابطة وجاء نص الخبر :

جاء في قرار نقابة المهن أنها ترحب بقرار لجنة التظلمات برفضها طلب اصحاب الفيلمين وطالبت بتقديمهم للمحاكمة بمن فيهم الممثلون بتهمة إشاعة الرذيلة .

ليس تجاء الهوى هم فقط الذين يعلبون الخلاعة المصورة ، بل ايضا بعضهم يصوغون تحريض المرأة والشباب على عدم الالتزام عبر شعارات براقة وتعليقات حديثة ، إنهم ايضا يصنعون الفساد ولكن عبر سلعة اخرى وهي سلعة شعارات تحرير المرأة .

وكمثال على ذلك هذه الكلمات التي طرحها أحدهم في إحدى الصحف :

ترى لم هذا النزاع بين « المتدينين » وغير « المتدينين »؟ لم هذا النزاع اذا كان باستطاعة الانسان ان يشهد ان لا اله الا الله وألا يشهد ، وان يصلي وألا يصلي ، أو ان يخرج الزكاة أو يمتنع عنها ، وما من احد من المتدينين يكرهه على ذلك أو يحاربه على ذلك؟ لماذا هذا النزاع اذا كان باستطاعة الانسان ان يطبق اركان الدين أو ان يتجاهلها وما من رقيب عليه أو حسيب سوى ربه!

لعل المرأة هي السبب؟ لعل الغيرة عليها والمحبة لها والمبالغة في حفظها وصيانتها اهم من الحفاظ على الدين وأركان الدين؟ لعل الدين قد تحول من نظام يعمر قلب الانسان بالحق والعدل والتسامح والسلام الى نظام همه الأول

والاخير منع التبرج والمتبرجات والزنى والزانيات؟ وما نفع أن يمنع الزنى بالجسد ويبقى معششاً في القلوب؟ انكم ان خدعتم انفسكم فكيف بكم تخدعون اجسادكم وهي بحاجاتكم اعلم؟

لم تخلق المرأة كي تكون سببا للتطاحن والتنابز والكراهية بينكم ، ولا هي ارادت لنفسها ان تكون طرفا ومسببا للنزاع بينكم ، لا تبالغوا في الخوف عليها والدفاع عنها « متدينين » كنتم أم غير متدينين فهي اعلم بحاجاتها منكم ، أعطوها الفرصة حتى تعرف نفسها ، وأمدّوها بثقتكم اجمعين عندها سوف ترون ان نزاعكم حولها ليس الاّ تجسيداً لجهلكم اجمعين .

(٣) ارادة الانسان والهوى:

إن كل ما تقوم به الدوائر الاستعمارية والطاغوت وتجار الهوى لا يعدو ان يكون ايجاد أجواء من الفساد وتشجيع الناس على الرذيلة ، ولكن تبقى ارادة الانسان قادرة على تحدي جميع هذه المؤثرات ، والشباب المسلم لو انه بارادته قاطع كافة اشكال الفساد والانحلال لما تمكن تجار الهوى من ان يروجون بضاعتهم ، لو اننا رفضنا ان نجري وراء ما تفعله الاسرة الغربية لما وصلنا الى ما وصلنا ، اذن فعندما تحطمت ارادتنا تحطمت الأسرة .

﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسيلقون غيا﴾[1] .

فليس بداية الفساد ، والذي ينخر اليوم في جسد الامة وليدة اللحظة أو الأيام أو الشهور أو السنوات .

ولو أردنا أن نحدد متى انطلق الفساد ، في الأمة لما أمكننا تحديد ذلك الا

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٥٩ .

عبر الإرادة البشرية .

فعندما انهارت ارادة الفرد المسلم ووقع اسير الهوى بدأت عجلة الفساد بالدوران .

صحيح ان الفساد يميع إرادة الشباب ولكن الفساد لم يدب في الامة الا عبر ضعف ارادة الانسان ، وهذا يعني ان الفساد لا يشكل حتمية على ارادة الانسان .

وهذا المنطق الخطير الذي يتفوه به الشباب حين تسألهم عن سبب سلوكهم سبيل الفساد يقولون بآراء مختلفة .

إن الله هو الذي أعطانا الجمال ولا نستطيع تحمل جمال الفتيات ، أو اننا لم نفعل شيئا لا يرضي المجتمع ، في حين أصبح المجتمع يقبل بالكثير من الأوضاع الشاذة .

ان كل هذه الأعذار انما هي وليدة الهوى ، والهوى لا يصلح ان يكون مرتكزا للحق ، بل ان احد معايير الحق هو مخالفة الهوى ، والحساب والجزاء في يوم القيامة لا يرتكز على تصورات الانسان بل ينطلق من القيم والمبادىء .

فماذا سيكون مصير الشباب وماذا سيكون مصير الفتاة .

(٤) الخلل في رقابة الأسرة ورقابة المجتمع:

ان كل جزء في المجتمع يخضع لرقابة الحدود . . المؤسسات . . والاسرة تحتاج الى اكبر رقابة ، ومع ان الاسلام أوكل بالأب والأم مهمة الرقابة بالأسرة بحيث يلاحظان الظواهر المختلفة في حياة الطفل والشاب والفتاة مما يؤشر على بداية الانحراف ، وهنا يكون العلاج اسهل ، مع ذلك لم تلعب الاسرة دورها الرقابي تجاه أبنائها بل ركنت الى الغفلة ، فيشب الانحراف وفجأة

تصطدم الأسرة بالواقع المنحرف للشاب أو الفتاة ، قد تكتشف الاسرة ان الابن مدمن على المخدرات أو لديه علاقات غرامية ، أو أنه يشاهد الافلام الخليعة ويأتي بها من الأصدقاء ، أو أنه يمارس العادة السرية .

وهنا غالبا ما يكون موقف الاسرة عفوياً أو فوضوياً في العلاج فاما تستسلم للامر الواقع وتقتصر على العقاب واما ان تمارس القمع مع الشاب أو الفتاة فيتم اللجوء للخارج لممارسة ذلك بعيدا عن اعين الاسرة .

صحيح ان الاسلام ايضا لم يعطي الاسرة مجرد الرقابة بل اعطاها ايضا سلطة العقوبة والتأديب ولكن التأديب الذي يتدرج من اللوم الى التوبيخ الى الضرب المعتدل . . يجب ان يكون ضمن خطة كاملة لمعالجة المشكلة فليس اللوم وحده يكفي وليس الضرب وحده كذلك هو بكاف .

ومن احد اسباب انهيار الاسرة هو الغاء دور الرقابة والتأديب ، فقد تنهار ارادة الشاب أو الفتاة امام اجواء الفساد ولكن يبقى هناك الأمل في الاسرة ولكن اسرة اليوم تبدد الأمل عندما تهمل أبناءها .

والمجتمع ذلك الكيان المسؤول ايضا فقد رقابته على افراده بل اصبح يوفر الاجواء التي تدفع الشباب الى الانحراف واسقط عقوبة القانون في كثير من الاحيان حيث ان جريمة الزنا تمر دون عقوبة إذا رضي الزاني والزانية بالزواج من بعضهما .

مسؤوليتنا تجاه إنهيار الأسرة:

عندما تتوغل الثقافة التبريرية في الأمة وتستورد ثقافة الشرق والغرب فلكي ترجع الأمة الى منبعها الأصيل تحتاج الى الثورة الثقافية ، وعندما يتوغل الطاغوت ويتسلط على رقاب البشر فلا ينفع المجتمع العمليات الاصلاحية الجزئية بل يحتاج إلى التغيير الجذري ، وكذلك في مجال انحراف الاسرة ، ان

كافة الحلول الاصلاحية الجزئية في الأسرة لا تفيد ولا تسعف جرح الاسرة .

ان المسؤولية الحقيقية التي يجب ان تتحملها الأسرة اليوم هي الثورة الشاملة في كافة أنحاء نهجها وسلوكياتها اليومية ، فعلى كل اسرة ان تقف وقفة مسؤولة مع افرادها ، وتقيم ممارساتها ، مأكلها ، علاقاتها ، عباداتها .

ان مشكلة الاسرة ليست تكمن في عدم معرفة الحلول والأساليب الكفيلة لصون الأسرة ، فالاسلام يطرح لنا منهجاً متكاملاً ، وكنا كمسلمين نسير عليه في يوم من الأيام يجب ان لا نخدع انفسنا بالبحث يميناً وشمالاً .

ان الصراع في الأسرة هو صراع القيم ، صراع الارادة ، فالاسرة المسلمة ما انهزمت امام تعاليم الاسلام الا بعد اتباع الهوى ومن ثم وقعت فريسة للغرب والشرق ، والحقيقة الأخرى التي يجب ألا نخدع انفسنا بها هي ان كل محاولة لاصلاح الأسرة تنطلق من واقع الفصل عن الاصلاح السياسي لهي محاولة فاشلة ، لذلك يبرز الرساليون في انقاذ الأسرة المسلمة من هذه الرؤية رؤية الاصلاح الجذري والشامل للأسرة .

* الرساليون أمل إنقاذ الأسرة:

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير * ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون * وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين *واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون *﴾[1] .

(١) سورة هود ، الآيات : من ١١٢ إلى ١١٧ .

الاستقامة هي المحور الذي تدور حوله سورة هود ، ولا تشير الى هذه الكلمة [الاستقامة] الا في نهاية السورة ، بعد ان تتحدث عن استقامة نوح ، وابراهيم ، وهود ، وصالح ، وموسى ، وانبياء آخرين (ع) ، ومواجهتهم للطغاة والفساد ، بعد هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى في نهاية السورة مخاطباً رسوله (ص) ، وبالتالي مخاطباً المؤمنين:

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ .

أي عليك أنت والجماعة الخيرة الفاضلة الذين يحومون حولك ، كما تحوم الفراشة حول الشمعة ، عليكم جميعاً ان تستقيموا .

﴿ولا تطغوا انه بما تعملون بصير﴾ .

وهنا يأمر الباري عزّ وعلا بالاستقامة في ظروف الانتصار « بعدم الطغيان » وفي حال الهزيمة « بعدم اليأس » فتكونوا أبطالاً ، تتعالون على الهزيمة كما تتواضعون في حال الانتصار .

﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ .

فعلى الفئة المؤمنة ـ حال الانتصار أو الهزيمة ـ أن تستقل ، بعدم الركون لأي جهة كانت ، لا للشرق خشية الغرب ، ولا للغرب خشية الشرق .

ولا تستمد الدعم من قوة طاغوتية متجبرة ، لاخضاع قوة طاغوتية متجبرة أخرى .

﴿وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ .

تأكيد بالاستمرار على الاستقامة وطلب النصر من الله ـ ومن الله فقط ـ لا من الشرق حيناً والغرب اخر ، فان الله سوف يكلكم الى انفسكم والى أوليائكم في الشرق أو الغرب ﴿ثم تنصرون﴾ وكيما تبقى جذوة الاستقامة متوهجة في

نفوسكم لا بد من الاكثار من الصلاة .

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ .

﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾ .

اذن إن الحكمة الالهية تقتضي وجود **﴿أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾** مهمتها الاصلاح والنهي عن الفساد في الأرض ، مجموعة خيرة رسالية متوارثة **﴿ذرية طيبة بعضها من بعض﴾** يحملون مشعل الرسالة ، ومشعل الاصلاح ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واصلاح المجتمع .

﴿ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم﴾ .

و**﴿لولا﴾** كلمة تحريض ، بمعنى « لماذا لم تكن » و**﴿أولوا بقية﴾** في لغتنا اليوم تسمى ثواراً أو « المجموعة المؤمنة التي تبقى » وتستمر مع كل الظروف المعادية والتحديات الصعبة .

﴿واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ .

اذا وجدت هذه الفئة المخلصة فانها تنقذ القرى الكبيرة من الهلاك التام عن طريق نهيها عن الفساد في الأرض .

* الفئة الرسالية :

وهذه الآيات صريحة تقريباً في ضرورة وجود فئة مستقيمة صابرة مصلية تأبى الركون إلى الغرب أو الشرق ، باقية على استقامتها وثوريتها في طريق الحق ، مهما تطاولت القرون ، وتكالبت المحن .

ان على الفرد الرسالي ان يتحسس الفساد ، ومعالم انهيار الاسرة بعمق ، وان يجعل نفسه في دائرة المسؤولية فلا يكون طموحه فقط في ان يحفظ نفسه على طريق الاستقامة ، بل عليه ان يحافظ على المجتمع بأكمله على طريق الاستقامة .

وكما تبين الآيات لكي يحافظ الفرد المؤمن على انطلاقته في مواجهة الفساد فلا بد ان ينمي استقامته ، ان تلك المجاميع الهائلة من الشباب التي تتوجه إلى الفساد يجب ان نشعر بمسؤوليتنا تجاههم ، لماذا لا نجعلهم يتوجهون في رحاب الله ، لماذا لا نجعلهم يعملون في سبيل الله بدل العمل في سبيل الشيطان ، ان محاربة الفساد ليس عبر الفكر وحده ، أو عبر الاعلام وحده ، بل ان اهم سلاح لمحاربة الفساد هو اقامة العلاقات الايمانية مع الشباب ، وكذلك الفتيات ، البعض عندما يرى هؤلاء الشباب المنحرفين الموزعين في مجالس البطالين ودور الخلاعة يمتلىء قلبه بالغضب والحقد عليهم ، ويتمنى لو انه يبطش بواحد منهم ، ولربما دعا عليه بالويل والثبور .

جميل ان تأخذنا الحمية على الدين ، جميل ان تكون فينا روح الغيرة على المبادىء والقيم ، ولكن ليس من الجميل ان تحمل حقدا على هؤلاء ، اننا يجب ان نتعامل معهم كالمرضى وكالغافلين ، يجب ان نفجر الغضب والحمية في اعماقنا ، ولكن بدل ان نصبها في اللعن والسباب علينا ان نصبها في هداية هؤلاء الشباب وهذا الجيل الضائع .

والشيء الأخير ان على الفرد الرسالي ان يحرص على متانة حصن اسرته ويحاول ان يسد ثلمته اذا ما انهار جزءا منه ، فلا ينشغل باصلاح المجتمع على حساب اسرته .

يجب ان يقوم بدور الأب والأم والأخ ، ويلعب كل دور في الأسرة من نقد وتوجيه ونصيحة ولوم .

خاتمة :

رسالة إلى الفتاة:

للمرأة في تاريخنا العظيم دور بطولي رائع ، تشهد لها سوح القتال حيناً وساحات المواجهة مع الباطل احياناً أخرى .

فابتداءاً من مريم العذراء ، ومروراً بخديجة ، وفاطمة ، وزينب ، ونسيبة ، وام عمار وغيرهن ، وانتهاءاً بنسائنا الرساليات اليوم .

ايتها الفتاة المؤمنة . .

ان المرأة والرجل كلاهما في خندق واحد يعملان من اجل ازالة الفساد من هذا المجتمع فلا تكوني سلبية ازاء دورك العظيم .

كوني نصيرة الله . . ولا تتخذي دون الله حبيباً ، فانه تعالى حبيب من تحبب اليه ، واغلقي الأبواب على الأرض لتنفتح عليك ابواب السماء . ارتفعي عن الإسفاف ، ارتفعي عن الشهوات واعلمي انه ليس دون الله من منجي..

اعتزي بالحجاب واجعليه تحدياً للفساد ومع الحجاب تحولي الى كتلة من النشاط ، فليس الحجاب سجناً للمرأة ، ومقبرة لكفاءتها ، بل هو وسيلة للتحرر والانطلاق والعمل .

فلا تقبلي ان تكوني شيئاً ثميناً ، ولا شخصاً ثميناً ، بل كوني صاحبة الدور الثمين ، تفهمي طريقة العدو في سحق المرأة ، فان طريقته خبيثة وماكرة فهو يستخدم الأساليب المحببة اليك اكثر ما يستخدم الأساليب المبغضة .

فهو يتوسل بالمكر والخداع ، فيقوم بدغدغة الشهوات لكي يسحق الكرامات ، ويستخدم الترف لقتل الشرف ، والرقص والموسيقى لسرقة الايمان والتقوى .

ولكي تستردي كرامتك قاومي وسيلة العدو وهي النفس الأمارة بالسوء ، وكوني من شهواتك في حذر .

انهم يريدونك سلعة تجارية للعرض ، بل عقب سيجارة يرمونها في القمامة بعد ان يقضون حاجتهم منها . يريدونك تلك المرأة التي تفتح عينها في الصباح بحثاً عن ادوات الزينة ، الفساتين وحينما تخرج للشارع تبحث عن العيون الجائعة الى مفاتنها ، وحين تذهب الى المكتبة تطلب مجلات العري والفضائح ولا تقرأ غير قصص الغرام الكاذبة ، وفي الحفلات تحاول ان تكون مثل الطاووس ، تختال بألوان ثيابها وتسريحة شعرها وحدود اهتمامها لا تتعدى جغرافية جسدها .

لا تعيدي ادوات المكياج ووسائل الزينة فانت اكبر من قارورة عطر ، او ميلة كحل ، أو قطعة قماش ، واعلمي ان (جمال الروح) وليس جمال الجسد هو الذي يسير الانسان الى الانسان .

اياك ان تنهزمي ، فان اقوى اسلحة الاستعمار لهزيمة الشعوب هو « هزيمة المرأة » فاذا كانت المرأة مهزومة فأي جيل ستربيه غير جيل المهزومين؟

اخرجي من الدوائر الضيقة التي ارادها لك عملاء الاستعمار مثل دائرة الخوف أو دائرة الانتحار على السرير أو الطواف حول المطبخ .

مارسي دورك الذي اراده الله لك في خلافة الارض وعمارة الحياة .

فكوني مؤمنة ، عاملة ، مجاهدة في سبيل الله .

كوني اي شيء ، ولكن اياك ان تكوني ديكوراً في مطبخ ، أو فراشاً على سرير ، أو لوحة على جدار ، أو صوتاً في اغنية ، أو جسداً في رقص ، أو صورة

على غلاف مجلة ، واعلمي ان المرأة عظيمة حينما تتأكد أنها عظيمة[1] .

رسالة الى الشاب:

رسالات السماء قامت على اكتاف الشباب ، فهم مثل غيرهم تحملوا الصعاب في سبيل الله وهم اكثر من غيرهم قدموا الضحايا والشهداء .

وهكذا فان دور الشباب في التاريخ هو الدور الأخطر على الاطلاق ، ولكن بمقدار ما هو خطير دور الشباب ، بمقدار ما تنهال عليهم المؤامرات من كل حدب وصوب لتحريف دورهم ، وتغيير مسارهم ، وافساد شخصياتهم .

ذلك لأن الطغاة لا يخافون شيخاً طاعناً في السن ، بمقدار ما يخافون شاباً مؤمناً يفهم الاسلام ويعمل به أو يعيش آلام أمته .

من هنا يأتي دوركم الخطير ومسؤوليتكم الثقيلة ، فانتم عماد الامة واملها المنشود في صنع غد مشرق ، تعرفوا على أساليب الطاغوت ، وتجنبوا حيله وألاعيبه السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، فالطاغوت يحاول ابعاد الشباب عن قضاياهم المصيرية عن طريق اللهو واللعب ودغدغة الشهوات ، ولذلك فانه كل يوم يفتتح مركزاً للّهو واللعب بدل ان يفتتح الجامعات والمكتبات ، لا تكونوا في صراع الحق والباطل احجاراً على قارعة الطريق لا مع هذا ولا مع ذاك فلا حياد بين النور والظلام . . اما حق واما باطل وما بينهما باطل .

لا تساوموا على الكرامة فان المؤمن اعز على الله من الكعبة . . . ولا ترضوا بالذل والهوان فان الله أوكل الى عبده المؤمن كل شيء ولم يوكل اليه ان يذل نفسه .

---

(١) رسالة المرأة المؤمنة .

تحولوا الى ضمائر في اهليكم ، وأنيروهم بالوعي ، واثيروا فيهم الكرامة والعزة ، ومطالبة الحق ، والعدل ، والحرية .

انظروا الى اي شيء تحول الى صنم في حياتكم فحطموه ، واقتدوا في ذلك بالفتى ابراهيم (ع) الذي عمد الى الاصنام فأغار عليها فجعلها جذاذاً .

ان الصبر والصمود واستمرار المقاومة هي سلم المجد لدى الرجال .

ابتعدوا عن عادات الغرب وثقافته ، فان الغرب مسموم مسموم ، ظاهره الجمال ، وباطنه السم القاتل ، فأي شيء قدمه الغرب لكم خلال مئة عام استعمر خلالها بلادكم غير الدمار والخراب ، ونهب الثروات والنساء وتسليط ارذل خلق الله على خير خلقه؟!

أي هدية غير الجماجم والمآسي قدمها القادمون من وراء البحار لكم؟

ان الاجنبي كالميكروب ما ان يدخل بلداً الا ويبدأ ينخر فيه من حيث لا نشعر ولا نرى .

ان الاسلام أمانة في أعناقكم فلا تضيعوه ، الاسلام عزتكم ، وعزتكم الاسلام ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[1] .

والعلم لاستقلال امتكم ، وحريتها وكرامتها هي رسالتكم في الحياة[2] .

رسالة الى الاسرة:

ايها الاباء . . .

ان ابناءكم ارحامكم والله سائلكم غداً عنهم . . ولكم عليهم حقوق

---

(١) سورة المنافقون ، الآية : ٨ .

(٢) رسالة الى الشباب .

وواجبات فماذا فعلتم لهم؟

وهل اديتم الرسالة التي حملها الله عليكم تجاههم؟

ايتها الام:

يا من تتجلى فيك عظمة الله عبر خلق الانسان ، يا رمز المحبة والعطف والحنان ، كوني بمستوى المكانة الرفيعة التي وضعك الله فيها .

ربوا اولادكم على الأخلاق والايمان وهم صغار ، ذلك لان قلب الحدث كالارض الخالية كلما ألقي فيها قبلته .

كونوا بالنسبة اليهم لقمان الذي قال لابنه وهو يعظه : **﴿يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم﴾**[1] ، **﴿يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر﴾**[2] . واعلموا ان مسؤوليتكم تجاه ابنائكم ليست مسؤولية الجسم والصحة والمرض فحسب بل هي قبل كل شيء مسؤولية التربية الصحيحة ، والصفات النبيلة ، والفكر الصائب ، والاداب ، والاخلاق ، ولقد بين الله المسؤولية حينما قال **﴿يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد﴾**[3] .

استقيموا في العائلة على الايمان والاخلاق والتقوى والصلاح ، والتزموا بين الابناء بالحق والعدل ، واعلموا انكم كعمود الخيمة ، فكلما استقام العمود استقامت الخيمة ، بالغوا في تعليمهم الاداب فقد جاء في الحديث: « خير ما ورث الاباء الابناء الادب »[4] اجعلوا اجواء البيت نظيفة ولا تنقلوا اليها مشاكل

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٧ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

(٤) الحكم : ص٢٦٩ ح٥١٢٣ .

المجتمع مفاسد الطاغوت ، ابعدوا اولادكم عن ذئاب الشرق والغرب فانهم يتربصون الدوائر في كل وقت وكل مكان ، واهم احاييلهم في ذلك: الثقافة ، والفساد ، فبالثقافة يصنعون عملاء! وبالفساد يصنعون عملاء بالتبضع ، احذروهم من أساليب الاستعمار الخفية واللذيذة فهي كأساليب ابليس مقدمة للقضاء عليهم .

حذروهم من اصدقاء السوء فان صديق السوء يسرق شرف الانسان وشخصيته .

علموهم كيف يتركون الشهوات حتى يكونوا احراراً في دنياهم فقد جاء في الحديث « من ترك الشهوات كان حراً »(١) .

ان الابناء لا يحتاجون الى الطعام والكساء والراحة فقط بل انهم يحتاجون الى من يزرع في نفوسهم الايمان .

فان لا قيمة للابن اذا كان له جسم جميل ، وقوام رشيق ، ولكنه كان احمقاً!

حولوا جهاز التلفزيون من جهاز الفساد والافساد كما يريد الطاغوت الى جهاز للنقد والتوجيه والفيديو ، الى جهاز للفكر والبرامج المفيدة ، وكذلك المجلات والصحف .

واخيرا حصنوا الاسرة بسور من التقوى والايمان والورع .

واتركوا وراءكم خلفاء صالحين ، وليس من الذين وصفهم الله تعالى ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات**﴾(٢) فيحرقون ما

---

(١) تحف العقول : ص٦٥ .

(٢) سورة مريم ، الآية : ٥٩ .

زرعتم ويحصدون ما زرعتم[1] .

فان الله سائلكم عنهم يوم القيامة .

---

(١) رسالة الى الآباء ، رسالة إلى الامهات .

بناء الأسرة الفاضلة
« الطفل مرآة الأسرة »

بســـم الله الرحمـن الرحيـم

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾(١)

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾(٢) .

لما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أخذت الوفود تتقاطر إليه من أنحاء الدولة لتهنئته وكان في تلك الوفود وفد من الحجاز ، كان في ذلك الوفد صبي صغير ، قام في مجلس الخليفة ليتكلم فقال الخليفة : ليتكلم من هو أكبر منك سناً .

قـال الطفـل : أيها الخليفـة إن كان المقيـاس للكفاءة كبـر السن ففي مجلسك من هو أحق بالخلافة منك ، تعجب عمر بن عبد العزيز من هذا الكلام وأيده على ذلك ثم أذن له في التكلم ، وبعد أن أنهى كلامه قال له عمر بن عبد العزيز : عظني .

قـال الطفـل : لقد أصيب البعض بـالغرور لحلم الله عليهم ، وأصيب آخرون بذلك لمدح الناس إياهم ، فاحذر من أن يبعث هذان الأمران الغرور

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٦ .

فيك فتنحرف في تدبير شؤون الدولة .

سر عمر بن عبد العزيز لهذا الكلام وسأل عن عمر الصبي فقيل له : هو فتى ابن اثنتي عشر سنة .

نسمع كثيراً عن مثل هذه القصص التي تُظهر نبوغ بعض الأطفال في بعض المجالات ، ولعلك قد استرجعت في ذهنك بعض منها .

نستمع إلى هذه القصص ثم نبتسم ونرفع حاجبينا اعجابا بهذه القدرات الصادرة من أحداث ، ثم نهز رأسنا ونطلق آهات الحسرة عن قصور أبنائنا في الوصول إلى مستوى كهذا ، دون أن ندرك وجود مواهب وطاقات كامنة في أطفالنا دفينة بسبب سوء التربية والمعاملة .

تعد أزمة التربية التي نعيشها هي من أهم المشاكل التي تواجه مجتمعنا ، حيث أصبحت تهدد أمتنا بمستقبل مظلم .

فقد فقدت كلمة التربية في مجتمعنا مفهومها الحقيقي ، وأصبحت لا تعني سوى الاهتمام بمأكل وملبس الأطفال وحمايتهم من الأمراض الجسمية ، وتركهم بعد ذلك يعيشون كما يعيش الطائر في قفصه دون أي اهتمام في شؤونهم النفسية والروحية ، وإذا تعدى البعض في ادراكه لمفهوم هذه الكلمة فإنه لا يعدو أن يكون أحد أمرين متناقضين ، وقلما نجد توازنا أو اعتدال ، فالبعض يرى أن التربية هي عنف ، وضغط ، وضرب ، والنتيجة أشخاص عديمي الشخصية ، فاقدين الثقة بالنفس ، يعانون من عقدة النقص التي تنغص عليهم حياتهم ، وتشلهم عن التقدم والابتكار ، والمشاركة الفعلية في أي دور في المجتمع .

وكثيرا ما نشاهد مصداق هذا الكلام في واقعنا ، ثم يرجو هذا الأب بعد ذلك ابنا سويا ، شجاعاً رزيناً ، ذو شخصية رصينة ومتفوقة ، وإذا اصطدم

بالنتائج الوخيمة : ابنا عاقاً ، أو شاذاً في سلوكه وخلقه ، مليء بالعقد النفسية ، تجده يشكو الحظ أينما حل أو جلس ، ويأتيك بالدليل تلو الدليل بأن العلة ليست في التربية إنما هي في شخصية الطفل ، ماذا ننتظر من شخص لاقى الضرب العنيف من والده منذ السنة الخامسة أو السادسة حتى عامه الثلاثين وذلك لتوجيهه في المسار السليم بعد سنوات من الاهمال شب فيها الطفل على ما لا يرغبه الدين والعقل .

عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « رحم الله من أعان ولده على بره » .

قال : قلت : كيف يعينه على بره؟

قال : « يقبل ميسوره ، ويتجاوز عن معسوره ، ولا يرهقه ، ولا يخرق به »[1] ، وسيرد تفصيله .

وقسم يرى أن التربية اضافة إلى ما تقدم من توفير الحاجات المادية هو حب مفرط للطفل دون أي اعتراض لارادة الطفل وتصرفاته ، إنه يحب ابنه لذا يحب أن يعطيه ما يريد ، ويفعل ما يريد ، وتجاوز كما يريد ، حتى وان اعتدى على الآخرين فلا يجب الاعتراض عليه ، وإذا سألت أباه لماذا لا توجه طفلك؟ أو تعاقبه؟ يقول لك بكل ثقة المربي الواعي . . وهل تريد للطفل أن يتعقد! لكن طفلك يعتدي على الآخرين وسوف يكرهه الآخرين ، وتربي فيه حب الاعتداء وصفات أخرى ذميمة وخلال سنوات سوف يرى نفسه منبوذاً في مجتمعه ، مما يزرع فيه عقدة نقصة واحساس بالدونية ، فيجيبك : سوف يكبر ويفهم! وهو يجهل أنه ليس من السهولة استئصال ما شب عليه الطفل من صفات

---

(١) **الكافي** : ج٦ ص٥٠ باب بر الأولاد ح٦ .

قد ترسخت في نفسه وصارت جزءاً منه ، وكثيرا ما نشاهد مثل هذه التصرفات في واقعنا كإعانة الطفل على الخطأ وتشجيعه أحياناً ظناً منهم بأنهم يفهمـون أصول التربية الحديثة دون غيرهم ، وإذا سألتهم من أين لكم بهذه المبادىء؟ لا تجد جواباً ، إن هي إلا الإرتجالية في التربية وفق الأهواء والعواطف التافهة .

يقول الإمام الباقر (ع) : « شر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط »[1] .

ومظاهر أخرى وأخرى كثيرة يمكن أن نشاهدها في واقع حياتنا اليوميـة تشير إلى أن الصبي إذا أهمل في أول نشوئه خـرج على الأكثر رديء الخلق والأفعال فيكون كذاباً ، حسوداً ، لجوجاً عنوداً ، سارقاً ، خائناً ذا ضحـك ، وفضول ، وربما صار مائلا إلى الفسق والفجور[2] .

ماذا تتوقع من الطفل الذي لا يُوجه ولا يُعتنى به وفق أساسيات علمية؟ ماذا تتوقع من الطفل الذي لا يطرق سمعه حديث عن الفضيلة ، والإيمان ، وحب الله ، ومكارم الأخلاق والمسؤولية وغيرها؟

ليس هذا مهما عند كثير من الآباء ، المهم أن يغدق عليه في المعيشة ويجمع له رصيداً من المال ويظن أنه قد أدى ما عليه من المسؤولية بينما يبقى الابن فاقد لأهم شيء وهو الأدب .

يقول الامام علي (ع) : « خير ما ورث الآباء الأبناء الأدب »[3] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج٣ ص٥٣ . كما في الطفل بين الوراثة والتربية في موضوع الافراط في المحبة .

(٢) جامع السعادات النراقي عن (النظام التربوي في الإسلام للقرشي : ٩٧) .

(٣) غرر الحكم : ص٢٦٩ ج٥١٢٣ .

أهمية التربية

لم يعد اعتبار التربية موضوعا يشغل الاهتمام وجدير بالبحث ، بل وحتى في حياتنا العلمية نجد أن هذا الموضوع لا يشغل محافلنا العلمية بالقدر الذي يناسب أهميته .

وهذه احدى افرازات واقعنا المتخلف الذي نعيشه بصوره المتعددة .

إن الطفل عالم من المجاهيل المعقدة كعالم البحار الواسع الذي كلما خاضه الباحثون ، كلما وجدوا فيه كنوزا وحقائق علمية جديدة ، لا زالت مخفية عنهم ، وذلك لضعف وضيق ادراكهم المحدود من جهة ، واتساع نطاق هذا العالم من جهة أخرى . إننا عندما نتكلم عن الطفل فإننا نتكلم عن الشاب بعد ١٥ عاماً ، وعن الرجل المسؤول بعد ٣٠عاماً وعن العالم أو المفكر أو المرجع بعد ٥٠ عاماً وعندما نتكلم عن هؤلاء إنما نتكلم عن الرجل الذي سيتحمل المسؤولية الإلهية الملقاة على كاهل الإنسان كما يشير إلى ذلك القرآن .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان . .﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

إننا نتكلم عن الشخص الذي يجب أن يتحمل عبء الرسالة ، ويحمل مسؤولية المشاركة في بناء الحضارة الإسلامية ، ولن يبقى طفلاً مدى الحياة كما يتصور جهلا كثير من الآباء والأمهات .

ألم يكن كل عظماء التاريخ أطفالاً؟ ألم يكن كل زعماء الحضارات أطفالاً؟ ألم يكن كل مفكري وعلماء العالم أطفالاً؟ ألم يكن كل من على الأرض في يوم من الأيام أطفالاً؟ ألم تكن أنت طفلاً؟!

بلى كلهم كانوا أطفالاً ولكنهم وجدوا من يستغل كنوزهم الفطرية ويرعى مواهبهم المودعة بداخلهم من خلال تربية واعية حكيمة .

ورد عن الامام الحسن (ع) : أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال : « إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته »(١) .

وعن الامام علي (ع) : « من لم يتعلم في الصغر لم يتقدم في الكبر »(٢) .

ويشير إلى هذا المعنى طفلاً ذكياً كما في القصة التالية :

لقد كان ابن سينا جالساً عند أحد الحدادين فجاء طفل وسلم على الحداد وقال له : إن أمي تقرؤك السلام وتسألك جمرة توقد بها القدر .

فقال الحداد للطفل : اذهب واحضر اناء أضع لك فيه الجمرة .

لكن منزل الطفل ليس قريباً فتلفت الطفل حواليه ولم يجد شيئاً يضع فيه الجمرة فتناول حفنة من التراب في يده وقال للحداد : ضع الجمرة على التراب

---

(١) بحار الأنوار : ج٢ ص١٥٢ ح٣٧ .

(٢) غرر الحكم : ص٤٤٥ ح٩٠٣٧ .

ولن تحرق يدي .

فوضع الحداد الجمرة على التراب وذهب ، فناداه ابن سينا وسأله قائلاً كيف عرفت أن التراب يعزل حرارة الجمرة عن يدك .

فقال الطفل : لا تستغرب فلست أنا وحدي بهذا الذكاء بل إن في بلادنا آلاف الأطفال على درجة من الذكاء ، لكنه قدر لنا أن نصبح من الكادحين ذوي الحرب البسيطة ليبرز مثلك عالماً ليس له منازع ، ثم أدار وجهه وذهب .

إن هذا الطفل أراد أن يقول لابن سينا أنك لست الوحيد بذكائك هذا ، وإنما نحن الكادحين والطبقة المحرومة المظلومة لدينا عناصر بهذا الذكاء ، لكن الظلم بأنواعه ، والفقر ، والجوع ، وسوء توزيع الدخل ، والتي تؤدي بالنهاية إلى سوء التربية وبشكل عام والظروف الاجتماعية والتي هي وليدة الظرف السياسي آنذاك هي التي تحول دون استغلال هذه الطاقات والمواهب ، والتي لو اتيحت لها الفرصة وأحيطت بالرعاية لتفتقت أرضها عن شجر طيب الثمار .

إن موضوع التربية من الأهمية بمكان بحيث أن « سر كل حضارة من الحضارات نظام تربوي يعد الأجيال لصنع تاريخ أمة »[1] .

وإذا تصفحنا التاريخ وجدناه يثبت هذه الحقيقة .

يقول كونفيشيوس فيلسوف الصين الكبير (٥٥١ ـ ٤٧٨) ق . م : « الطبيعة هي ما منحنا إياه الإله والسير بمقتضى شروط الطبيعة هو السير في صراط الواجب وادارة هذا الصراط وتنظيمه هو القصد من التربية والتعليم » .

ويرى أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢) ق . م . أن اعتماد الحضارة اليونانية إنما

---

(١) منهج التربية (على الأديب) ص٨ .

كان على التربية فيقول : « توجد هناك نقطة واحدة يستحق الاسبراطيون من أجلها الثناء ، وهي أنهم كانوا يعتنون كل الاعتناء بتربية أطفالهم بصورة عملية تناسب محيطهم ، ويقصد أرسطو بذلك التربية على السمو ، والقوة ، والصبر ، والفداء في سبيل الوطن وبناء الحضارة .

وأما في الحضارة الأوروبية فنجدهم أيضا يؤكدون على دور التربية ، بولس فير (١٣٤٩ ـ ١٤٢٠) م استاذ في جامعة (بادوا) : « بالدراسات يمكننا أن ندرك الفضيلة والحكمة ونمارسها ، تلك هي التربية التي تعمل على أن تستدعي وتدرب وتنمي أعظم المواهب العقلية والجسمية التي تشرف الإنسان ويضعها العقلاء في المرتبة الثانية من الكرامة بعد الفضيلة مباشرة » .

إذن فهذا الموضوع هو موضوع بحث الحضارات منذ أن وجدت حتى الآن ، مما يكشف عن أهمية هذا الموضوع المفقود في واقعنا .

يقول الإمام الصادق (ع) : « قال لقمان : يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً . ومن عني بالأدب اهتم به ومن اهتم به تكلف علمه ، ومن تكلف علمه اشتد له طلبه ، ومن اشتد له طلبه أدرك به منفعته »[1] .

إننا نستطيع القول إن الحياة التي يعيشها كل إنسان ونقصد نوعيتها من حيث الفشل أو النجاح والسعادة أو الشقاء ، قد تعتمد بشكل كبير على الإدراكات والمواقف الحاصلة له أيام طفولته ، وإن شطراً كبيراً من المشاكل والمآسي والانحرافات الخلقية الذي يعيشه شبابنا ، إنما يعود إلى سقم الأساليب التربوية المتبعة بحقهم .

بل نستطيع القول إلى حد ما أن المشاكل التي يعيشها العالم بأسره إنما

---

(١) بحار الأنوار : ج١٣ ص٤١١ .

تعود إلى نوعية التربية التي تلقاها قادة هذا العالم في أيام طفولتهم ، وبنظرة فاحصة إلى التربية التي تلقاها هتلر أيام طفلولته تترجم هذه الحقائق إذن فجزء كبير من عوامل سعادة الإنسان والمجتمع أو شقاء يعود إلى نوعية التربية المتبعة معهم في دور الطفولة .

إن الباحثين في الدول الكبرى اليوم يخضعون الطفل لدراسات ورقابة دقيقة بغية الوصول إلى أفضل الطرق للتعامل مع هذا المخلوق المهم والغريب للوصول إلى أفضل النتائج الممكنة واستغلال أقصى طاقاته ومواهبه ، وبشكل مختصر فإن هذا الموضوع يحتل مكانة كبيرة ومرموقة ومهمة في سلم أولويات الفكر البشري في الماضي والحاضر والمستقبل .

التربية في الإسلام

أما في ديننا فإن التربية ليست أمراً هاماً فحسب بل « إنها فريضة روحية مقدسة وواجب شرعي لا يمكن الإفلات منه »[1] .

يقول الإمام زين العابدين (ع) :

« وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وإنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عزّ وجلّ ، والمعونة له على طاعته فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان إليه ، معاقب على الإساءة إليه »[2] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « وتجب للولد على والده ثلاث خصال :

١ ـ اختياره لوالدته .

٢ ـ وتحسين اسمه .

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية .

(٢) مكارم الأخلاق : ص٤٢١ .

٣ ـ والمبالغة في تأديبه »[1] .

والمطلع على الأحاديث الواردة بخصوص التربية والأطفال يدرك مدى اهتمام الإسلام البالغ في هذا الموضوع الحساس واهتمامه البالغ بالأطفال والأحداث ، فإذا كانت تربيتهم كما أرادها الله ورسوله سيكونون حملة الرسالة ، ومن خلالهم سيتحدد مستقبل الأمة والقائمين على إعلاء كلمة الله في الأرض ، وضخ روح جديدة في جسد الأمة لتقاوم كل عوامل الهدم التي تتعرض لها ، لذلك اعتبر الخالق حبهم من أفضل الأعمال إلى الله عزّ وجلّ كما جاء في الحديث القدسي :

قال موسى (ع) : « يا رب . . أي الأعمال أفضل عندك؟

قال عزّ وجلّ : حب الأطفال ، فإني فطرتهم على توحيدي ، فإن أمتهم أدخلتهم برحمتي جنتي »[2] .

وهل تجد في أي حضارة أرضية ، أو في أي مدرسة فكرية ، أو في أي مركز للعناية بالأطفال في كل العالم منزلة كهذه للطفل؟ لا أظن ذلك ، ولكن رغم ذلك ورغم كل الأحاديث الواردة بهذا الشأن ، لا نجد في مجتمعنا الإسلامي اهتماماً بالطفل وتربيته بقدر يناسب ما ورد بحقه من أحاديث .

---

(١) تحف العقول : ص٢٣٨ .
(٢) بحار الانوار : ج١٠١ ص٩٧ ح٥٧ .

ماذا يعني حبك للأطفال

قد يجيب بعض الآباء بأنه يحب أبناءه بشكل لا يوصف وهو بذلك يقوم بخير الأعمال وأحبها لله ، ولكنه غافلاً عن أن الحب ليس فقط عواطف تافهة تطفح من قلبه تجاه الطفل ، بل الحب الحقيقي يعني :

أ ـ (علاقته مع نفسه) أن تفكر فيما يشعر به الطفل من أحاسيس ، هل يشعر بسعادة أم يتجرع الكآبة؟ لا يغرك أنه يضحك ويلهو فكم من طفل يخفي وراء ضحكته ولهوه كثير من الشقاء والألم النفسي! ثم ما هي الصفات النفسية والملكات التي سيكتسبها لتصبح جزءاً من كيانه تلازمه مدى الحياة والتي قد لا يستطيع هو أن يغير منها حتى لو أراد ذلك؟

ب ـ (علاقته مع مجتمعه) هل ان المجتمع يستطيع أن يحب ابنك كما تحبه أنت؟ أم إنه سيواجه كره وبغض المجتمع له لسوء تعامله معه ، وكيف سيستطيع أن يعيش سعيداً ناجحاً سوياً في مجتمع يكرهه؟ إن الإنسان الذي يشعر أنه مكروه يعيش جحيماً مهما توفرت له من وسائل الراحة المادية .

جـ ـ (علاقته مع الحياة) أن تفكر بمقدار نجاحه في الحياة ، ماذا يستطيع أن يعمل وأي نوع من الحياة سيعيش؟ ماذا سيكون دوره في المجتمع؟ وكيف

سيواجه مشاكل الحياة ويصاحبها بعد أن تتركه وتذهب حيث يختارك الله .

د ـ (علاقته مع الله) أن تفكر كيف سيعيش مع الدين؟ وكيف سيتعامل مع القوانين الإلهية؟ هل سيلتزم بما أمر الله ويحصل على رضاه؟ أم سيعارض ارادته وبالتالي فمآله إلى الشقاء الأبدي مهما سعد في حياته؟

إن الكثير من الأمور يجب أن يفكر فيها الأب أو الأم أو المربي ، والتي لها التأثير المباشر على سعادة الطفل أو شقائه .

وليعلم الوالدان أن كل كلمة يقولانها وكل موقف يتخذانه أمام الطفل فإن له أثراً كبيراً عليه .

حدثت قصة في باريس مفادها :

أن أحد الأطفال اتفق مع رفاقه على تنظيم عملية يجري عليها اختطافه ليُكره أبوه بعد ذلك على دفع مبالغ طائلة ازاء الإفراج عنه ، وهكذا احتجزه رفاقه ، واتصلوا بوالده عن طريق الهاتف وأعلنوا أنهم لن يفرجوا عنه ما لم يدفع لهم مائة ألف فرنك .

واضطر الأب إلى دفع المبلغ ، فذهب الطفل بعد الإفراج عنه مع بقية رفاقه يبددون الأموال في الملاهي والبارات ، وعندما اكتشف رجال الشرطة ذلك ، صرح الطفل أمام لجنة التحقيق أنه لم يرتكب أي ذنب وإنما أراد الاقتداء بالرجال الذين طالما وصفهم أبوه بالصناديد[١] .

فعلى الوالدين المسلمين أن ينتبها إلى المسؤولية الدينية العظيمة الملقاة عليهما في تربية أطفالهما ، وليعلما أن الأطفال ودائع الله في أيديهما ، فالوالدان اللذان يؤديان واجبهما الديني في تربية الأولاد وبصورة صحيحة

(١) كيف تسعد الحياة الزوجية للسيد محمد هادي .

يكونان قد أدا الأمانة أداء كاملا ، ويستحقان الأجر والثواب عند الله في ذلك ، أما الوالدن اللذان يتخلفان في ذلك فهما خائنان لأنفسهما ، ولأطفالهما ، وللمجتمع الذي يعيشون فيه ، وهما يستحقان العقاب العسير من الله ، وسيواجهون في الدنيا نتيجة سوء عملهما من أولادهما الذين سيجلبون لهم الشقاء والعار ، وسيتجرعون الحسرة وهم ينظرون إلى نظرائهم الذين قد نجحوا في مهمتهم وهم يتمتعون بنتيجة ما قاموا به من واجبهم التربوي ، وأنتجوا . . ويشرفونهم في الدنيا والآخرة . أي سيواجهون العذاب في الدنيا والآخرة ، والمجتمع مليء بأمثلة كثيرة تثبت صحة هذه الحقيقة ، تستطيع أن تتلمسها عن قرب في حياتك اليومية .

إن على الآباء والأمهات والذين سيصبحون عما قريب . . أن يعوا أن التربية هي مهمة مقدسة من قبل الله الذي جعل مرحلة الطفولة عند الإنسان أطول من جميع مراحل الطفولة عند الكائنات الأخرى ، والمقصود من مرحلة الطفولة هي الفترة التي لا يستغني فيها الطفل تماماً عن أبويه ، مما يكسب موضوع التربية أهمية قصوى تحتاج إلى جل اهتمام الأب في الجد لأدائها بكل أمانة .

فهناك بعض الحيوانات التي لا تملك دوراً طفولياً أصلاً كأغلب الأسماك والحشرات ، إن السمكة تضع البيض في أحضان الطبيعة فيتكامل البيض على أثر العوامل الطبيعية ـ وبقلم القضاء الإلهي ـ وفي اليوم الذي تخرج فيه صغار الأسماك من البيض تذهب بنفسها وراء الحياة والطعام ، ولا تحتاج إلى رعاية الأبوين .

وهناك بعض الحيوانات التي تملك دوراً طفولياً كالسباع والطيور والدواب ، لأنها بعد الولادة حتى فترة من الزمن تحتاج في التغذية والرعاية من الأبوين ، والبعض منها تحتاج إلى الأم فقط ، ولكنها بصورة عامة لا يتجاوز دور

الطفولة عندها عن بضعة أسابيع أو أشهر فسرعان ما تنفصل عن الأبوين مستمرة في حياتها بصورة مستقلة أما مـرحلة الطفـولة عنـد أطفال الإنسـان (أي أيام احتياجهم إلى الأبوين) فهي تطول على مثيلاتها عند الحيوانات بكثير وتمتد إلى فترة طويلة .

إن البنيان الجسدي لصغار الحيوانات ينمو بسرعة ، وبعد فترة قصيـرة تكون جاهزة للانتفاع منها في طريق الحياة ، أما النمو الجسمي للأطفال عند الانسان فهو يحتاج إلى وقت طويل . . فيجب أن تنقضي أشهر عـديدة حتى يستطيع الطفل أن يفتح أصابعه ويمسك بها شيئاً ، ويستغرق سنة واحدة حتى يكون قادراً على المشي بعد الانكباب والنهوض ، وتحتاج إلى عامين أو أكثر لكي يتفتح لسانه تدريجياً للتكلم ، وتمر بعد ذلك أعوام كثيرة حتى يستطيع أن يدرك شيئاً عن العالم الخارجي بالنسبة إلى نفسه وأهله ، وأعوام أطول ضرورية له تكسبه نوعاً من الإستقلال والشخصية لكي يستطيع بهما من العيش لوحده في المجتمع .

اللبائن ترضع صغارها لعدة أسابيع أو أشهر وتلتزم برعايتها ، ثم تتركها ، لأن الصغير قد جُهز في هذه الفترة القصيرة بكل متطلبات الحياة ، ويقدر على إدارة نفسه بنفسه .

لكن المرأة ترضع طفلها عامين كاملين ، تلتزم برعايته طوال هذه المدة ، وتعتني بصحتـه ونظافتـه وحمايتـه عن الحوادث ، فتحـافظ عليه من البـرد ، والحر ، والحريق ، والغرق ، والسقوط ، وما شاكل ذلك . . وعندما تفطمه ، فليس طفلها إنساناً كاملاً بل هو طفل عاجز ، يجب أن يخضع لرعاية الأبوين ، وتمر عليه السنين حتى يصبح إنساناً سوياً قادراً على الحياة فأطفال الانسان يجب أن يتلقوا من أمهاتهم بالإضافة إلى التغذية والصحة ، مناهج مفصلة عن الحياة

وفي الواقع إن الأطفال يتلقون من أمهاتهم غذاءين : الغذاء المادي والغـذاء الروحي .

إن حجر الأم مضافاً إلى قيامه بالتغذية الجسدية ، يعتبر مدرسة لتربيـة الطفل ، وإن فترة هذه المدرسة طويلة ، فما لم يتخرج الطفل من هذه المدرسة لا يزال طفلاً ، وهو يحتاج إلى الأم ، ولا يليق للانطلاق في الحياة[1] .

هذه الفترة الطويلة تحتاج إلى معلومات وخبرات كثيرة في مجال التربية تقترن مع كثير من التفكير والتأمل والتروي في الأسلوب الذي ستنتهجه لتربية أطفالك تربية سليمة مثمرة .

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية

عوامل نجاح التربية

(١) المعرفة :

قد يرغب الإنسان بإنجاز عمل ما مقتنعاً بأهميته وضرورته ، ثم يعمل جاهداً على أدائه ويقضي في ذلك وقتاً ، ويصرف طاقات كثيرة في سبيل ذلك ، كأن يصنع جهازاً كهربائياً جديداً لتطوير الإتصالات ، لكنه إذا لم يمتلك المعرفة في هذا المجال فإنه سيجد نفسه يسعى ويسعى ليصل إلى نتيجة تافهة قد يكون توصل إليها العلماء قبل قرن ، وبالتالي فهو لا يبدأ من حيث انتهى الآخرون ، وقد يحتاج إلى وقت يساوي عمر ٣٠ مرة حتى يتوصل إلى ما أراده ، أما إذا علم وتعلم آخر ما توصل إليه في هذا المجال ، وتعلم كل الأساسيات العلمية لهذا الغرض ، فإنه لا يلبث بقدر من النشاط والعمل أن يتوصل إلى ما أراد ، وهكذا المربي فإنه يرغب أن يربي فلذة كبده بالشكل الصحيح لينتج أفراداً تفتخر بهم الأمة ويفخر بهم أمام الله ورسوله ، ويحلم بهذا الأمل ولكنه في كل تصرفاته وسلوكياته مع أطفاله كأنما يعمل عكس هذه الأمنية ، ليس تعمداً وإنما جهلاً منه بالمبادىء الأساسية للتربية الواردة في ديننا ، وبالحقائق العلمية التي يتوصل

إليها الباحثون في كل يوم « فالنـاس أعداء مـا جهلوا »[1] و« فاقـد الشيء لا يعطيه » .

لـذلك نجـد تأكيـداً بالـغ الأهمية على أهميـة العلم والتعلم في السنة الشريفة ، تشير إلى أن الأمة لا يمكن أن تتقدم في أي مجال من المجالات بدون العلم والمعرفـة في هذا المجـال ، فعلى المربي ألا يـدخر جهـداً في الاطلاع على الكتب الواردة بهذا الموضوع ، الإسلاميـة منها وغيـر الإسلاميـة ويقارنها ويبحث في صحتها وسلامة نتائجها ، وباختصار على المربي أن يكون عالماً بأصول التربية .

(٢) القدوة الصالحة :

إن الطفل بطبيعته يرى أن ما يقوم به الأب إنما هو العلم النموذجي الذي يجب أن يُحتذى به لذلك ، فهو يرى أن تصرفات أبيه كلها صحيحة ولا بأس في تقليدها ، ويشعر أنه سوف يلاقي استحساناً لذلك من أبويه ومجتمعه .

إن التقليد إحدى وسائل التعلم لدى الطفل فمن خلالها يستطيع أن يتكلم ويمشي ، فلو تُرك طفل ـ دون أن يرى كيف يمشي الإنسان ـ يكبر حتى العمر الطبيعي الذي يستطيع فيه الطفل العادي أن يمشي دون أن يستطيع المشي ، فقد عُثر على طفل تربى في الغابة ، ولديه من العمر الثانية عشر ، فوجد يمشي على أربع ، وإذا مشى على رجليه فإنه يمشي خطوتين ويقع في الثالثة ، وحتى تعابير وجهه الضحك والغضب وغيرهما لم تكن تعابير الإنسان العادي ،

يُذكر أن أم وهي تداعب طفلها وتمازحه رفعت سماعة الهاتف وطلبت زوجها في العمل وأرادت من طفلها أن يكلم أباه ، وعندما انتهى الطفل من

(١) بحار الانوار : ج٧٥ ص١٤

الحديث مع أبيه وأغلق السماعة فوجئت الأم بتصرف غريب من الطفل ، أن الطفل بصق على التلفون وشتم أبيه ، وعندما سألته الأم عن السبب قال : « إني أشاهد أبي أحياناً عندما يتكلم في التلفون ويغلق السماعة يفعل الشيء ذاته » .

وغالباً ما يقع الطفل الضحية في حالة اضطراب وتردد وعدم الثقة بالنفس وعدم معرفة الصواب من الخطأ نتيجة التناقض الذي يشاهده بين ما يقال له وبين ما يراه في الواقع .

لذلك فإن تعمد القيام بالأعمال الصالحة أمام الطفل كسائر العبادات والإحسان إلى الغير واحترام المبادىء ورفض الخطأ من الأعمال البالغة الأهمية لتوجيه الطفل ، وكذلك حجب كل الأعمال السيئة عنه أو التي قد يفهمها خطأ لقصور إدراكه الذهني فيقوم بتقليدها دون وعي أو إدراك وهي أمور مصيرية في حياته .

(أهمية القصة) :

وهنا تبرز أهمية القصة في مجال (اتخاذ القدوة) فيجب أن تكون القصص التي تُروى للأطفال قصصاً ذات مغزى ، تمجد الأبطال الذين كان لهم دور في التاريخ وقاموا بأعمال تركت آثاراً مفيدة في مجتمعهم وعبر أجيال من خلال مواقفهم وأعمالهم . يجب أن نروي لهم تاريخ أمتهم الصحيح ، ونذكر لهم الأبطال الصغار الذين فاقوا كبار عصرهم ، كعلي الأكبر والقاسم وغيرهم ، فالقصة موضوع قائم بذاته في الدول المتقدمة ، من خلالها يزرعون التوجه الفكري الذي يرغبون به في عقول أطفالهم ، فإذا أردت أن تقول لطفلك ذو السلوك العدواني أن الاعتداء على الغير عمل مذموم ، حاول أن تصوغ هذه الفكرة في قصة جميلة مشوقة ، تبين فيها عوامل وأسباب الخطأ وتبين فيها النتائج الوخيمة لهذا العمل والتي ستعود على صاحبها بالضرر .

واخلق لهـذه القصة بـطلاً يمكن أن يتخـذه طفلك قـدوة لحب الخيـر والمساعدة وليس الإعتداء .

(٣) مراعاة اختلاف الأطفال :

إن الأطفال وإن كانت هناك صفات عامة تميزهم وتجمعهم في سلوكهم وغرائزهم وميولهم إلا أنهم يختلفون عن بعضهم البعض في نوعية ودرجة حدة هذه الصفات والله يقول في كتابه : ﴿**ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا**﴾[١] .

لذا على من يقوم بالتربية أن يعي هذه المسألة ولا يتعامل مع كل الأطفال على نسق واحد بل يحدد أسلوبه مع الطفل وفق ميوله وسلوكه .

كذلك فإن عواطف الطفل وإدراكاته الحسية والعقلية في تغير دائم ويجب أن يكون لكل عمر من أعمار الطفل تعامل يتناسب .

فالسبع سنوات الأولى يترك الطفل يلعب ويلهو ، وليس معنى هذا كما يفهمه البعض أن يترك الطفل دون ارشاد وتوجيه ، فهذه المـرحلة هي أخطر مرحلة يمر بها الطفل ، وبها يكتسب صفاته الأولية ، وبها تتوجه ميوله وغرائزه ورغباته ، وعندنا أحاديث تشير إلى ضرورة تعليم الطفل في الثالثـة والرابعـة والخامسة ، إلا أن المطلوب كما يبدو من (اتركه سبع) أي لا تشدد عليه في هذه المرحلة كتشديدك على صبي في الثانية عشر ، مثلاً فهو يتعلم في هذه المرحلة ويخطأ كثيراً ويستجيب بعد ذلك ، إذ أنه لا يمتلك انضباطـاً كامـلاً في هذه الفترة ، وقد يؤدي التشديد عليه إلى رفض كل ما يوجه إليه ويتجه إلى العناد وهذا ما يقع فيه كثير من الآباء (عناد شديد من الطفـل) ، فالـطفل في هـذه

---

(١) سورة نوح ، الآية ١٣ ـ ١٤ .

المرحلة يحتاج إلى استخدام سياسة اللين والمراوغة في اقناعه وتلقينه المعلومات .

والمرحلة الثانية هي مرحلة التعلم حيث تتفتح ادراكات الطفل لاستقبال أكبر قدر من المعلومات ، وتكون لديه قوة الذاكرة متقدة وفعالة .

وأما المرحلة الثالثة فهي المرحلة التي يشعر فيها الشخص بكيانه ليبرز الى مجتمعه في شخصيته وثقته بنفسه وإيمانه بقدراته وطاقاته ، فاستشارته تعني بالنسبة له إنك فرد مهم ولرأيك قيمة يمكن أن تفيد من خلالها المجتمع ، فلا تخشى ولا تضعف ولا تتردد في مشاركتك لبناء مجتمعك .

وأما الاختلاف بين الأطفال في عمر متجانس فهو أمر واضح حيث تجد الطفل الهادىء والطفل الحاد المزاج ، والطفل البخيل جداً ، والطفل المسرف ، والطفل العدواني ، والطفل الجبان ، وتجد أيضا بين هذين النقيضين أطفالاً متوسطين ولكل منهم معاملة خاصة .

فالأطفال المتوسطين يشتركون في اتباع الأساليب التربوية في حقهم بشكل هادىء وبسيط وهم مريحين في التربية .

أما الأطفال الحديين في صفاتهم فإنهم يحتاجون ألى اتباع أساليب متباينة معهم كل حسب ما يناسبه ، ولا يمكن تحديد الأسلوب المجدي معه ارتجالاً ، وإنما يحتاج إلى معرفة خاصة بخصوص الموضوع مع قدرة فائقة من المربي الذكي على التحمل والمداراة .

ولا ينبغي أن يترك الطفل المتطرف على أي حالة من الأحوال وان استدعت الحاجة لمراجعة المختصين النفسانيين (الطبيب النفسي) مثلاً .

(٤) الحد من المؤثرات السلبية :

غرس زيد نبتة صغيرة لشجرة التفاح في تربة طيبة ثم رطب لها التربة بماء عذب ، وتعهدها بالعناية حتى بدأت تنمو ، وزادت خضرتها ، وأصبح ثمرها مرجواً ، واستبشر صاحبها بذلك ، لكنه في يوم لاحظ صفرة على وريقاتها فبادرها بالماء العذب ، لكن هذه الصفرة لم تزل بل أخذت في الإزدياد يوماً بعد يوم وهو يحاول يائساً أن ينقذها من الفناء بالماء العذب ، لكن محاولاته كلها باءت بالفشل ، فقد باتت هذه الشجيرة قبل أن يتحقق أمله ويأكل من ثمرها وضاعت كل جهوده هباءً أدراج الرياح .

جلس زيد يفكر في السبب الذي سلب الحياة من شجرته رغم كل ما بادرها به من عناية! وبدأ يسترجع في ذاكرته كل ما مر له من علاقة بهذه الشجرة ، لكنه لم يجد في ذاكرته سوى صورة واحدة يمكن أن يكون لها علاقة بالشجرة ، تذكر أن جاره عمر كان يأتي بإناء مملوء بالماء يسقي به الشجرة ، وكان يفعل ذلك قبل موت الشجرة بأيام ، وكان زيد يتشكر منه على هذه المساعدة .

لكن هل من الممكن أن يكون عمر قد أضاف سماً لهذا الماء ، لا غير معقول فإن عمراً شخص طيب ولا يمكن أن يصدر منه مثل هذا العمل ، لكن هذه الفكرة ظلت تراود زيداً ، ولا زال يحاول طرد هذه الشكوك حتى ذهب وسأل عمر عن هذا الأمر .

زيد : ما الذي كنت تضع في الماء يا عمر؟

عمر : لم يكن بالماء شيء وكان ماءً صافياً أحضرته بنفسي من البحر!!

زيد : وكيف تفعل ذلك؟ ألا تعلم أن ماء البحر مالحاً وبسببه يموت

الزرع؟! إنك شخص جاهل والناس أعداء ما جهلوا ولكن من أمرك أن تفعل ذلك؟

عمر : لقد أمرني بذلك شخص كان يمر من هنا قبل أيام .

زيد : ومن هو هذا الشخص؟

عمر : لا أدري إني لا أعرفه!!

وهنا يكون السؤال مهماً . . من هو ذلك الشخص ولماذا فعل هذا الدمار في الشجرة وحرم صاحبها من ثمارها؟

إن هذا الشخص المجهول في قصتنا ليس مجهولاً في واقعنا إنه يتجلى في معاول الهدم التي يتعرض لها أطفالنا في حياتهم التربوية ، إنه يتجلى في الڤيديو وشاشة التلفزيون من خلال برامجه السخيفة والتي تجعل أطفالنا سخفاء في فكرهم وتصوراتهم .

يروى أن طفلاً ألقى بنفسه من الدور الثالث من النافذة بعد أن تناول وجبة سبانخ ظناً منه بأنه لن يموت كما يشاهد في أفلام الكارتون ـ هذه القصة حقيقية وحدثت في لبنان ـ .

وذلك الطفل ذو العشر سنوات الذي احتضن خادمة المنزل وأخذ يرقص معها لأنه شاهد القط يفعل ذلك مع القطة ، ومناظر تنافي العفة والحياء والفضيلة يشاهدها أبناؤنا في التلفزيون كل يوم .

أما في مناهجنا التربوية والدراسية فإنه تقع الطامة الكبرى إن الطفل والطفلة يرون في المدرّسة والمدرّس أعلى قدوة يمكن الإقتداء بها ، لذلك إن بعض الأطفال عندما يريد أن يثبت لك حقيقة ، يقول لك : إن المدرّس قال

كذلك! . ومع ذلك تسمع الكثير من قصص اشتهـرن بها بعض المـدرّسات المتدنيات .

أو نشاهد مدرّسة الدين تصل القمة في تبرجها مع إنهـا هي التي تعلم أطفالنا أمور دينهم .

وأغرب ما سمعنا في ذلك أن وزير التربية في احدى الدول الإسلاميـة يصرح بأن رقص البنات في المرحلة المتوسطة نصف عاريات في احتفال عام ليس حراماً ، وهو أمر يجوزه الإسلام لأنه فن .

إن هذه الصورة تشكل معاول الهدم التي تفقد المربي أثره في تربية أطفاله إذا لم ينتبه لها ويحاول الحد من تأثيرها .

وكذلك المجتمع يمارس ثقافة غربية في تفكيره وسلوكه ، ولذلك فهـو يعتبر أيضا من أهم المؤثرات السلبية في التأثير على تربية الأطفال من خلال تأثير أطفاله على الأطفال الذين يتلقون تربية فاضلة .

لذا يجب أن تراقب من خلال الحديث مع طفلك ما يسمعه من الأطفال الآخرين في المدرسة والمجتمع .

إذا أردت أن تكون جهودك مثمرة في تربية طفلك فامنع عنه كل ما يمكن أن يؤثر به تأثير الماء المالح على شجرة التفاح .

إن حاجتنا لتربية أبنائنا تربية منهجية تفوق حـاجة آبـائنا السـابقين لهذا الأمر ، والسبب أننا نواجه اليوم تربية سلبية في مقابل تربيتنا الإيجابية لأطفالنا .

(٥) لا لليأس في التربية :

قد يصمم فنان أن يرسم لوحة على درجة كبيرة من الدقة ليفتخر بها ، أو يصمم عالم على اكتشاف قانون يفتخر به ويحل به كثير من المشاكل والعقبات

التي تعترض كثير من الإختراعات ، ويسهر لهذا الهدف ويقضي الساعات تلو الساعات في مختبره . وقد يصمم مدرب ألعاب قوى أن يصل بمن يدربه في رفع الأثقال إلى الرقم القياسي ويحصل على الميدالية الذهبية .

وهناك كثير من البشر يصممون على أهداف ويدركونها بجهودهم ، فبعضهم عالي الهمة في نوعية هدفه ، وبعضهم تافه في نوعية هدفه .

أما أنت أيها المربي ، وأنت أيتها الأم المؤمنة ، فأنتما أمام مهمة من أقدس المهمات في الوجود الإنساني ، مهمة أوكلت إلى الأئمة والأنبياء ، مهمة اصلاح البشر والفرصة أمامكم في تقديم انسان من طراز معين للمجتمع ، هذا الطفل بين أيديكما .

يقول الإمام علي (ع) مخاطباً ولده الحسن : « إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقى فيها من شيء قبلته »[1] .

فلا تفوتكما الفرصة ، فليكن انتاجكما انسان يعتز به المجتمع الذي ينتمي إليه في إيمانه وعطائه وتفخر به في الميزان أمام الله تبارك وتعالى ، اجهدا في ذلك نفسيكما وأعلما إنكما قادران إن وُجد التصميم فإن « من رام شيء ناله أو بعضه » .

أيها الأب المؤمن . .

أيتها الأم المؤمنة . . .

إن الإسلام قد عني كثيراً براحة الإنسان في كل أموره ومسؤولياته وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى ، ولمهمة تربية الطفل في ظل أسرة نجد أن الإسلام قد وضع لذلك أسسا قوية لنتمكن من أداء هذه المهمة على الوجه الأكمل .

---

(١) بحار الانوار : ج٧٤ ص٢٠٠ .

ولقد كانت عناية الإسلام بالطفل قبل ولادته بل قبل أن تنعقد نطفته ، ويستمر في رعايته له حتى يكبر ويتحمل مسؤوليته بنفسه .

وسوف نستعرض جزءاً من هذه الأسس بشيء من الاختصار لتكون للقارىء بداية انطلاق في العزم على التربية المنهجية ، والاستعانة على ذلك بالإطلاع على المناهج الإسلامية الخاصة بالتربية .

والدراسات الحديثة القائمة على التجربة العلمية مع التدقيق والتأكد من صحة نتائجها .

مراحل تربية الطفل في الإسلام

إن الدين الإسلامي كعادته عندما يريد أن يعالج أي قضية أو مشكلة من مشكلات الإنسان يبدأ بالجذور ، إذ أن جذور الشجرة هي التي تجعلها ثابتة رغم الرياح والعواصف ، وكذلك المبنى الضخم لا يهمـه أن يكون جميلاً في تصميمه كي يثبت على الأرض وإنما المهم هي قوة القواعد اضافة إلى أمور أخرى كحجم الأعمدة ونوعية المواد وموازين الضغط ، إلى غير ذلك من الأمور والتي تساهم كلها في بقاء هذا المبنى ثابتاً على الأرض .

والإسلام عندما يحث أفراده على الزواج يؤكد على أهمية الزواج « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني »(١) .

وقال رسول الله (ص) : « ركعتان يصليهما المتـزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب »(٢) .

فهو في الوقت ذاته يبين الهدف من الزواج وهو الإنجاب واستمرار وجود البشرية .

---

(١) جامع الأحبار · ص١٠٦ في التزويج وبحار الانوار : ج١٠٠ ص٢٢٠ ح٢٣ .

(٢) الكافي : ج٥ ص٣٢٨ باب كراهة العزبة ح١ .

وعنه (ص) : « تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط »[1] .

وبما أنه يحث على الانجاب والتأكيد على أهميته ، فإذن يجب أن يكفل (وفق العدالة الإلهية) كل ما يضمن سلامة وسعادة هذا المخلوق الجديد .

لذا فهو يرشدنا إلى اختيار نوعية الأم والتي ستكون سببا من أسباب سعادة أو شقاء الطفل ، أي إنه يمكننا أن نقول أن الأم هي الأساس التربوي والوراثي للطفل في بادىء الأمر .

(١) المحجة البيضاء : ج٣ ص٥٣ .

الأم الأساس الوراثي للطفل

لكي يكتب للبـذرة النمو بشكـل سليم لا بد لهـا أن توضـع في تـربـة صالحة . إن قانون الوراثة هو قانون ثابت من القوانين الإلهية والتي سنها في خلقه ، فهو سنة الله في خلقه ، وكذلك فهو قانون ثابت من الناحية العلمية إذ أن الصفات تنتقل من خلال الجينات الموجودة داخل الكروموسومات الموجـودة أصلاً في الخلية الحية ، والتي بواسطتها يكون الطفل كشبه أباه أو أمه ولا داعي للخوض في اثبات قانون الوراثة فهو إضافة إلى ما تقدم قانون ثابت من واقع الحياة والتجربة ، فغالبا ما نجد الياباني ينجب أطفالاً قصيري القامة على عكس الأوروبي ينجب أطفالاً طويلي القامة ، وحتى في الصفات الخلقية كثيراً ما نجد أن عائلة بأكملها تتصف بالهدوء والسكينة وغالبا ما يكون أبنـاوئهم كذلـك ، وعلى العكس أيضا تجد أن بعض العوائل يتسم أفرادها بالمزاج الحاد والعصبية وغالباً ما يكون أبناؤهم كذلك .

يشير النبي محمد (ص) فيقول : « انظر في أي شيء تضع ولد لك ، فإن العرق دساس »[1] .

---

(١) المستطرف من كل فن مستطرف · ج٢ ص٢١٨ . وانظر كنز العمال : ج١٦ ص٢٩٦ ح٤٤٥٥٩ والمحجة البيضاء : ج٥ ص٩٣ . وراجع هامش الصفحة ذاتها .

وإذا بحثنا عن كلمة دساس في المنجد في مادة دسَّ نجدها تعني أن أخلاق الآباء تنتقل إلى الأبناء[1] .

وعن الإمام أمير المؤمنين (ع) : « حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق »[2] .

وقصة الإمام علي (ع) مع ولده محمد بن الحنفية تشير بوضوح إلى هذا المعنى : فقد كان محمد بن الحنفية ابن الإمام علي (ع) حامل اللواء في حرب الجمل ، فأمره الإمام (ع) بالهجوم ، فأجهز على العدو ، لكن ضربات الأسنة ورشقات السهام منعته من التقدم فتوقف قليلاً . . وسرعان ما وصل إليه الإمام وقال له : « احمل بين الأسنة » .

فتقدم قليلاً ثم توقف ثانية ، فتأثر الإمام من ضعف ابنه بشدة فاقترب منه و . . ضربه بقائم سيفه وقال : « أدركك عرق من أمك »[3] .

وهنا يشير الإمام علي (ع) إلى أن ابنه قد ظهرت فيه علامات للجبن رغم أن أباه أشجع شجعان العرب ولكن أمه والتي ساهمت في تربيته لا يمكن لها أن تكون كالزهراء (ع) . وهذا القرآن يشير إلى هذا المعنى :

﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾[4] .

فإذا أراد المؤمن الزواج فعليه أن يبحث عن زوجة مؤمنة عفيفة تملك من الصفات الحسنة والفضائل ما يمكنها من انجاب أطفال مؤهلين للسير في معارج

(١) الطفل بين الوراثة والتربية .
(٢) غرر الحكم : ص٢٦١ ح٤٩٤٢ .
(٣) تتمة المنتهى : ص١٧ كما في الطفل بين الوراثة والتربية : ج١ ص٦٠ .
(٤) سورة نوح ، الآية : ٢٦ ـ ٢٧ .

الكمال ، فهذا هو الاعتبار الذي يجب أن يؤخذ في الحسبان تاركا كل المعايير الجاهلية والتي كثيراً ما تجدها سائدة في بعض المجتمعات الإسلامية مثل الجمال والمال والجاه وغيرها من المعايير الزائفة ، لذا تجد أن الرسول (ص) يحذر المسلمين في موضوع الزواج يقول الرسول (ص) : « إياكم وخضراء الدمن » .

قيل : يا رسول الله وما خضراء الدمن؟

قال : «المرأة الحسناء في منبت السوء »[1] .

عن الصادق (ع) : « إذا تزوج الرجل المرأة لمالها أو جمالها لم يرزق ذلك فإن تزوجها لدينها رزقه الله عزّ وجلّ مالها وجمالها »[2] .

وهذا الإمام علي (ع) بعد وفاة زوجته الصديقة (ع) وأراد الزواج تجده يشير إلى هذا المعنى حيث يقول لأخيه عقيل ـ وكان عارفاً بالأنساب ـ :

« اخطب لي امرأة ولدتها الفحول من العرب لأرزق منها ولداً يكون عوناً لولدي الحسين يوم عاشوراء . . » .

وكما أن الإسلام حريص في اختيار الأم ، كذلك نجده حريص في اختيار الأب فعن النبي (ص) : « شارب الخمر لا يزوج إذا خطب »[3] .

وعن الإمام الصادق (ع) :

« أيما امرأة اطاعت زوجها وهو شارب الخمر ، كان لها من الخطايا بعدد نجوم السماء ، وكل مولود يلد منه فهو نجس ولا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً

---

(١) الكافي : ج٥ ص٣٣٢ باب اختيار الزوجة ح٤ .
(٢) مكارم الأخلاق : ص٢٠٣ .
(٣) الوسائل : ج١٤ ص٥٣ الباب ٢٩ من ابواب مقدمات النكاح ح٢

حتى يموت زوجها ، أو تخلع عنه نفسها »[1] .

وبعد أن يحدد الاسلام نوعية الأم ونوعية الأب يستمر في عنايته الشاملة للطفل الذي يولد ليبين لنا كل ما يمكن أن يؤثر في الطفل من نوعية الطعام وطهارته والذي ستتكون منه النطفة . بل ويحدد لنا الموعد الذي يجب أن تنعقد فيها النطفة في مجموعة من الأحاديث والتي تستر وراءها حقائق علمية هائلة بدأ العلم الحديث يتوصل شيئا فشيئا إلى اثباتها .

إن أحد أسباب سلامة هيكل الطفل أو عدمها يتعلق بالغذاء الذي تناوله الأب قبل انعقاد النطفة ، إذا كانت نطفة الأب مسمومة حين الاتصال الجنسي فإن الجنين يولد ناقصاً وعليلاً ، وهذا التسمم ينشأ من تناول الأطعمة الفاسدة ، إذ يجب الاجتناب حين الاتصال الجنسي عن الأكل المتسمم أو الخمر بالخصوص والعياذ بالله ، فيجب أن يكون الطعام الذي يتناوله الانسان في ليلة الاتصال الجنسي للتكاثر كاملاً وحاوياً بالفيتامينA بالخصوص .

ولقد قام أحد الأطباء في أوروبا بجمع احصائيات دقيقة للنطف التي تنعقد في ليلة رأس السنة المسيحية فوجدوا أن ٨٠ من الأطفال المتولدين من تلك النطف ناقصوا الخلقة وذلك لأن المسيحيين في تلك الليلة يكثرون من تناول الخمر[2] .

يرى العلم الحديث أن للأطعمة تأثيراً خاصاً على شكل الطفل ، وجماله ، ولون شعره ، وكل مظاهر جسده .

وكذلك في الروايات والأحاديث اشارات صريحة إلى هذا المضمون عن الصادق (ع) أنه نظر إلى غلام جميل فقال : « ينبغي أن يكون أبو هذا أكل

---

(١) لآلىء الأخبار : ج٥ ص٢١٦ في النهي عن معاشرة شارب الخمر . . .

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية

سفرجلاً ليلة الجماع »[1] .

«واطعموه حبالاكم فإنه يحسن أولادكم »[2] .

وعن النبي (ص) : «أطعموا المرأة ـ في شهرها التي تلد فيه ـ التمر فإن ولدها يكون حليماً نقياً »[3] .

ووردت أحاديث كثيرة تنهي عن الجماع في حالات التوتر الجوي مثل العواصف السوداء والصفراء ، وفي حالات حدوث الكوارث الطبيعية مثل الزلازل وغيرها ، أو بعض الظواهر الطبيعية الغريبة مثل الخسوف والكسوف .

فالأعصاب في هذه الحالة ليست مستعدة لإعطاء الإنسان فرصة الممارسة الهادئة ، فالتوتر في الطبيعة يترك توتراً نفسياً عند كل الطرفين ، فإذا انعقدت النطفة ـ في تلك الليلة ـ فلا يؤمن على الجنين من بعض الأمراض العصبية والنفسية .

قال رسول الله (ص) في وصاياه للإمام علي (ع) بخصوص أمور الزواج :

« يا علي لا تجامع امرأتك في أول الشهر ووسطه وآخره فإن الجنون والجذام والخبل سريع إليه وإلى ولدها »[1] « يا علي : لا تتكلم عند الجماع . . »[4] .

« يا علي : لا تجامع أهلك إذا خرجت إلى سفر مسيرة ثلاث أيام ولياليهن

---

(١) مكارم الأخلاق : ص١٧٢ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص١٧٢ .

(٣) مكارم الأخلاق : ص١٦٩

(٤) مكارم الأخلاق : ص٢٠٩ .

(٥) مكارم الأخلاق : ص٢٠٩ .

فإنه ان قضى بينكما ولد يكون عونا لكل ظالم »[1] .

قال رجل لأبي جعفر (ع) : أيكره الجماع في وقت من الأوقات؟ قال : « نعم ، من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . . . وفي اليوم الذي تنكسف فيه الشمس ، وفي الليلة التي يخسف فيها القمر ، وفي اليوم والليلة التي تكون فيها الرياح السوداء أو الرياح الحمراء والليلة التي تكون فيها الزلزلة . . »[2] .

يستفاد من بعض الأحاديث أن الاستقرار النفسي والطمأنينة ساعة انعقاد النطفة لها أكبر الأثر على سلامة انعقاد النطفة .

وقد سأل بعض الأشخاص بروفسوراً في مستشفى خاص لـلأطفال في لندن عن سبب بعض التشوهات في الخلقة ، فذكر البروفسور عدة أسباب كان منها الاضطراب النفسي وقت الجماع .

---

(١) مكارم الاخلاق : ص٢١١ .

(٢) كما في مكارم الأخلاق : ص٢١٣ .

ما بعد النطفة

وتستمر التوجيهات الإسلامية في الحفاظ على سلامة الجنين وهو في بطن أمه ، إذ أن هذه فترة هامة وحرجة في سلامة الطفل النفسية والعضوية .

يقول رسول الله (ص) : « الشقي من شقا في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه »[1] .

على الأم الواعية أن تعرف أن فترة الحمل التسعة اشهراً إنما هي فترة تكون الأم فيها مسؤولة عن سلامة جنينها ، وان هذا الجنين أمانة استودعها عندها وهي مسؤولة عنها ، فعلى الأم أن تتصور أن النطفة التي انعقدت في رحمها إنما هي كالمسافر في لحظته الأولى ، وسوف يقطع مسافة طويلة يكون فيها معرض لأخطار كثيرة ـ في أي لحظة من لحظاته طوال التسعة أشهر ـ من سقوط ، أو تشوهات خلقية ، أو آثار نفسية سيئة ، ولا يمكن الجزم بسلامة الجنين إلا حين ولادته سالماً .

لذا كان علي بن الحسين (ع) إذا بشر بولد لم يسأل أذكر هو أم أنثى؟ بل

(١) كنز العمال : ح٤٩٠

يقول : « أسوي هو؟ » فإذا كان سوياً قال : « الحمد لله الذي لم يخلقه مشوهاً »[1] .

وكما أن الأمراض العضوية عند الأم يمكن أن تصيب الطفل كذلك الأمراض النفسية والانحرافات الخلقية والانفعالات الحادة يمكن أن تكون تربة مساعدة لوجود انحرافات نفسية كافية في نفس الطفل ، قد تظهر تدريجياً مع نمو الطفل دون أن تشعر الأم بذلك ، وقد يشاهد على الطفل بعض الكدمات مرجعها الانفعالات النفسية .

يولد في الولايات المتحدة سنوياً ٤,٢٠٠,٠٠٠ طفل ، ولكن مئات الألوف منهم مصابون بنواقص وعيوب ناشئة قبل الولادة ، وأكثرهم يشكون من الأمراض القلبية ، والشلل العصبي ، والصرع ، والعمى ، والصمم ، وغير ذلك .

وغالبية ذلك يرجع إلى ما تتناوله الأم الأمريكية من طعام وغيره .

فعلى الأم أن تتبع في غذائها وسلوكها كل الأوامر والمستحبات الشرعية اضافة إلى الإرشادات الطبية بكل دقة وأمانة لتنعم بمولود سوي خَلْقاً وخُلُقاً ان شاء الله تعالى .

---

(١) مكارم الأخلاق : ص٢٢٨ .

الأساس التربوي للطفل

بعد أن يتم زرع النبتة في تربة صالحة فإن هذا لا يكفي لنمو النبتة فيلزمها ليكون وضعها ونموها سليماً أجواءً صالحة مثل الضوء الشمسي والأوكسجين للزرع ، فبعد أن يولد الطفل فإن المدرسة الأولى التي ستحتضنه هو حجر أمه ، وانك لتشاهد ارتياح الطفل وهدوءه عندما تضمه أمه إلى صدرها ، ولقد اثبتت التجارب العلمية أن صوت دقات قلب الأم هي التي تعطي الطفل الشعور بالطمأنينة والأمان ، ولذلك فإن بعض دور الحضانة تسجل على شريط التسجيل صوت دقات قلب الأم ، وعندما يبكي الطفل يفتح الشريط بالقرب من إذنه ويهدأ بهذه الصورة(١) .

إن الأم بعد أن تضع طفلها عليها أن تعرف بأن هذا الطفل يحمل استعدادات وعوامل مساعدة لنشوئه على صفات موروثة حسنة أو سيئة ، فإن كان يحمل الصفات الحسنة من أبيه أو منها يجب ان ترعى هذه الصفات وتنميها ، وان كان العكس أي يحمل استعدادات وراثية سيئة منها أو من أبيه عليها أن تفكر كيف يمكن أن تقوّمها وتحسّنها ، وبطبيعة الحال فإن الأم لا

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية .

يمكن لها أن تعرف ذلك ، فإن ذلك لا يمكن أن يتضح منـذ الأيام الأولى ، المهم أن تفكر الأم وفق هذه الفروض منذ اليوم الأول .

فالإمام علي يقول : « العادة طبع ثان »[١] .

ويجب أن تفكـر منذ اليـوم الأول كيف ستستخدم الأسـاليب التربـويـة الصالحة بحق هذا الطفل ، وتستخدم كل امكانياتها في محاولة الإطلاع على كل ما تقدم في هذا المجال من دراسات .

وعليها أن تعلم أنها تمارس مهمة مقدسة وعظيمة وأن الله قد قدرها حق قدرها بسبب هذه المهمة حيث قال على لسان نبيه (ص) : « الجنة تحت أقدام الأمهات »[٢] .

هناك بعض الأمهات المتعلمات يرون وللأسف أن التربية عمل دنيء لا تمارسه إلا النساء الأميات ، أو الخدم ، وأن عليها أن تثبت ذاتها ووجودها في المجتمع من خلال العمل خارج المنزل ولربما يكون عملها لا يتعدى تصفيف بعض الأوراق ، لكنها رغم ذلك تجده عملاً يعطيها قيمتها ، وإن التربية في المنزل عمل يفقدها قيمتها .

لا غرابة في ذلك في مجتمع يستقي ثقافته وعـاداته من مصـادر أجنبية خارجية .

لكن الأم الرسالية المؤمنة فإنها تفتخر بهذه المهمة ، وتعتبرها كرامة من الله وهبها إياها ، وما هو أفضل من أن تخدم دينها وعقيدتها في تربية شخص وفق المناهج الإسلامية لنراه فيما بعد عضواً بارزاً وفعالاً في مجتمعه وأمته ،

---

(١) غرر الحكم : ص٤٤ ح٧٦٨ .

(٢) كنز العمال : ح٤٥٤٣٩ .

وعاملاً من عوامل سعادته ورفاهيته .

ذكر رسول الله (ص) الجهاد فقالت امرأة : يا رسول الله ما للنساء من هذا شيء؟

فقال : « بلى ، للمرأة ما بين حملها إلى وضعها ثم إلى فطامها من الأجر كالمرابط في سبيل الله ، فإن هلكت فيما بين ذلك كان لها مثل منزلة الشهيد »[1] .

فهذه البطلة الخالدة أم البنين تربي أربعة أولاد ثم لا تعبأ عندما تسمع خبر استشهادهم في سبيل الله والدين والحق ، وكلهم دفعة واحدة ، إنها استنكرت على من قال لها أن أولادك استشهدوا ، فقالت له : وهل سألتك عنهم؟ إني إسألك عن الحسين ، وكأنها تريد أن تقول وما قيمة أولادي أمام قضية مصيرية أممية كقضية الحسين (ع) .

أما إذا كانت الأم غير جديرة بأن تكون أماً ، فمن الاجرام أن تعطى هذه المهمة الخطيرة ، لأن النتائج لا يمنع أن تكون وخيمة على الأسرة والمجتمع ، بل وعلى الأمة بأسرها ، وعبر عدة أجيال ، وهذا ما أنتجته مثل فارغة .

لقد كانت فارغة زوجة المغيرة بن شعبة . وبينما كان عمر بن الخطاب يسير في أزقة المدينة بعض الليالي . . سمع امرأة تغني في أحد البيوت وتنشد البيت الآتي :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر بن حجاج؟

وكانت تترنم بشاب أجنبي وهي محصنة ذات بعل ، عندها أحضر عمر

---

(١) مكارم الاخلاق : ص٢٣٤

الشاب نصر بن حجاج وقد كان جميلاً فحلق رأسه وسفره إلى البصرة .

إن امرأة كهذه تتمنى أن تعاقر الخمر وتتغنى بشاب تتمنى الوصل به ، كيف ستكون تربيتها لولدها .

إن ابن هذه المرأة أصبح لعنة على الأمة الإسلامية والمسلمين ، وإن التاريخ ليخجل أن يضم في سجلاته اسمه وتاريخه ، إن ابنها هذا هو الحجاج والذي انجبته من زوجها الثاني يوسف الثقفي .

الأسرة : مهد الطفل التربوي

قبل أن تهيّء لطفلك سريراً أنيقاً ، وفراشاً زاهياً ، وملابس جذابة ، فكر في دفئه الأسري ، فقبل أن يولد الطفل لا بد أن يعي الأبوان أن العائلة أو الأسرة هي الوحدة الإجتماعية للمجتمع الإنساني وهي المكان الطبيعي الذي يجب ان ينشأ فيه الطفل وفق سنة الله **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكمْ مودة ورحمة﴾**[1] .

وأساسا كما مر فإن هدف الزواج هو الإنجاب « خير نسائكم الودود الولود »[2] إذاً فمن الطبيعي أن يولد الإنسان ليجد نفسه في أسرة أي (أب وأم) .

بعض الأسر يصيبها الإنهيار وتنتهي علاقة الأبوين بالطلاق ، بأسباب تافهة تاركين فلذات أكبادهم يعيشون في جحيم فرقتهم ، يحرمونهم من النعمة التي أعدها الله لأطفالهم ، إن الطفل لا يمكن أن ينشأ سوياً في هذه الحالة ، فغالباً ما يعيش مع أحد أبويه وهو بحاجة إليهما معاً وفق ما سنّه الله له ، أو قد يعيش

(١) سورة الروم ، الآية : ٢١ .

(٢) مكارم الاخلاق : ص٢٠٠ .

بعيداً عنهما ، أو عن عنايتهما في حال تزوج كل من الأبوين ، إن دفء صدر الأم مع شعور الطمأنينة بوجود الأب في جو من التفاهم والتعقل والألفة هو المحيط السليم الذي يستطيع فيه الطفل أن يتجاوز مراحل طفولته بسلام ونجاح « فإنه ليس مثل عش العائلة مكانا آخر لتربية الأولاد ومنحهم الصحة الجسدية والنفسية »[١] .

« وعلى أي حال فالدار المتزلزلة لا يمكن أن تربي الطفل السليم »[٢] .

فعلى الزوج أن يعي هذه الأحاديث :

عن الباقر (ع) قال : « رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته »[٣] .

وقال ابن جعفر (ع) : « من احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة أعتق الله رقبته من النار ، وأوجب له الجنة ، وكتب له مائتي ألف حسنة ، وكتب الله عزّ وجلّ له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة »[٤] .

وعلى الزوجة أن تعي هذه الأحاديث :

قال النبي (ص) : « إيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان »[٥] .

وقال الصادق (ع) : « أيما امرأة قالت لزوجها : ما رأيت منك خيراً قط فقد حبط عملها »[٦] .

---

(١) الفقه الاجتماع للشيرازي .
(٢) الفقه الاجتماع للشيرازي .
(٣) مكارم الأخلاق : ص٢١٧ .
(٤) مكارم الأخلاق : ص٢١٦ .
(٥) مكارم الأخلاق : ص٢١٤ .
(٦) مكارم الأخلاق : ص٢١٥ .

فعلى الأبوين الدائمي الخلاف أن يتجردا قليلا عن حب ذواتهما ، ويفكرا في مستقبل فلذة أكبادهما ، فإن خانتهما العاطفة وعزما على الطلاق فلينظرا إلى حكم العقل والشرع في تربية هذا الطفل المسكين .

الطفل اليتيم :

ومما يثبت الأهمية البالغة لوجود الأبوين حول الطفل في تربيته اهتمام الاسلام البالغ في اليتيم الذي فقد أحد أبويه في الصغر ، إذ لم يهتم الإسلام فقط في حاجاته المادية حيث يصرف عليه من بيت المال إن كان محتاجاً ، وإنما أمّن له حاجاته الروحية كي لا يشعر بأي نقص يكدر صفو روحه وعاطفته ، فينشأ سوياً كغيره من الأطفال ، ولئن فقد أحد أبويه فإن المجتمع الإسلامي كله له آباء ، فهو عضو من المجتمع الإسلامي وعلى المؤمنين أن يدركوا ذلك ، لذا نجد أن الإسلام قد أحاطه برعاية خاصة قال الرسول (ص) : « خير بيوتكم بيت فيه يتيم يحسن إليه . وشر بيوتكم بيت يساء إليه »[١] .

انظر إلى أهمية البيت حيث لم تنشىء الحكومة الإسلامية دوراً للأيتام بل أرادت أن يعيش الطفل في بيت ، فالبيت هو المكان الذي اختاره الله بلطفه للطفل ويكون فيه بسلام في صحته وعقله وعواطفه وقال (ص) : « من عال يتيماً حتى يستغني عنه أوجب الله له بذلك الجنة »[٢] .

قال الرسول (ص) : « من أنكر منكم قساوة قلبه ، فليدْنِ يتيماً فيلاطفه وليمسح رأسه يلين قلبه بإذن الله إن لليتيم حقاً »[٣] .

وعن حبيب بن أبي ثابت أنه قال : جيء بمقدار من العسل إلى بيت

---

(١) مستدرك الوسائل : ج١ ص١٤٨ الباب ٧٨ في متعلقات أحكام الاموات ح٦ .
(٢) بحار الانوار : ج٧٢ ص٤ ح٨ .
(٣) بحار الانوار : ج٧٢ ص٥ ح١١ .

المال ، فأمر الإمام علي (ع) بإحضار الأيتام ، وفي الحين الذي كان يقسم العسل على المستحقين كان بنفسه يطعم الأيتام من العسل ، فقيل له يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال : « إن الإمام أبو اليتامى وإنما ألعقتهم هذا برعاية الآباء »[1] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « أدب اليتيم مما تؤدب منه ولدك واضربه مما تضرب منه ولدك »[2] .

ومن وصية الإمام أمير المؤمنين إلى أولاده : « الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم »[3] .

عن فقه الرضا (ع) : « وإن كان المُعزّي يتيما فامسح يديك على رأسه »[4] .

لما أصيب جعفر بن أبي طالب ، أتى رسول الله أسماء فقال لها : اخرجي لي ولد جعفر ، فأخرجوا إليه فضمهم وشمهم ، قال عبدالله بن جعفر : احفظ حين دخل رسول الله على أمي ، فنعى لها أبي ونظرت إليه وهو يمسح على رأسي ورأس اخي[5] .

يستفاد من مجموع النصوص الإسلامية ضرورة تربية الأيتام كسائر الأطفال في المجتمع ، ولهم الحق في الاستفادة من جميع المزايا والعواطف الإنسانية .

إن الأيتام في الدولة الإسلامية يمتازون برعاية كاملة من حيث الطعام

---

(١) الكافي : ج١ ص٤٠٦ باب ما يجب من حق الامام . .ح٥ .
(٢) الوسائل : ج١٥ ص١٩٧ الباب ٨٥ من ابواب احكام الاولاد
(٣) نهج البلاغة : الكتاب ٤٧ .
(٤) مستدرك الوسائل : ج١ ص١٤٧ الباب ٧٨ في متعلقات احكام الاموات ح١ .
(٥) بحار الانوار : ج٧٩ ص٩٢ ح٤٤ .

واللباس والحنان والأدب بحيث لا يحسّون بأي فرق بينهم وبين سائر الأطفال .

ويستفاد من الأحاديث أيضاً أن لا بديل للطفل من الأسرة مهما كانت الظروف التي يتعلل بها الآباء والأمهات الأنانيون .

(١) في دور الرضاعة :

في اليوم الأول لولادة الطفل تبدأ رحلة التربية للطفل ، ويكون لكل تصرف وسلوك تجاهه أثر على عقله وعواطفه ، وإن لم ندرك ذلك إننا عندما نضع بذرة في التربة ثم نصب عليها قليل من الماء تبدأ عملية النمو في اللحظة الأولى دون أن نرى ذلك ، وعندما تتشقق الأرض وتبرز النبتة إلى الخارج فإنها تكون قد قطعت مراحل عدة حتى وصلت لهذه المرحلة ، فيبدأ الطفل يستقبل المؤثرات في اليوم الأول كما تبدأ تفاعلات النبتة لحظة وضعها في التربة وصب الماء عليها ، وعندما يرى الأب أن الطفل بدأ يدرك ويتأثر فإنها كلحظة يرى الزارع فيها بزوغ النبتة خارج التربة .

يقول الإمام علي (ع) : « إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته »[١] .

وقد ذكر بعض علماء النفس أن مخ الطفل من أول يوم ولادته ، يسجل كل ما حوله من الأحداث ، ويؤثر ذلك في وعيه ، ولعل ذلك سبب تأكيد الشارع على الآذان في أذنه اليمنى ، والإقامة في إذنه اليسرى »[٢] .

قال رسول الله (ص) : « من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بآذان الصلاة ، وليقم في اليسرى فإنها عصمة من الشيطان الرجيم »[٣] .

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٣١

(٢) الفقه الاجتماع للامام الشيرازي .

(٣) الكافي : ج٦ ص٢٤ باب ما يفعل بالمولود . . . ح٦ .

يتصور البعض أن المولود الجديد قطعة من اللحم الحي ، يحتاج إلى الغذاء والنوم فقط ، ويجب أن يمر عام على حياته ـ على الأقل ـ حتى تستيقظ المشاعر النفسية عنده تدريجياً ، وعند ذلك يتمكن الآباء والأمهات من الابتداء بتنمية العادات الحسنة في الطفل ، وبعبارة أخرى يظن هؤلاء أن الغذاء المادي يبدأ من اليوم الأول للطفل ، أما حاجته إلى الغذاء الروحي فإنها تبدأ بعد عام من ولادته على الأقل .

إن هذا التصور خطأ فاحش فإن الطفل يستجيب في الأسابيع الأولى من حياته بفضل غرائزه واستعداداته للعادات والمؤثرات .

« إن الأطفال الرضع محتالون أكثر مما يتصوره البعض ، إنهم عندما يرون أن نتائج البكاء أنفع لهم فإنهم يستخدمونها بلا شك »[1] وإن كثير من الأمهات يدركن هذه الحقيقة .

أحد الآباء يذكر أنه يعرف لغة طفله الرضيع ، ويعرف ماذا يريد ، إذ أن هذا الطفل يبكي بطريقة معينة عندما يشعر بالجوع ، ويبكي بطريقة أخرى عندما يشعر بالبرد ، أو عندما يشعر بالألم ، وكذلك عندما يكون بحاجة إلى أنيس يجلس بجانبه وهكذا .

إن على الوالدين الاهتمام بتنمية عواطف الطفل إذ أن مشاعره العاطفية تكون يقظة في فترة غياب ادراكه العقلي ، ومن أفضل وسائل تنمية عواطف الطفل مناغاته ، والابتسام في وجهه ، وتقبيله ، وشمه ومعاملته بالرفق والحنان ، فإن العطف من أطيب الأطعمة النفسية التي يلتذ بها الطفل .

وقد ورد سابقاً في الحديث القدسي في سؤال موسى لربه قال : يا رب أي الأعمال أفضل عندك؟

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية .

قال : « حب الأطفال فإني فطرتهم على توحيدي فإن أمتّهم أدخلتهم جنتي برحمتي »[1] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « هل الدين إلا الحب »[2] .

إن الطفل الذي يتلقى مقداراً كافياً من الحب والحنان يمتلك روحاً منتعشة ، إنه يشعر بذلك عند ضمه إلى صدر أبويه وتقبيله ويري ذلك إلى نفسه فلا يصاب بعقدة الحرمان بل تتفتح أسارير الفضائل في قلبه بسهولة ، ويُنْشَأ عطوفاً يكنّ الحب والخير لمن حوله بل ولمجتمعه .

عن الإمام الصادق (ع) قال : « من قبّل ولده كتب الله عزّ وجلّ له حسنة ومن فرّحه ، فرّحه الله يوم القيامة »[3] .

وقال (ع) : « أكثروا من قبلة أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة »[4] .

إن الأطفال هم أحباء الله ، وحبهم عبادة عظيمة يؤديها المسلم ، فعلى المؤمنين أن يحبوا الأطفال بشكل عام ، ولا تخص بذلك ، حب أطفال الآخرين وعاملهم كما تحب أن يعامل الآخرون أطفالك ، وكذلك كان رسول الله (ص) ولنا فيه أسوة حسنة ، فقد كان محباً لأطفال الناس ، رفيقاً بهم ، فكان (ص) يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسميه فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله ، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه فيقول (ص) : « لا تزرموا بالصبي » فيدعه حتى يقضي بوله ، ثم يفرغ من دعائه وتسميته فيبلغ سرور أهله فيه ، ولا يرون أن يتأذى ببول صبيهم ، فإذا

---

(١) مكارم الاخلاق : ص٢٣٧ .

(٢) الخصال : ص٢١ الرقم ٧٤ وبحار الأنوار : ج٦٦ ص٢٣٧ ح٥ .

(٣) الكافي : ج٦ ص٤٩ باب بر الأولاد ح١ .

(٤) بحار الانوار : ج١٠١ ص٩٢ ح١٠ .

انصرفوا غسل ثوبه[1] .

فالحدة والشدة والغلظة تأثر في نفس الطفل ويستاء منها ، وربما تركت حرجاً في نفسه ، وخدشاً في شخصيته يصعب فيما بعد إزالته ، وإلى ذلك يشير الرسول (ص) : روي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب مرضعة الحسين (ع) قالت : أخذ مني رسول الله (ص) حسينا أيام رضاعه فحمله ، فأراق ماءه على ثوبه فأخذته بعنف حتى بكى ، فقال (ص) : « مهلاً يا أم الفضل إن هذه الإراقة الماء يطهرها ، فأي شيء يزيل الغبار عن قلب الحسين »[2] .

وهنا ندرك نقطتين :

الغبار : ويقصد به الآثار النفسية السلبية التي ستصيب قلب الطفل .

فأي شيء يزيل : استفسار مفاده صعوبة التخلص من هذه الآثار النفسية التي ستصيب الطفل .

ومن الملاحظ أن كثير من الأمهات ربما ضربت طفلها الرضيع غضبا لكثرة بكائه ، ولربما ألقت به بشدة بحيث يرتطم في فراشه ثم تصرخ عليه غضباً منه ظناً منهم بأن هذه التصرفات لا يمكن أن تؤثر في نفس الطفل وهو بهذا السن ، في حين احتمال ظهور آثار هذا السلوك على الطفل مستقبلاً ، شعور بالنقص والإنكسار ، ولربما كان بكاؤه ولم لا يستطيع الافصاح عنه ، أو لحاجة ، أو لشيء ما ، ثم لا يجد إلا الإيذاء بدل التلبية .

وكذلك يجب الاهتمام في غذاء الطفل في سنواته الأولى ، ذلك أن

---

(١) بحار الأنوار : ج١٦ ص٢٤٠ ومكارم الاخلاق : ص٢٥ .

(٢) هدية الأحباب : ص١٧٦ .

الأساس الأول في بناء المبنى إذا كان منحرفاً استمر البناء في انحرافه مهما علا في السماء شاهقاً .

إن المخ ينمو بالرغم من ثبات عدد خلاياه ، وهذا النمو يحصل في الأعوام الثلاثة الأولى بسرعة عجيبة بحيث يمكن إرجاع ٩٥٪ من نمو الدماغ عند الإنسان إلى تلك الأعوام الثلاث[١] .

إن كثيراً من الأمراض عند الأطفال والتي يعانون منها في سنواتهم المتأخرة إنما نتجت من سوء التغذية في سنتهم الأولى والسبب يرجع إلى اهمال الأبوين في هذا الجانب وعدم مراجعتهم للمختصين .

فكما جاء عن الرسول (ص) : « والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم فالمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »[٢] .

وعلى الوالد أن يراعي موضوع التسمية ، والذي ورد في كثير من الأحاديث ، وليعرف أن لذلك أثر بالغ على نفس الطفل فليسمه إسماً لشخص مميز مصدر فخر كأسماء النبي والأئمة (ع) ، أو اسماً فيه معنى يحب الشخص أن يشعر به ، وخير الأسماء كما ورد في الحديث « ما حمد وعبد »[٣] .

الايمان : الحجر الأساسي في البناء النفسي للطفل :

يجب اعتبار تربية الطفل على الإيمان وإشعاره بوجود الله هو الأساس الأول والرئيسي لتربية الطفل ، وبعبارة أخرى يجب اعتبار الإيمان الحجر

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية .

(٢) مجموعة ورام (تنبيه الخواطر) : ص٦ .

(٣) انظر مستدرك الوسائل : ج٢ ص٦١٨ الباب١٥ من ابواب احكام الأولاد ح١و٥ .

الأساسي والرئيسي في البناء النفسي والعاطفي للطفل .

وهذه المهمة لا تحتاج في بداية الأمر لأي قدر من التكلف ، إذ أن الطفل قد فطر على التوحيد كما مر في الحديث القدسي « فطرتهم على توحيدي »[1] فالإيمان بالله موجود أساساً في باطن كل طفل بفطرته .

وعلى المربي أن يراقب الطفل في شعوره وادراكه ، وحالما يجد أن جهاز الإدراك عند الطفل ابتدأ في العمل والنشاط بشكل واضح ، وابتدأ الطفل يكثر في السؤال عن الموجودات المحيطة به وعن علل الأشياء ، فإن نفسه الطاهرة تكون على أتم الإستعداد للإيمان بالله الخالق لكل هذا العالم ، وعلى المربي أن يستغل هذه الثروة الفطرية بأسرع ما يمكن ، ويفهمه الله هو الذي خلق كل شيء ، وهو الذي يرزقنا ، وهو يرانا في كل وقت ونحن لا نراه ، وسوف يثيبنا على أعمالنا الحسنة ويعاقبنا على أعمالنا الخاطئة .

إذا انتعشت نفس الطفل بالإيمان بالله فإنها تكون قد سارت وفق فطرة الله ، واستجابت لأقوى قوة وجدانية في نفس الإنسان ـ وهي الإيمان بالخالق ـ عندها تكون نفس الطفل نشيطة ومستعدة لإحياء جميع السجايا الفطرية الفاضلة في نفسه ، فيبدأ في تحصيل السلوكيات والصفات المرغوبة بشكل أقوى وأفضل .

عن ابن عبدالله (ع) : « بادروا أولادكم ـ أحداثكم ـ بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة »[2] أي علموهم أمور دينهم وعقيدتهم بشكل صحيح قبل أن يسمعوا كلام المخالفين ويبادروهم بالباطل فيفسدوا فكرهم ومعتقدهم .

وعن ابن عبدالله (ع) : « إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له : قل لا إله

---

(١) مكارم الأخلاق : ص٢٣٧ .

(٢) الكافي : ج٦ ص٤٧ باب تأديب الولد ح٥

إلا الله (سبع مرات) ثم يترك حتى يتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوما فيقال له : قل : محمد رسول الله ـ سبع مرات ـ ويترك حتى يتم له أربع سنين ثم يقال له : قل سبع مرات صلى الله على ومحمد وآله ، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين ثم يقال أيهما يمينك؟ وأيهما شمالك؟ فإذا عرف ذلك حوِّل وجهه إلى القبلة ويقال له : اسجد ، ثم يترك حتى يتم له ست سنين فإذا تمّ له ست سنين قيل له : صلِّ وعُلم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين فاذا تمّ له سبعٍ سنين قيل له : اغسل وجهك وكفيك ، فإذا غسلهما قيل له : صلِّ . . »[1] .

وعن النبي (ص) قال : « مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً »[2] .

والمقصود بـ [ترك] في هذا الحديث على حسب الظاهر هو عدم الاثقال عليه بتزاحم الأفكار ، وليس أن يترك بعد أن يلقن العبارة سبع مرات فقط إلى حين الموعد الآخر ، وإنما الاستمرار بتلقينه فقط العبارة الواردة في عمر معين حتى يصل عمره لمرحلة أخرى والعلم عند الله .

وفي الحديث عن الامام العسكري (ع) : « إن الله يجزي الوالدان ثواباً عظيماً ، فيقولان : يا ربنا أنى لنا هذه ولم تبلغه أعمالنا؟ فيقال : هذه بتعليمكما ولدكما القرآن وبتبصيركما إياه دين الإسلام »[3] .

ويذكر أن الحسين (ع) أعطى من علّم ولده سورة الحمد نقوداً وهدايا ثم ملأ فمه دراً ثم قال : وأين يقع هذا من عطائه![4] .

---

(١) كما في مكارم الأخلاق : ص٢٢٢ .

(٢) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٦٢٤ الباب ٥٣ من ابواب احكام الأولاد ح١ .

(٣) مستدرك الوسائل : ج١ ص٢٩٠ الباب٦ من ابواب قراءة القرآن ح١ .

(٤) مستدرك الوسائل : ج١ ص٢٩٠ الباب٦ من ابواب قراءة القرآن ح٣ .

لقد تربى علماؤنا السابقون على الإيمان والفضيلة منذ الصغر ، وكان هذا هو سر سموهم وشموخهم ، ومن طرائف ما نقل بهذا الشأن أن العلامة الحلي رحمة الله عليه كان عندما يريد أن يفلت من أبيه إذا ألحق به ليمسكه على جرم فعله كان الغلام (الحلي) يقرأ من القرآن ما يوجب السجود ، فيضطر أبوه للسجود ، ويتمكن هو من الفرار لأنه غير مكلف ولا يجب عليه السجود .

لذا نرى أن العلامة الحلي قد بلغ درجة الإجتهاد وهو ابن الثلاثة عشر سنة ، وكان يلعب في الشارع مع الأطفال فإذا حان موعد الدرس يلبس عمامته ليذهب ويجالس كبار العلماء وفيهم من يسأله ويستفيده .

فالطفل الذي استوعب مسألة الإيمان بالله وبالغيب في صغره لا يكون بحاجة للتكلف في اقناعه ببقية المسائل الإيمانية في الكبر ، بل يجدها واضحة وكحقيقة مسلّمة .

« إن الطفل الذي يتربى على هذا الأساس يمتاز بإرادة قوية وروح مطمئنة ، تظهر عليه إمارات الشهامة والنبل منذ الصغر وتطفح كلماته وعباراته بحقائق ناصعة وصريحة »[1] .

وهكذا كان نبي الله يوسف (ع) الذي تربى في حجر النبي يعقوب (ع) على التقوى والإيمان ، فعندما ألقي في البئر في قصته المعروفة كان عمره كما يروى عن علي بن الحسين (ع) « ابن تسع سنين »[2] فبعد أن أُخرج يوسف من البئر بيع لقافلة مصرية ، وفي ظروف كهذه فإن المتوقع من طفل في عمره هو الخوف والجزع ، لكن من تربى على الإيمان من صغره يمتلك مقداراً عجيباً من الإطمئنان في الحديث : « لما أخرج يوسف من الجب وأُشتري قال لهم

(١) الطفل بين الوراثة والتربية .

(٢) تفسير البرهان : ص٤٩٥ .

قائل : استوصوا بهذا الغريب خيراً ، فقال لهم يوسف : من كان مع الله فليس في غربة »[1] .

ونظير هذا نجد قصة الرسول الأعظم (ص) مع مرضعته حليمة السعدية .

تقول حليمة : لما بلغ محمد (ص) الثالثة من عمره قال لي : أماه أين يذهب إخوتي نهار كل يوم؟

فأجبته : يخرجون إلى الصحراء لرعي الأغنام .

قال : لماذا لا يصحبوني معهم؟

فقلت له : هل ترغب في الذهاب معهم؟.

قال : نعم .

فلما أصبح دهنته ، وكحلته ، وعلقت في عنقه خيطا فيه جزع يمانية ، فنزعها ثم قال لي : « مهلا يا أماه فإن معي من يحفظني »[2] .

يقول ريموندبيج : إن قلب الإنسان لا يمكن أن يعتنق الأخلاق من دون وجود دافع ديني ، ولو حاول شخص أن يتفهم الأصول الخلقية بمعزل عن الدين فكأنه يقصد تكوين موجود حي لكنه لا يتنفس ، إن أول صورة يرسمها الطفل في ذهنه عن الله تنبع من علاقته مع والديه ، عليهما أن يعرفا الله لأطفالهما بأحسن صورة ، وهما في هذا السبيل يستطيعان أن يستعينا بمصورين فياضين أولهما الدين والثاني الطبيعة »[3] .

---

(١) مجموعة ورام (تنبيه الخواطر) : ص٣٣ .
(٢) الطفل بين الوراثة والتربية في أثر الايمان في الطفل وكما في بحار الأنوار : ج١٥ ص٣٩٢ .
(٣) الطفل بين الوراثة والتربية .

ولا يكفي أن يعرف الطفل وجود الله وقوة الله وقدرته لكن يجب أن يزرع حب الله في قلب الطفل وبشكل يفوق أي حب ، ومن الملاحظ أن بعض الآباء لكي يثبت لطفله أنه يحبه يقول له : بني أتعلم من أكثر من أُحب؟ فيسأل الطفل : ومن أكثر من تحب؟

فيجيب الأب : أنت طبعا يا بني .

فيرد الطفل ويقول لأبيه : وكذلك أنا أحبك أكثر من أي شخص آخر ، فيقبله أبوه فرحاً .

كان أمير المؤمنين (ع) جالساً يوماً في بيته وقد جلس على جانبيه طفلاه الصغيران : العباس وزينب قال علي (ع) للعباس : قل واحد .

فقال : واحد .

فقال : قل اثنان .

قال : استحي أن أقول باللسان الذي قلت ، واحد : اثنان!

فقبّل علي (ع) عينيه ثم التفت إلى زينب وكانت على يساره والعباس عن يمينه

فقالت : يا أبتاه أتحبنا؟

قال : نعم يا ابنتي ، أولادنا أكبادنا!

فقالت : يا أبتاه حبان لا يجتمعان في قلب المؤمن ، حب الله وحب الأولاد ، وإن كان لا بد فالشفقة لنا ، والحب لله خالصاً فازداد علي (ع) بهما حباً(١)

إننا عندما نريد أن نزرع حب الله خالصا في قلوب أطفالنا علينا أن نزرعه

(١) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٦٣٥ الباب ٧٩ من ابواب احكام الأولاد ح١٦ .

بالاقناع ونعلل ذلك لهم لا أن نأمرهم بحب الله ثم نقول لأطفالنا ما يزرع البغض لله في قلوبهم ، كثيراً ما نسمع هذه العبارة متوجهة من الأب أو الأم لطفلهما : « إن الله سوف يدخلك النار إذا فعلت كذا » رغم أنه طفل وغير مكلف فيعتبر ما قالته الأم خطأ في الأسلوب وكذب شرعاً .

وهذا أسلوب خاطىء كانت نتيجته أن أحد الأطفال قال لأبيه : أنا لا أحب الله لأنه سوف يدخلني النار ، وهنا تحضرني قصة بهذا الصدد :

أحد البيوت استقبلوا مولوداً جديداً لكنه كان ناقصاً في الخلقة بسبب عقار طبي تناولته الأم أثناء فترة الحمل . فتألمت أسرة المولود بسبب هذا الحدث وشكروا لله حامدين . ولكن هناك طفلة تأثرت لهذا الحدث وسألت أمها : لماذا ولدت ناقصة؟

فقالت لها أمها : أنه من عند الله ، فتأملت مليّا وقالت : أنا لا أحب الله ، فاستفسرت الأم مندهشة لماذا؟ فقالت : لأنه فعل بالمولودة هكذا .

عودّوا أطفالكم حب الله ، وقولوا لهم إن الله يحبكم كثيرا ، وكل ما عندنا من خير أو نعمة فإن مصدرها الله اعطانا إياها حباً ورحمة ، وكل ما يصيبنا من سوء فمن أنفسنا .

قل لطفلك يجب أن تحب الله أكثر مني لأن الله هو الذي خلقني لك فأوفر لك ما تريد .

وخلاصة القول : يجب أن تكون قلوب أطفالنا فياضة بحبّ الله وتوحيده ، فتكون الخطوة الأولى في معارج الكمال وأيديهم لا تزال مستندة ومشتبكة بأيدينا نرعاهم ونحميهم من أي زلة أو عثرة قد تصيبهم بأذى ، ونحمي قلوبهم وعقولهم من أي شائبة في العقيدة ، ونكون بذلك قد وفرنا لهم سلامة الروح والبدن .

كيف نتعامل مع الطفل

التعامل مع الطفل وفق حاجاته

يظن بعض الآباء والأمهات جهلاً أن الطفل لا يحتاج إلا لثلاث حاجات فقط وهي (الغذاء ، الحماية ، اللعب) في حين أن حاجات الطفل كإنسان كثيرة ومتشعبة ، منها ما هو مرغوب به على الإطلاق كحاجته للإيمان مثلا ، ومنها ما هو منبوذ على الإطلاق كحب الإعتداء مثلا ، ومنها ما هو مرغوب أحياناً ومنبوذاً أحياناً أخرى ، ولا يجب الاستجابة لها على الدوام كالحاجة إلى الحب مثلاً ، يقول تعالى : **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾**(1) .

ويجب على الأب أو المربي أن يتعامل مع طفله وفق مبدأ الحاجات ، فالساعات الكثيرة والتي يكون الطفل فيها فارغاً من النوم والطعام ونحوه لا يمكن للطفل أن يكون ساكنا فيها ، وهو يرفض هذا السكون مهما فرض عليه من أبويه ويصر على ذلك ، وكثيرا ما نشاهد مصداقية هذه الحقيقة في واقعنا ، ولنأخذ

(1) سورة الشمس ، الآيات : من الآية ٧ الى ١٠ .

مثالاً على ذلك :

عائلة مدعوة على العشاء عند أحد الأقرباء فاصطحبت العائلة طفلها ذو السنتين من العمر وهناك رفض أن يأكل على مائدة العشاء لأنه لا يشعر بالجوع ، رأى بعض التحف الغريبة موجودة في أحد زوايا المنزل فذهب يعبث بها ليستكشف ما هي . . الأب يحاول اقناع الطفل بالجلوس والأكل ، ولكنه يرفض لأنه يشعر بحاجة أخرى يريد اشباعها ويصر على ذلك ، والأب يعلم أنه لو ترك طفله فإن النتيجة الحتمية تكون دمار التحف في منزل الداعي والتعرض لموقف محرج . . كيف سيتصرف الأب تجاه هذا الموقف؟

هنا يعتمد سلوك الأب على مدى معرفته بأسلوب التعامل مع الطفل وقدرته على التفكير والبحث عن الأسلوب اللائق .

بعض الآباء يشبع الطفل ضرباً حتى لا يستطيع الحركة من شدة الألم والبكاء ، أب آخر يترك طفله يفعل ما يريد ، وبالتالي لكي يرضى صاحب البيت فإنه يضرب طفله بعد أن يحطم أكبر قدر من الموجودات ، وأب آخر يترك ابنه يفعل ما يريد دون أي اكتراث أو خجل من الآخرين ، وأب آخر قد يضحي فيترك المائدة ويذهب مع طفله ليرى ما يريد ثم يحاول أن يعطيه شيئا لا يكسر ليعبث به أكبر مدة ممكنة من الوقت ، وإن أصابه الملل أعطاه شيئا آخر أو وجّه إليه بعض الأسئلة وحوّل اتجاه فكره لحاجة أخرى .

إن على الأب أن يحاول معرفة الحاجات الكامنة في نفس طفله (المراقبة) ويحاول قدر الإمكان تصنيفها وتحديدها (التحليل) ثم يحاول أن يجد الطرق السليمة لاشباعها (وضع الحلول إذا كانت جيدة أو توجيهها إذا كانت غير جيدة) ثم يحاول ممارستها (التطبيق) وبحذر ويتأمل النتائج فإذا ثبت صحة ما قام به وإلا أعاد هذه التجربة من البداية ، وهكذا حتى يستطع أن يكشف أكبر قدر من أسارير الطفل وحاجاته وميوله ليحاول الاستفادة من هذه الغرائز الفطرية في نفس

الطفل ، والتي يشكل كنوزاً فطرية بحاجة إلى من يكتشفها ويستثمرها .

والأطفال بطبيعة الحال يختلفون في ميولهم وحـاجاتهم وعلى الأب أن يعي ذلك ، ويفسر ذلك تفسيراً علمياً وليس عاطفياً ، فلا يحكم أن طفله سيء لأن طفل غيره ليس كذلك يقول الله جل وعلا : ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾[1] .

ولتسهيل عملية الملاحظة لدى الأب نذكر بعض الحاجات والدوافع على سبيل المثال لا الحصر ، ودون فصل الجيد عن السيء منها، والتي تكمن وراء كثير من سلوكيات الإنسان وفق التصنيف الذي قدمه بعض المتخصصين في هذا المجال وهو (هنري موري) في كتاب استقصاءات في الشخصية[2] .

(١) الحاجة إلى الودّ :

أن يكون الفرد مخلصاً لأصدقائه ، ويعمل ويقدم أشياء من أجلهم دون مقابل وتكون علاقته معهم وثيقة ومخلصة ، وهي حاجة جيدة .

(٢) الحاجة للخضوع :

أن يحصل الفرد على مقترحات الآخرين وأفكارهم ، ويمدح الآخرين ، ويقبل قيادة الآخرين ، ويتبع التقاليد ، وهذه الحاجة مرغوبة أحيانا وغير مرغوبة أحيانا إذ يعتمد على نوعية الطرف الآخر .

(٣) الحاجة إلى لوم الذات :

ان يشعر الإنسان بالإثم حين يعمل خطأً ، ويقبل اللوم ، وأن يشعر أن الألم الشخصي والتعاسة تفيد أكثر مما تضر ، وهي حاجة جيدة في الغالب ، لكنها خطرة على الشعور بالثقة لذا يجب الحذر .

---

(١) سورة نوح ، الاية : ١٤ .

(٢) الأطفال يقرأون : ص١٨٣ .

(٤) الحاجة إلى السيطرة :

أن يدافع عن وجهة نظره ويكون قائداً في جماعات ، وأن يتخذ قرارات الجماعة ، ويقنع الآخرين ، ويؤثر فيهم ، ويشرف على أعمالهم ويوجههم ، وهي حاجة غير مرغوبة لذاتها بل يجب أن تكون وسيلة لحاجات محبذة ، أو لأهداف نبيلة ، كأن يكون هدفه من قيادة مجموعة من الأطفال هو حفظهم أثناء اللعب من الأخطار في مكان هو أعلم به منهم .

(٥) الحاجة إلى الاستغلال الذاتي :

أن يقول رأيه في الموضوعات المختلفة ويكون مستقلا عن الآخرين باتخاذ قراراته ، وأن يشعر بالحرية فيما يريد أن يعمل ، وهي حاجة مرغوبة إلى حد ما مع أخذ الحيطة من اصابته بالكبر .

(٦) الحاجة إلى اللعب والترويح :

الميل إلى التسلية واللهو ، وهي حاجة مرغوبة لسن معين (السابعة) تقريبا ، ولكم يحب أن تنظم وتكون في أشياء مفيدة ، ويجب أن تقل بعد السابعة من العمر .

(٧) الحاجة إلى الاستعراض :

أن تصدر عن الفرد عبارات تدل على الذكاء ويحكي نكتا مسلية ، وقصصا ممتعة ، وأن يكون مركز الاهتمام ، وهي حاجة مرغوبة في الغالب مع الحذر من الغرور .

(٨) الحاجة إلى النبذ :

أن يزجر شخصا آخر أو يتجاهله أو يطرده ، ويبقى مترفعا عن الآخرين

غير مكترث بهم ، ويتحين تكوين الصداقات ، وهي حاجة غير مرغوبة ويجب توجيهها أو كبحها .

(٩) الحاجة إلى الانجاز :

أن يفعل الفرد أفضل ما يستطيع ، وأن ينجز أعمالاً تتطلب مهارة وجهد ، وأن يحقق شيئا له مغزى كبير ، وأن يجيد القيام بعمل صعب ، ويحل مشكلات صعبة ، وهي حاجة مرغوبة ومهمة جداً ويجب الاعتناء بها واستغلالها قدر الامكان .

(١٠) الحاجة إلى تجنب اللوم :

أن يتجنب الفرد اللوم والعقاب ، ويطيع القانون والأوامر ، ولا يفعل ما يضايق الآخرين ، ويتجنب كل ما يثير المعارضة والعداء ، وهي حاجة مرغوبة يمكن استغلالها في أسلوب التأديب بعد تنيمتها .

(١١) الحاجة إلى الفهم والمعرفة (الاستقصاء) :

حاجة الفرد إلى أن يسأل أسئلة للكشف عن الحقائق ، وهي حاجة مرغوبة يجب تنميتها لتنمو وتؤدي غرضها ، وهي الحاجة التي أوصلت الانسان إلى مستواه العلمي الحالي .

(١٢) الحاجة إلى العدوان :

أن يهاجم الآخرين وينتقدهم ويعنفهم ، وأن يغضب ويلوم الآخرين عندما تسوء أحواله ، وهي حاجة غير مرغوب فيها يجب التخلص منها .

(١٣) الحاجة إلى التملك :

وهو الميل للاحتفاظ بالملكية بدون شريك ، أو السيطرة على شيء ما ،

وعدم الرغبة في المشاركة مع الآخرين في الممتلكات ، وهي حاجة يجب أن تستجاب بقدر معين مع تعويد الطفل على العطاء ونكران الذات .

(١٤) الحاجة إلى التأمل الذاتي :

أن يحلل الفرد مشاعره ويحلل سلوك الآخرين تجاهه ، وهي حاجة مرغوبة تنمي الذكاء .

* * *

إن استخدام تلبية الحاجات من الأساليب المفيدة في حث الطفل على طاعتنا ، إلا أن الملاحظ في واقعنا التربوي الافراط في استخدام الكذب للحصول على طاعة ميسورة من الطفل دون التفكير بالعواقب السيئة للكذب على الطفل ، إذ أن الطفل سوف يرغب اكتساب هذه الصفة السيئة (الكذب) حيث يفقد الاحساس بفضيلة الصدق ، ثم نغضب عندما يصبح الطفل كذاباً ، ونحاول جاهدين قلع هذه الصفة منه دون جدوى .

إننا باستخدامنا الكذب نعلّم الطفل إن أفضل الطرق وأسهلها لتلبية الحاجات هي الكذب ، ونعينه أكثر على اكتساب هذه الصفة عندما لا نعير حاجاته أي أهمية في الوضع الاعتيادي ، فيحاول أن يهول كل أمر ليحصل على اهتمامنا ، كالتمارض مثلا للحصول على الحنان ، أو نقل أخبار كاذبة للحصول على لفت النظر والشعور بالأهمية ، اجعل طفلك يطيعك وهو يجد لذة فيما يطيعك فيه ، فإن عصاك فابحث عن السبب ، واعلم أن الطفل لا يجب أن يخضع لفهم كامل ، وهو لم يتجاوز الست سنين .

والحديث الذي يشير إلى ترك الطفل يلعب إلى ست سنوات يشير إلى هذا المعنى ، إذ يجب الرشد والتوجيه في فترة الست سنوات الأولى ، دون

ضغط قوي وعنيف ، ومن يباشر في تربية طفله منذ بدايته لا يحتاج أساساً للضغط العنيف .

احترام الطفل

إن من أهم الحاجات التي يحتاجها الانسان بشكل عام والطفل بشكل خاص هي الحاجة إلى الاحترام ، فالإنسان قد فطر على هذه الحاجة ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[1] .

فالإنسان الذي نُشىء على الفطرة مستعد أن يضحي بكل ما يملك مقابل أن لا يهان ، وكل انسان يتعرض لموقف يشعر من خلاله إن الطرف الآخر لم يحترمه أو أهانه فإنه يشعر بألم شديد في النفس ، ويظل يفكر في هذا الموقف ساعات ويتألم ، وكلما تذكره في أي وقت تألم لذلك .

إن الطفل إنسان لكنه صغير وضعيف ، ويجب أن يشعر بعضويته لهذا المجتمع ، أنه ليس حيواناً أليفاً في البيت من شاء مالكه مسح بيده على رأسه ومتى شاء ركله برجله .

إن تعاليم الإسلام تؤكد على احترام الطفل بشكل واضح وصريح وبتركيز لكننا تركنا تعاليم الإسلام ولم نقتدي برسول الله (ص) في أسلوب تعامله مع

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٧٠ .

الطفل ، بل أصبحت السمة الأساسية لتعاملنا مع الطفل هي احتقار الطفل وليس احترامه .

ومن المؤسف حقاً أن نلمس في مجتمعنا احتقار الطفل بشكل واضح وواسع فلا يكلم إلا بنهر ، ويشتم لأتفه الأسباب ويهان ، يسفه رأيه ، ويسخر منه ، ويستهزء به ، ولا يحترم ، ولا يعار له أية أهمية ، دون اكتراث ودون أي شعور بفعل الخطأ ، أصبح شيئا طبيعياً وقد قبله الأطفال المساكين مرغمين أذلة ، لذلك ينشأون ضعيفي الشخصية ، عديمي الارادة ، لا يشعرون بقيمتهم في المجتمع ، بل يشعرون بالنقص والضعف ، إنهم يشعرون أن وجودهم شيء لا فائدة منه ، وأنهم أحقر من أن يأتي يوم ويكون لهم دور في المجتمع ، إنهم تافهين في نظر المجتمع فلم المحاولة عبثا في المشاركة فيه .

من المؤسف أن نشاهد أيضا أن بعض من يعتقدون أنهم يحترمون أطفالهم يسيئون لهم في تصرفاتهم ، ويشعرونهم بالنقص دون أن يعتقدوا ذلك ، بل يعتبرونها تصرفات اعتيادية ، لكنها بالنسبة للطفل مؤلمة موجعة تبعث في نفسه الحزن والكآبة ، وتترك آثارها على نفسه دون أن يشعر الآباء بذلك ، وسوف نستعرض بعضاً منها من واقع حياتنا اليومية :

الأمثلة :

(١) مجلس يدور فيه حديث بين مجموعة من الرجال حول موضوع معين فيتكلم واحداً منهم فيصغي إليه الآخرون ثم يسكت ، ويتكلم آخر في سرد قصة معينة وكذلك يستمع الآخرون إليه فيتكلم ثالث وهكذا .

تسود فترة صمت ، أحد أطفال الجالسين تخطر بباله قصة تخص الموضوع يحاول أن يلقيها على مسامع الجالسين لكن الحياء يمنعه ، لكنه يحاول ، وبعد جهد جهيد يستطيع أن يتغلب على خجله فيبدأ بالكلام ، لكنه

يفاجأ بأن أحداً لم يسمعه ، لكنه يقاوم ويكمل كلامه فلا سبيل إلى التراجع ، لكنه يصطدم عندم يرى أن أحد الجالسين ابتدأ بالكلام مرة أخرى وتوجهت له أسماع الجالسين وضاعت كلماته الناعمة بين أصواتهم الغليظة ، وضاع الجهد الذي بذله لمقاومة الخجل ، وضاعت كرامته ، بل وتمرغت بالوحل ، فيطرق برأسه إلى الأرض وهو يتمنى لو أن الأرض انشقت فابتلعته .

إن هذا الطفل يفهم أن المجتمع لا يريد أن يسمع كلامه ، مستغني عن أي مشاركة منه لأنه تافه ولا أهمية لكلامه ، انه ناقص ولا يجب عليه أن يتكلم مرة أخرى ، في حين لو أن الكبار استمعوا لكلامه مع قليل من التفاعل لانتعشت روح الطفل ، وشعر بوجوده وأهميته ، وأنه يستطيع أن يفيد المجتمع ، ولا بد إذن أن يبحث عن المفيد ليجد ما يقوله لهذا المجتمع الذي يقدر جهوده . . !

(٢) شخص يتنقل في المجلس يقدم العصير للحاضرين فرداً فرداً ، الطفل يرى ويشاهد بأن الشخص الذي قدم العصير يسير ماراً بالجالسين واحداً واحداً وكل منهم يمد يده ليأخذ كأساً من العصير ، الطفل يراقب العملية فينتظر دوره بفارغ الصبر وعندما يصل دوره يمد يده فيفاجأ بأن الموزع لم يتوقف عنده بل تخطاه ،

يسحب يده بسرعة ويلمها في ثيابه ويلتفت يمنة ويسرة ينظر بوجوه الجالسين ليرى ما هي انفعالاتهم تجاه فضيحته ، إنه صغير وضعيف لا يستطيع أن يوقف ذلك الشخص ويسأله لماذا لم تعطيني كما أعطيت البقية فيسكت ، ولكن نفسه الجريحة تبكي في داخله على هذه الفضيحة دون أن يراها الآخرين ، ثم يسرد في عقله الباطن النتائج التالية :

١ ـ أنا ليس واحد كالآخرين .

٢ ـ أنا إنسان حقير .

٣ ـ هؤلاء الكبار اعدائي ولا بد أن آذيهم .

٤ ـ لن أسمع نصائحهم وسوف أعاندهم مهما قالوا .

٥ ـ وفي النهاية فلا قيمة لأي شيء وكل شيء تافه في هذه الحياة .

(٣) يذهب الطفل مع أهله لزيارة عائلة صديقة ، وعند التقاء العائلتين يرى الطفل ترحيباً خاصاً لكل شخص ، وكل شخص يعانق الآخر ، فالسلام والترحيب حار جداً بين هاتين المجموعتين ، لكنه لا يرى أن شخصاً من هؤلاء مدّ يده ليصافحه ، أو ليسأله عن حاله ، لكنه بادر بنفسه ليضع حداً لهذا التجاهل فقال : السلام عليكم ، لكن النتيجة كانت مؤلمة لم يرد عليه أحداً سلامه ، رغم وجوب الرد .

إن مثل هذه القصص كثيرة في واقعنا ، وهي تترك ردود فعل مختلفة عند الأطفال ، لكنها تجتمع في النهاية لتترك أثراً بليغاً في نفس الطفل ، الشعور (بعقدة النقص) والتي تحطم شخصيته في الوقت الذي تبدأ غرائزه الاجتماعية بالنشاط وقد تلازمه مدى الحياة ، تتحول كل طاقاته ومواهبه واستعداداته الفطرية إلى كلمات لا دور لها في واقع حياته ، وقد تجره للانتقام من المجتمع فيصبح مجرماً خطيراً يقول الصادق (ع) : « جبلت القلوب على حب من نفعها وبغض من ضرها »(١)(٢) .

---

(١) وسائل الشيعة : ج١١ ص٤٤٥ الباب١٨ من ابواب الامر بالمعروف . . . ح٤و٥ والكافي : ج٨ ص١٥٢ ح١٤٠ .

(٢) يقول شاختر : (ان شاباً من أقربائي كان يفضل الإنزواء دائما ، كان يمشي وحده في فرصة المدرسة ويجول في غيم الخيال وسمائه ، وكان يبادر بالذهاب إلى البيت فور خروجه من المدرسة ، وكان يفر من اللعب مع زملائه ، لم يشترك في أية جمعية خيرية ، ولم يكن يدعو أحداً إلى داره ، كما كان لا يذهب ضيفاً لأحد .

كان يقول : أحب مكتبتي وغرفة عملي أكثر من أي شخص آخر ، ولكن الحقيقة هي =

إننا نتعامل مع الأطفال بهذه الصورة رغم كل ما ورد بحقهم من الله ورسوله .

لقد كان قائد الإسلام محمد (ص) يعامل أطفاله وأطفال الآخرين بقدر ليس بالقليل من الاحترام والتقدير ، فعندما كان يقدم من السفر يتلقاه الصبيان فيقف لهم ، ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم ، فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله (ص) بين يديه وحملك أنت وراءه[1] .

وقد جاء في الحديث : « التلطف بالصبيان من عادة الرسول (ص) »[2] .

لقد كان (ص) على عظيم شأنه هو الذي يبدأ السلام مع الأطفال احتراماً لهم لذا نجد أن العلماء أوردوا باب استحباب التسليم على الصبيان في باب خاص في كتبهم .

عن أنس : ان رسول الله (ص) مرّ على صبيان فسلّم عليهم وهو مغذ[3] - أي ماشي مسرع - .

وعن الصادق (ع) : قال النبي (ص) : « خمسة لست بتاركهن حتى الممات . . وتسليمي على الصبيان لتكون سنة من بعدي »[4] .

= أن ذلك الشاب لم يكن ذو مزاج سليم ، ولكي يستر ضعفه ولا يقع موقع السخرية والتحقير كان يحذر من اللعب ، وبالتدريج فإن هذه العادة جعلت منه إنساناً منزوياً في جميع المناسبات الأخرى) .

(١) المحجة البيضاء : ج٣ ص٣٦٦ أخرجه عن البخاري ج٨ ص١٠ .

(٢) المحجة البيضاء : ج٣ ص٣٦٦ .

(٣) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٦٩ الباب ٣٤ من ابواب احكام العشرة . . ح١ .

(٤) مكارم الأخلاق : ص٢٢٢ .

فالسلام يحيي في قلب الطفل خصلة التواضع ، وحب الآخرين ويعطيه شخصية رصينة مستقلة ، وقال (ص) : « اكرموا أولادكم »[1] .

وقال : « . . . من أقر عين ابن فكأنما بكى من خشية الله »[2] .

يقول موريس تي يش في كتابه « دروس للوالدين » :

« يجب أن تسلكوا مع أولادكم كأصدقاء أن تعملوا معهم ، أن تشاركوهم في اللعب ، أن تقرأوا لهم القصص ، وتتحدثوا معهم بعبارات الود والصداقة ، وبصورة خاصة فإن الفرد يجب أن يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال ويتكلم بلغة يفهمونها » .

وبذلك تكون كبيراً ، وليس كبيراً من يكلم الأطفال ويعاتبهم على أنهم رجال ، والرسول (ص) يقول : « كلموا الناس على قدر عقولهم »[3] .

إن الأشخاص الذين لا يحترمون الأطفال إنما هم أشخاص أنانيين ، لا يراعون حرمة للإنسانية حيث أن الطفل انساناً ، ولا يراعون حرمة للدين حيث أمرنا الله ورسوله باحترامهم ، ولا يراعون حرمة للأمة إذ يحرمونها من كفاءات ذات ارادة قوية ونفوس أبية تتطلع دائما إلى الرفعة ، قد تبرز فتشارك في رفع شأنها .

لقد كان أطفال الناس أيضا يحوزون احتراماً وتكريماً من قائد الإسلام العظيم، وكان يبذل لهم من العناية بمشاعرهم الروحية وعواطفهم ما يبذله لأولاده ، فعن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « صلى رسول الله (ص) بالناس

(١) وسائل الشيعة : ج٨ ص٤٤١ الباب٣٥ من ابواب احكام العشرة ح٢ .
(٢) مكارم الأخلاق : ص٢٢١ .
(٣) انظر الكافي : ج١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٥ وفيه : «انا معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» والعوالي : ج٢ ص١٠٣ ح٢٨٤ .

الظهر فخفف في الركعتين الأخيرتين ، فلما انصرف قال له الناس : هل حدث في الصلاة حدث؟

قال : وما ذاك؟

قالوا : خفّفت في الركعتين الأخيرتين :

فقال لهم : أما سمعتم صراخ الصبي؟! »[1] .

وهكذا نجد النبي العظيم يطيل في سجدته تكريما للطفل تارة ، ويخفف في صلاته تكريماً للطفل أيضا تارة أخرى ، وهو في كلتا الصورتين يريد التأكيد على احترام شخصية الصبي وتعليم المسلمين طريق ذلك .

يقولون : ان الأطفال يستأثرون باهتمام العصر الحاضر ، وإن تربيتهم تشغل مجالاً واسعاً من تفكير الحكومة والشعب ، أفهل يمكن أن يبلغ اهتمامهم بالأطفال الدرجة التي بلغها اهتمام الرسول الأعظم بهم وتكريمه لهم؟! .

---

(١) الكافي : ج٦ ص٤٨ باب حق الأولاد ح٤ .

بناء ملكات الطفل

لا أحد يختلف في أن سعادة الإنسان ونجاحه في الدنيا والآخرة هما في سلامة طباعه الخلقية والنفسية ، وكذلك شقاءه وتألمه وتعاسته في الدنيا والآخرة مرهونة في انحراف طباعه الخلقية والنفسية ، وللأسف نجد أن موضوع سلامة الطباع وانحرافها لا تحظى إلا بجزء يسير من الاهتمام الذي يوليه الآباء لسلامة أولادهم الصحية والغذائية ، فكما أن البدن يتألم من أمراض نقص التغذية ويسبب للمريض شعوراً بالتعاسة والشقاء بسبب الألم الذي ينتابه ليل نهار ، كذلك فإن آلام الروح والنفس أشد وطأة وأكثر ألماً لصاحبها ، والإنسان العاقل الواعي يعي هذه الحقيقة ، أضف إلى ذلك نسبة صعوبة علاج الأمراض النفسية مقارنة بعلاج الأمراض البدنية والمصحات النفسية تشهد على ذلك .

لذا يجب على الأب أو المربي الإلتفات إلى هذا الجانب من حياة الطفل ، والمجاهدة الحريصة على أن تكون طباع هذا الإنسان الصغير سليمة وصحيحة ، ووفقا للمبادىء الإسلامية بحيث تكون طباعه السليمة ملكات خلقية يتمتع بها هذا الطفل ونوره من الطباع المنحرفة والأخلاق الذميمة ملكه أيضاً يسعد بها طوال حياته ، والملكة كما يعرفها بعض العلماء : « الخلق عبارة عن ملكة للنفس ، مقضبة لصدور الأفعال بسهولة من دون احتياج إلى فكر أو روية ،

والملكة كيفية نفسانية بطيئة الزوال »[1] ولك نفس في بدء الخلقة خالية من الملكات بأسرها ، وإنما تتحقق كل ملكة بتكرر الأفاعيل والآثار الخاصة به كالتربية والتلقين والمشاهدة إلى غير ذلك من وسائل التأثير .

وكذلك الأحوال النفسانية إذا تضاعفت قوتها صارت ملكات راسخة ، فالنفوس الإنسانية في أوائل الفطرة كصحائف خالية من النقوش والصور تقبل كل خلق بسهولة ، وإذا استحكمت فيها الأخلاق تفقد قبولها لأضدادها ، ولذلك سهل تعليم الأطفال وتأديبهم ، أو يتعذر تعليم الرجال البالغين وردهم عن الصفات الحاصلة لهم لاستحكامها ورسوخها ، ثم لا خلاف في أن هذه الملكات وأفعالها اللازمة لها إن كانت فاضلة كانت موجبة للالتذاذ والبهجة مرافقة للملائكة والأخيار ، وإن كانت رديئة كانت مقتضية للألم والعذاب ، ومصاحبة للشياطين والأشرار[2] .

إنك إيها الأب إذا حرصت على مراقبة خلق طفلك فإنك قد شاركت في مهمة الأنبياء إذ يقول الرسول (ص) : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[3] .

وهل هناك شرف أعظم من هذا؟!

واعلم ان أي إنسان مهما عظم شأنه وتعالى علماً أو عملاً فإنه غير جدير باحترام المجتمع ، وبعيد عن الله إذا كان منحرفا في طباعه الخلقية .

﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[4] .

فاحرص أيها المربي على أن تكون قد شاركت في المهمة التي بعث الله

---

(١) جامع السعادات : ج١ ص٥٥ .
(٢) جامع السعادات : ج١ ص٤٨ .
(٣) كنز العمال : ج٣ ص١٦ ح٥٢١٧ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

من أجلهـا خاتم رسله محمـد (ص) وقـد يسـأل سـائـل : مـا هي الصفـات والأخلاقيات الفاضلة التي تريد جعلها ملكات لدى أطفالنا؟

إن السؤال لا يجب أن يكون بهذه الصورة وإنما يجب أن تقول : ان كل الصفات الفاضلة مطلوبة ، ولا غنى عن واحد منها ، وكل أضدادها مرفوضة ولا يجب أن تقبل واحداً منها .

فالسخاء والرفق واللين والشجاعة والعفو الحياة والتواضـع والخوف من الله ، والعزة والوقار والعدالة وحب الآخرين والعفة والصدق والأخلاق الفاضلة كلها أمور مطلوبة يجب الاهتمام بترسيخها في نفس الطفل ، وكذلك الجبن والعنف والخوف من غير الله أو الخوف الزائد والوقاحة والتكبر والغرور والظلم وكثرة الهزل والكذب والخيانة والغيبة والنميمة والحسد وإيذاء الآخرين والشتم والاستهزاء بالآخرين والنفاق . . إلى غير ذلك من الصفات والأخلاق الذميمة كلها صفات يجب الاهتمام بحماية الطفل من اكتسابها من أي جهة يمكن أن تؤثر به من داخل البيت أو من خارجه دون علم والديه كالأطفـال الآخرين أو المدرسة أو المجتمع . . الخ .

وفي الحقيقة يصعب أن نرجح صفة دون أخرى في مقدار أهميتها ، إذ أن كل صفة حسنة أو سيئة مما ذكرنا سالفاً أو غيرها صفات لها أهمية كبرى في التأثير على الطفل سلباً أو ايجاباً ، لكننا في هذه العجالة لا يمكننا أن ندرس كل هذه الصفات وسنقتصر على ذكر بعضها على سبيل الأهمية والمثال إن صح التعبير . . تاركين للأب المربي الاهتمام بدراسة بقية الصفات ، ومعرفة كيفية ترسيخها ، أو دفعها عن الطفل بالأساليب الصحيحة والعلمية الواعية .

الطفل بين الثقة بالنفس وعقدة النقص

لقد ذكرنا في الصفحات السابقة أهمية غمر الطفل بالحب والحنان منذ لحظاته الأولى ، وأهمية احترامه وتكريمه كي تصبح نفسه رطبة طرية لتقبل زرع كل الصفات المرغوبة في نفسه بسهولة ويسر ، وحتى لا ينجرف لأي تيار آخر مشوب قد يؤثر فيه ويلتصق به ، ظنا منه بأنه هو الملاذ المنشود لنيل الحنان والاحترام ، خاصة الفتيات الفاقدي الحنان قد يستجيبون لأي كلمة معسولة أو نغمة ناعمة ، ويعتبرونها هي النجاة وهي السعادة المفقودة ، ومع غياب الوازع الديني قد تترتب مشاكل عويصة ونتائج خطرة دون وعي الأهل وغفلة من الوالدين ، فيجب اشباع الفتيات بالحب والحنان ، وتعميق الوازع الديني في نفوسهم لحمايتهم من أي ميكروب ممكن ان يهاجمهم ، وقد ورد تقديم الفتيات على الصبيان في بعض الأحاديث .

ومن الصفات التي يحتاجها الانسان في حياته ليواجه بها مصاعب الحياة وتقبل المسؤولية هي شعوره بالثقة بالنفس ، وهي حالة قد لا تعتمد اعتماداً كلياً على القدرة والمعرفة ، انها حالة اقتناع القدرة والكفاءة داخل النفس ، وهي بحاجة لزرعها في نفس الانسان منذ طفولته فتكون ملكة من ملكاته يقويها بالعلم والتجارب ، فكم من الناس لديهم القدرة والعلم والخبرة لكنهم يفتقرون الى

الثقة بالنفس الى جانب اناس واثقين بأنفسهم رغم ضعف قدرتهم وامكاناتهم ، قد تجد عالماً أو دكتوراً قمة في العلم ولكنه يكون غير قادر على الخطابة الارتجالية امام حشد هائل من الناس ، وقد تجد صبياً واثقاً من نفسه ويخطب في جمع كبير بخطبة متواضعة وكأنه يكلم صديقاً له .

يذكر انه غضب عبد الملك بن مروان على عباد بن اسلم البكري يوماً ، فكتب له واليه على الحجاج بن يوسف الثقفي بأن يقتله ويبعث برأسه الى الشام ، فأرسل الحجاج الى عباد يطلب حضوره لتنفيذ امر عبد الملك بشأنه ، لقد تألم عباد من الخبر وأقسم على الحجاج في ان يتخلى عن قتله لأنه يعيل ٢٤ امرأة وطفلاً ، فتأبى الحجاج وأمر باحضار عائلته الى دار الامارة ، وعندما حضروا بدأوا بالبكاء والعويل . . لكن هذا البكاء لم يرد الحجاج عن تنفيذ امر الخليفة . . وفجأة قامت طفلة صغيرة من بينهم كانت ابنة لعباد وقالت : يا أمير اسمع ما أقول : وانشدت :

أحجاج ، إما ان تمن بتركه
علينا وإما ان تقتلنا معا
أحجاج ، لا تفجع به ان قتلته
ثمانا وعشرا واثنتين واربعا
أحجاج ، لا تترك علة بناته
وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

إن ثقة هذه الطفلة بنفسها وجرأتها هي التي أنقذتها وأهلها من هلاك محتوم .

ان كثير من الآباء والمربين يعدمون الثقة في نفس الطفل من خلال تربيته الخاطئة ، اننا كثير ما نسمع هذه العبارات موجهة من الأب لطفله : « أنت لا تعرف شيء . انت غبي ، انت جاهل ، لا ينبغي ان تفعل هذا بنفسك » ويقوم

الأب بعمل كثير من الأشياء التي يجب ان يؤديها الطفل بنفسه ظناً منه بأنه يخدمه ، كأن يحل له واجباته المدرسية أو لا يترك له فرصة تركيب بعض اللعب ويقوم هو بتركيبها له ، وقد يستمر بهذا الأسلوب معه الى ما بعد مرحلة المراهقة ليفقده القدرة على مواجهة أي ظروف مهما كان بسيطاً أو تافهاً معه ـ تافها أي يصبح اتكاليا او مصابا بشللية القدرة ان صح التعبير ـ .

ينقل ان رجلاً يهودياً كان يهوى تربية الفراشات ، وقد تأثر من الصعوبات التي تواجهها الفراشات عند خروجها من شرانقها ، فدفعه الحنان الخاطىء يوما الى شق الشرنقة بأظافره لتستطيع ان تخرج منها دون كفاح ، لكن الغريب ان الفراشة لم تستطع بعد ذلك ان تستخدم أجنحتها على الاطلاق ، والسبب انها لم تكافح من أجل شق الشرنقة في بداية حياتها مما أحدث خللاً في نمو أجهزتها وتدريب القدرات لديها[1] .

ان هذا الأب الذي يؤدي عن طفله كثيراً من الأعمال ولا يفسح له الفرصة لاثبات قدرته يجعل الطفل يرى نفسه غير جدير بعمل اي شيء ويرسخ هذا المعنى في نفسه ، حتى يقتنع الطفل في قرارة نفسه انه لا يمكن أن يصدر منه اي عمل مفيد ، انه يشعر انه انسان تافه حقير لا قيمة لوجوده هو وعدمه سيان ، ويعتبر نفسه طفلاً حتى بعد سن العشرين ان هذا الاحساس هو البداية لترسيخ عقدة النقص في نفس الطفل لتلازمه طوال حياته ، وتجعله يرى ان كل الآخرين هم اناس افضل منه ، لذا يجب ان يقلدهم في كل تصرفاته ، ويلهث وراءهم ليتكفف انجازاتهم ، وبذلك تقتل بذور الابداع عنده في مهدها .

ان كثيرا من شباب مجتمعنا يعانون من عقدة نقص حادة ، فتجدهم يهابون الإقدام على اي عمل مفيد مبررين ذلك بالحياء ، لكنه ليس كذلك ،

---

(١) كيف تسعد الحياة الزوجية : ص١٠٩ .

فهو خوف شديد من الاقدام على عمل ينتهي بالفشل ويؤدي الى ازدراء الآخرين ولومهم إياه ، لهذا فهو يفضل دائما عدم الاقدام على اي عمل ويتجنب الاختلاط بالآخرين ، ويخشى حتى من الكلام أمام اناس لا يعرفهم خشية ان تصدر منه هفوة في الكلام فيتعرض للسخرية دون مبرر لذلك .

ان عدم اعطاء الطفل ثقته بنفسه منذ البداية قد تكون امرا عادياً لدى الآباء لكن خطورته تكمن في ان تتحول عدم الثقة بالنفس الى عقدة النقص بشكل حاد كمرض مزمن مستقر في اعمق شعوره يصاحبه طوال حياته ، ويؤثر على أدائه وعطائه وسعادته حتى الممات .

منشأ عقدة النقص :

ان عقدة النقص يمكن ان تصيب الانسان نتيجة لعدة اسباب نذكر منها

١ ـ الأطفال المدللون :

الأفراد الذين يلاقون دلالاً وحناناً مفرطاً من قبل الوالدين بحيث لا يرفضون لهم طلبا ، ويحاولون ان يقدموا لهم كل مساعدة صغيرة كانت أم كبيرة ، احتاج لها ام لم يحتج لها ، ويفهمونهم انهم احسن من كل الأطفال الآخرين « انت افضل طفل ، انت اجمل طفل ، لا يوجد اذكى منك » وحتى انهم يسمحون لهم بإيذاء الآخرين دون عقابهم ، أو قد يفتخر الأب ان ابنه استطاع ان يضرب الأطفال الآخرين ، ويذكر ذلك مفتخراً واذا اصيب ابنه بأدنى اذى طبيعي كأن يسقط على الأرض أو يتعرض لوعكة بسيطة فانه يهول الأمر ، ويقيم الدنيا ويقعدها ، ويريد كل افراد البيت ان يكونوا خدما لهذا الطفل ، ويسمحوا له بأن يتأمر عليهم ويشتمهم دون ان يعترض عليه .

نعم كل هذا يحدث بكثرة في مجتمعنا وهي مناظر تكاد تكون يومية :

أحد الآباء انفجر ضاحكاً عندما سمع ان ابنه ذو الأربع سنوات عندما دخل حجرة الضيوف فوجىء بأنه لم يعرفهم فبصق في وجه كل واحد منهم فرداً فرداً ثم انصرف بعد ذلك من الغرفة ، والأغرب من ذلك ان الأب أخذ يروي هذه القصة على سبيل النكتة وظرافة ابنه المدلل القوي .

ان الطفل الذي لا يسمع من أبويه كلمة اعتراض على ما يفعل وما يطلب سوف لا يتحمل الصدمة عندما يجد ان المجتمع يواجه تصرفاته بالكراهية والمقت ولا يتجاوب معه مدحا أو تلبية ، وسوف يشعر بأنه انسان ناقص غير قادر على جلب انتباه وحب هذا المجتمع ولن يستطيع ، بل سيزداد حقدا على افراد المجتمع وسوف يراه المجتمع تافها مما يرسخ احساسه بالنقص أكثر وأكثر . . ان الآباء الذين يفرطون في تدليل ابنائهم ويريدون ان يفرضوا افضلية ابنائهم على سائر ابناء الآخرين ، انما هم يسعون إلى تحطيم ابنائهم وهم لا يعلمون ، ومن أخطار هذا النوع من التربية هو زرع صفة العجب والغرور في نفس الطفل .

العجب والغرور :

ان العجب والغرور من الأمراض الخطيرة والذميمة ، فالغرور هو اعتقاد الشخص انه على صواب دائما ، وانه افضل من الآخرين ، لذا يجب أن يتعالى عليهم ويخضعون له ، فالمغرور يعيش في عزلة نفسية مظلمة بعيدا عن مجتمعه دون ان يشعر بذلك ، وخصوصا ان كانت هذه الصفة قد وزعت فيه منذ الصغر ، لذا تجد ان الشريعة الاسلامية أولت هذه الصفة اهتماماً بالغاً من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة .

لقد نصح لقمان ابنه قائلاً له :

﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل

مختال فخور ﴾[1] .

﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾[2] .

قال الصادق (ع) : « سن دخله العجب هلك »[3] .

يقول الامام علي (ع) : « رضاء المرء عن نفسه برهان سخافة عقله »[4] .

ويقول : « اياك ان ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك »[5] .

وقال الإمام الهادي (ع) : « من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه »[6] .

ان الطفل الذي كان يحكم لسنين طويلة في محيط اسرته باستبداد ، وكان أبواه مطيعين له بلا قيد أو شرط ينشأ بالطبع معجباً بنفسه ، والطفل الذي كان يسمع المديح والاطراء على شيء لم يفعله ويصور له انه أفضل الأطفال ، فانه ينشأ كذلك معجباً بنفسه ، والطفل الذي لا يطرق سمعه شيء عن التواضع واحترام الآخرين ينشأ ايضا محباً بنفسه ، وبديهي ان شخصاً كهذا اذا خرج للمجتمع سينفر منه الناس ، ويبتعدون عنه ، وينظرون اليه بعين السخط والاحتقار وهذا مما يزرع في نفسه عقدة النقص .

ان على الأب ان يمدح طفله على الأشياء التي يستحق المدح عليها ولا

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٨ .
(٢) سورة فاطر ، الآية : ٨ .
(٣) الكافي : ج٢ ص٣١٣ باب العجب ح٢ .
(٤) غرر الحكم : ص٢٨٨ ح٥٥٢٤ .
(٥) غرر الحكم : ص١٣٥ ح٢٧٣٦ .
(٦) بحار الانوار : ج٧٥ ص٣٦٩ ح٤ .

يفرط في ذلك ، فانه « خير الأمور أوسطها »[1] كما ذكر . . وألا يمدحه اما جمع من الأطفال الآخرين ، وألا يستقبل كل ما يصدر من ابنه خطأ أو صواب بالابتسامة والرضا .

٢ ـ الأطفال المكبوتون

وهم الذين يلاقون ارهاباً من الوالدين ، عنف في الضرب وازدراء للرأي ، واحتقار دائم لأتفه الأسباب فلا يكاد يسمع من والديه كلمة مدح أو إطراء ، بل لا يسمع الاّ الشتم والفحش في القول اسلوباً للكلام معه ، واذا تكلم بكلمة بدون ان يسمح له أو ضايق والده فالصفعة المدوية تأتي على وجهه كلمح البصر أو هي اسرع ، وهذا هيّن اذا عرفنا ان بعض الآباء لا يكاد ان يمر عليه اليوم دون ان يبصق في وجه ابنه ثلاث أو أربع مرات .

إن كثيراً من الأطفال لو تتاح لهم الفرصة لشكلوا نقابة ، وتظاهروا امام أي جهة مسؤولة يطالبون بالخلاص من ظلم آبائهم ، أنا أعرف طفلاً بريئاً طيب القلب يعيش في ظل أب أهوج صرّح لطفل آخر بأنه سينتقم من أبيه شر انتقام اذا كبر ، انه يكره أباه وقد يتمنى موته ، رغم انه يدين له بالطاعة العمياء مع ابتسامة في كل مرة .

ان الآباء الذين يظلمون أبناءهم بالضرب أو بالشتم والاهانة هم اناس ظلمة ، ولو اتيحت لهم الفرصة لظلموا مجتمع بأسره .

قال تعالى **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً﴾**[2] .

---

(١) العوالي : ج١ ص٢٩٦ ح١٩٩ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٨ .

وقال رسول الله (ص) : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه »[1] .

وقال (ص) : « من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي »[2] .

« ليس المؤمن بالطّعان ولا اللعّان ولا الفاحش البذيء »[3] . « شر الناس عند الله يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم »[4] .

إن هذه الأساليب التعسفية في العقاب تغرس بذور عقدة النقص في اعماق شعور الطفل ، وتجعله يرى نفسه انساناً حقيراً لا يساوي جناح بعوضة ، ويشعر وكأن الناس كلهم يحتقرونه كما يفعل أباه .

إن الطفل الذي يخاف من أبيه ليس طفلاً سوياً بل طفلاً معقداً فالأب أقرب الناس للطفل ، ويجب ان يحبه اكثر من أي شخص آخر ، ولا يجب ان يخاف منه بل يجب أن يخاف من عمله ، ويشعر دائما ان العمل السيء هو الذي قد يجر عليه العقاب وليس أبيه الذي يجب ان يراه قدوته الصالحة .

العقاب :

إن موضوع العقاب من المسائل التي تمس موضوع التربية بشكل مهم وحساس ، وهي من المواضيع التي تشغل بال الأب أو المربي كثيرا ، لذا يجب ان نتطرق إليه أينما تطرقنا الى موضوع التربية او الطفل .

لا يفهم مطلقا مما ذكرناه في السطور السابقة ان يترك الطفل دون عقاب

---

(١) الكافي : ج٢ ص٢٣٣ باب المؤمن وعلاماته . . . ح١٢ .
(٢) الكافي . ج٢ ص٣٥١ باب من أذى المسلمين ح٣و٥ .
(٣) كنز العمال : ج١ ص١٤٦ ح٧٢٠ .
(٤) الكافي : ج٢ ص٣٢٦ باب من يتقى شره ح٢

كي لا يصاب بعقدة النقص ، بل قد يؤدي ترك العقاب الى عقدة النقص مستقبلاً .

ولكن النقطة الحساسة والمهمة هي أن العقاب لدى كثير من الآباء قد فقد مفهومه ، أو أصبح غير واضح المفهوم ، او لدى البعض الآخر اصبح عقاب الأطفال انتقاماً كما نسمع كثيراً من بعض الآباء وهم يضربون ابناءهم وعندما يهم أي شخص آخر أن يمنعه يقول : «أتركني اشفي غليلي منه » أي المهم هو الأب ان يطفىء حرارة قلبه ، ويستجيب لفورة غضبه ، وليس الطفل هو الموضوع .

قال رسول الله (ص) : « رحم الله من أعان ولده على بره » قال : قلت : كيف يعينه على بره؟

قال : « يقبل ميسوره ، ويتجاوز عن معسوره ، ولا يرهقه ولا يخرق به »[1] .

لكن للأسف الشديد أن نرى آباء يحطمون فلذات أكبادهم بأيديهم وهم لا يشعرون ، أو قد يشعرون لكنهم لا يعقلون .

ويذكر ان احد الآباء عندما دخل المطبخ وجد ان أرض المطبخ مفروشة بأواني مهشمة وطفله واقف في وسط هذا الحطام فقال له الأب : من الذي كسر كل هذه الأواني؟ فقال الابن : انا . فثار الأب وتلفت حوله فلم يجد سوى خشبة كان بها مسماراً حاداً فتناولها وأخذ يضرب بها طفله على يديه بشكل جنوني . النتيجة ان الطفل قطعت يداه بعد ثلاثة أيام قضاها في المستشفى ، وكانت حياة الطفل تقتضي قطع يده المتسممة ، وعاش الأب فترة كان يتجرع

(١) الكافي : ج٦ ص٥٠ باب بر الأولاد ح٦ .

بها مرارة عمله غصّة بعد غصّة دون أن يعرف ساعته التي هو فيها ليلاً أم نهاراً ، وأتت الكارثة بعد أن جاء الطفل إلى أبيه يوماً وهو يبكي قائلاً لوالده : أبه أعد الي يدي ولن أكسر شيئا بعد ذلك . فلم يحتمل الأب هـذا الموقف فتنـاول مسدسه وأردى نفسه قتيلاً ، وأيتم ابنه بعد ان افقده يديه ، والظريف المبكي أن الطفل قال لأمه : انني لم أكسر الأواني وانما أردت أن ألعب بها كما تلعبون بالكرة ، لكنها لم تكن ترتد اليّ بل كانت تتهشم لوحدها .

تخيّل لو أن الأب كان حكيماً وحاور ابنه محاولاً أن يعرف سبب تصرفه هذا ثم يشرح له بهدوء وحنان الخطأ من الصواب ، ماذا ستكون النتيجة .

ان العقوبات التي يرجح فيها الوسائل العاطفية على الوسائل المادية لها تأثيراً كبيراً مستقلين في ذلك الغرائز النفسية في نفس الطفل كعزته ووجدانـه وعواطفه .

وفي هـذا الصدد يقـول الامام علي (ع) : « ان العـاقـل يتعظ بـالأدب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب »[1] .

وقال رجل شكوت إلى ابي الحسن (ع) ابنا لي قال : « لا تضربه واهجره ولا تطل »[2] .

وهنا لابأس بذكر بعض المسائل الواردة في الرسائل العملية .ـ « إذا لطم على وجه أحد باليد أو بشيء آخر فاحمر وجهه ، فديته مثقال ونصف من الذهب (كل مثقال ١٨ حبة) وإن اخضر لونه فثلاثة مثاقيل وان اسود لونه فستة مثاقيل ، ولئن تغير لون سائر البدن على أثر الضرب ، فاحمر او اخضر او اسود ، فديته

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٣١ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٠١ ص٩٩ .

نصف ما ذكر »[1] .

ـ « اذا ارتكب الصبي احدى المعاصي الكبيرة جاز للولي او المعلم ضربه بمقدار التأديب ما لم يصل الى حدّ الديّة »[2] .

ـ « اذا ضرب صبياً الى حدّ وجوب الديّة كانت الديّة للصبي ، فلو مات فعلى الضارب ان يدفع ديته الى ورثته ولو ضرب الوالد ولده حتى مات كانت ديته لسائر الورثة ، وليس له شيء من الدية » .

إذن فلنحاول ان نضع تعريفا للعقاب في ظل المبادىء الإسلامية والتربوية .

حاول اخي القارىء أن تضع هذا التعريف قبل ان تواصل القراءة ثم أكمل بعد ذلك .

تعريف عقاب الأطفال :

العقاب هو وسيلة تربوية لتوجيه ميول الطفل الخاطئة الى الوجهة الصحيحة دون ان تؤدي إلى إي شيء من النتائج السلبية وتكون مختلفة حسب عمر الطفل ، يحدد ذلك المبادىء الإسلامية والتربوية وتقدير الأب الواعي لتلك المبادىء الحكيم في طبعه ومزاجه .

أو يمكن القول :

ان العقاب هو آخر وسيلة لرد الطفل عن ميوله الخاطئة بعد فشل كل الوسائل الأخرى مثل التوجيه ، النصح ، الترغيب ، الاستدراج . وبشكل لا يؤدي الى نتائج عكسية على نفس الطفل .

---

(١) و(٢) تراجع المسائل العملية .

والعقاب ليس المقصود به الضرب كما يتصور كثير من الآباء والأمهات . . خطأ بل مثلاً يمكن ابداء علامات الغضب على الوجه ، أو الهجران للطفل المعاند أو الكاذب ، أو التجاهل للطفل المغرور ، عدم اعطاء الطفل ما اعتاد من الحلوى للطفل الذي اعتاد اخذ ألعاب الآخرين عنوة . . الخ من هذه الوسائل النفسية ولكن دون مباشرتها إلا بعد النظر إلى الموضوع بتأمل ، ومحاولة تحليل المشكلة ، وتحديد الأسباب لتحديد الأسلوب الناجح دون التخبط في الضغط على الطفل بشكل يجعله لا يستجيب لأي نوع من العقاب فيما بعد .

ولنأخذ مثلاً متعدد الجوانب عن حالة طفل صدر منه خطأ ونريد ان نحلل المشكلة ونعالجها ولنتبع الخطوات التالية :

١ ـ الملاحظة وجمع المعلومات .

٢ ـ تحديد المشكلة وأسبابها .

٣ ـ اختيار العلاج المناسب وتطبيقه وفق نوعين من الدوافع .

مثال : باقر طفل له من العمر ٣ سنوات ، رأته والدته وهو يحمل نظارة أبيه فصرخت في وجهه وطلبت أن يعطيها النظارة ، لكنه رفض وأدار النظارة خلف ظهره ، وعندما همّت ان تأخذها عنوة ألقاها في الأرض فتهشمت النظارة وتهشم زجاجها ، وكاد رأس الطفل أن يتهشم من شدة الضرب الذي تلقاه من أمه ، ثم سقط على الأرض يجهش بالبكاء ، وهذا بالطبع هو الأسلوب الخاطىء في العقاب .

إذا فما هو الأسلوب الصحيح؟؟

الأسلوب الصحيح :

١ ـ جمع المعلومات :

ان على الأم في المثال السابق أن تسأل طفلها لماذا أخذ نظارة أبيه؟ فقد يكون أباه قد قال له سأعطيك النظارة إن فعلت كذا . . أو أنه قد وجد النظارة في غرفته مع ألعابه فظن ان أباه قد اعطاه إياها ، أو قد يكون عثر على النظارة فجاء لأمه ليعطيها النظارة ليحصل على كلمة ثناء . . لكنه عندما رأى غضب أمه عندما شاهدت النظارة بيده قرر أن ينتظر والده ليعطيها له ، أو قد يكون راغب في امتلاك نظارة كأبيه لذا قرر امتلاكها ، فمن خلال هذه الافتراضات يمكن للأم الاستفادة في جمع كثير من المعلومات وتحديد المشكلة .

٢ ـ تحديد المشكلة :

ما هي المشكلة؟ وبطبيعة الحال فإن النظارة ليست هي المشكلة فكونها قد انكسرت فهذا ليس شيئا مهما ، الاّ ان كثير من الآباء أو الأمهات يستجيبون للغضب بسبب الأضرار التي يحدثها الطفل ، إن الامام علي (ع) عندما شعر بغضب في نفسه من تعدي عمرو بن ود عليه لم يقدم على قتله ، وإنما تركه فترة ليهدأ كي يعود فيقتله قربة إلى الله تعالى .

وكذلك في العقاب مع الأطفال فإن كان عفوياً هائجاً كان استجابة لهوى النفس ، وان كان بهدوء وتروي من خلال ترك الموقف فترة وتهدئة الأعصاب ثم التفكير بالعقاب الأنسب فإنه يكون عقاباً للاصلاح وليس لزيادة الدمار ، إذا فتحديد المشكلة أمراً هاماً لتستطيع ان تحدد ما هو العقاب أو العلاج ، فقد يكون نزعة في الطفل الى التمرد والعصيان ، أو قد تكون المشكلة في اسلوب الأم في سؤاله مما اخافه ، لقد فقد السيطرة على عضلات يده وسقطت النظارة منه ، أو نزعة قوية لحب التملك . . . الخ ومن المفروض أن نحاول أن نجد

الأسباب الكامنة إزاء هذه المشكلة .

فإذا افترضنا ان المشكلة هي نزعة في الطفل الى التمرد والعصيان فما هي الأسباب لهذا التمرد والعصيان ، فقد يكون الزائر الجديد أي أخوه الرضيع الذي حاز على انتباه الأبوين دونه ، أو قد يكون كثرة العنف الذي يلاقيه من أبويه فيكون سلوكه هذا انتقاماً لكرامته ، أو يكون سلوكاً خاطئاً موروثاً أو مكتسبا من الأطفال الآخرين .

اما اذا افترضنا ان المشكلة هي محاولة اشباع حاجة التملك فقد تكون الأسباب أن أبويه عادة ما يعطونه الأشياء ويملكونه اياها ثم يأخذونها منه ، أو إنه يرى الأطفال الآخرين يمتلكون اكثر منه ويعيرونه بذلك . . الخ .

أما إذا إفترضنا ان المشكلة هي في خوفه من أمه ، وعدم سيطرته على عضلات يده ، فقد يكون ذلك من كثرة استخدام اسلوب التخويف مع الطفل بشكل خلق لديه عقدة الخوف . . الخ .

٣ ـ اختيار العلاج وفق نوعية الدوافع :

فإذا أخذنا الافتراض الأول وهو نزعة الطفل الى التمرد والعصيان ، ثم اكتشفنا أن إهتمام أبويه بأخيه الصغير هو السبب فإن العلاج مراعاة حـالته ، وعدم إثارته بكثرة العناية بأخيه الصغير أمامه ، وتحاشي تقبيله على مرأى منه مع إظهار العناية به واشعاره بأنه لا زال طفلهم المحبوب .

وأما إذا كان السبب سلوكاً خاطئاً موروثاً أو مكتسباً فإنه يجب ان نستخدم معه عقاباً يناسبه بحيث لا يكون عديم التأثير كأن نحرمه من الحلوى وهي غير محببة إليه تماما ، وعندها يحاول ان يزيد من سلوكه الخاطىء لأنه يشعر أن الحرمان الذي يسعون إليه لا يعتبر ذو أهمية بالنسبة له ، وهو يستطيع أن يقاوم ويصمد ويعتبر ذلك انتصاراً بالنسبة له ، ولا يجب ـ أي العقاب ـ ان يكون حاداً

في تأثيره كأن يحرم الشعور بالأمن فيحبس في غرفة مظلمة في الليل ، أو نحرمه من الطعام ، بل يجب ان يكون العقاب بين هذا وذاك ، أن نحرمه شيئا مهما جدا بالنسبة له ولا يؤدي به الى أضرار بالغة كأن لا يرد عليه أبواه عندما يناديهم أو يلاعبهم كما كان يفعل كل يوم (الهجران) . . . الخ .

ولكن لا يجب الاكثار من ذلك فحالما نجد ان علامات الندم والتوبة الصادقة بدت عليه يجب المبادرة برفع العقاب عنه ، وإلا فإنه قد يضحي بما حرم منه لأنه وجد أن الندم لم يفيد ، والتوبة لم تنفع فلا داعي لهما ، ويستمر بسلوكه الخاطىء وليحدث ما يحدث ، أما بقية الفروض والتساؤلات الأخرى فنتركها للقارىء يتتبعها ليصل إلى نتائج أخرى في مثالنا هذا .

هذا مثال مبسط يمكن أن يشير الى التروي والتفكير في استخدام العقاب المناسب ، وترك اتباع الهوى العفوية في أسلوب العقاب .

الخلاصة :

إذا رأيت أيها الأب رجالا واثقين من أنفسهم ، ناجحين في حياتهم ويرجون النجاح في آخرتهم ، فاعلم أن آباءهم أو مربيهم قد عانوا من أجل هذه النتيجة على الأغلب ، ولتكن هذه عبرة لك .

وإذا رأيت أفراداً يشعرون أن النقص جزءا منهم ، مهزومين في شخصيتهم ، يتخبطون في حياتهم ، لا يعرفون ماذا يعملون ، وينهارون امام الصغائر من المشاكل ، ولا يعرفون معنى النجاح ، فاعلم أن آباءهم أو مربيهم قد ساهموا في هذه النتيجة على الأكثر ، ولتكن هذه عبرة لك .

وليكن صدرك الركن الذي يأوي اليه الأطفال في خوفهم ، وجوعهم ، وحاجتهم ، ولتكن قدوة صالحة لهم موجهاً مسؤولاً عن إنشاء جيل يحمل كل الصفات الايجابية ، خال من كل السلبيات ، أباً مسؤولاً يحب بقدر ، ويغضب

بقدر ، ويعاقب بقدر ، ويمدح بقدر ، ويندم بقدر ، و« شر الآباء من دعاه البر إلى الافراط »[1] كما يقول الامام الباقر (ع) .

فان التسيب في هذه الأمور انما هو دمار للطفل ، وبالتالي دمار جزء من المجتمع القادم .

فليكن طفلك رجلاً واثقاً مسؤولاً رصيناً في شخصيته ، مؤمناً يعرف من أجل ماذا يعيش ، ومن أجل ماذا يحب أن ينفق حياته .

يقول الامام علي (ع) عن كيفية تربية الرسول (ص) : « يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به »[2] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج٣ ص٥٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ .

الطفل والغريزة الجنسية

من الأمور الهامة التي يجب التطرق إليها وبكل وضوح وبحثها بشكل مفصل ودقيق هو موضوع الغريزة الجنسية ، وذلك بتجنب أي مضاعفات قد تحدث للطفل ، وذلك لجهل الأبوين لكيفية التعامل في هذا الجانب ، وكثيرا هم الذين يتجنبون التطرق لمثل هذا الحديث فيما بينهم إما حياءً أو جهلاً بأساسيات هذا الموضوع وأهميته ، في حين ان هذا الجانب من حياة الطفل له اعتماد وأهمية قصوى في مستقبل حياته ، وأي تقصير في التعاليم الواردة بهذا الشأن قد تجر مصائب ومشاكل يصعب حلها فيما بعد .

وأول نقطة يجب ان يضعها المربي في حسبانه هي أن يكبر الطفل وهو يحمل في ميوله وغرائزه الباطنية (العفة الجنسية) بشكل قوي ورصين ليواجه أي عارض انحراف قد يتعرض له في هذا المجتمع الموبوء جنسياً في أغلب مرافقه (المدرسة ، التلفزيون ، المجلات . . . الخ) .

وللأسف الشديد ، نجد أن بعض الآباء لا يتورعون عن التكلم بعبارات بذيئة أمام طفلهم ويرتكبون الأفعال المنافية للعفة أمامه بوقاحة ، فيقودونه الى الميول الخاطئة واللامبالاة والاستهتار منذ الصغر دون ادراك وفهم الى خطورة

هذا الأمر ، وظناً منهم أن ادراك الطفل لا يمكن أن يستوعبه ، وأن ذاكرته لا يمكن ان تحتفظ بما يصدر منهم .

الغريزة الجنسية من الأمور الفطرية الموجودة في نفس الطفل ، لكنها ليس كما قال فرويد بأن الغريزة هي التي تدفع كل تصرفات الطفل وسلوكياته ، كأن يكون التذاذ الطفل بامتصاص ثدي أمه يعود إلى جذور جنسية ، وإنما هذه الغريزة تكون في حالة ضمور تام حتى سن السادسة ، وفيما بين السادسة والثانية عشرة تكون ايضا في حالة ضمور إلّا انها يمكن ان تتأثر إذا تعرضت لمثيرات ، وهنا تكمن الخطورة ، إذ يمكن اعتبار الغريزة الجنسية في هذه الفترة كالحجر الضامر تحت الرماد وأي تحريك للرماد قد يجعل الجمر ظاهرا ، وهذه الحقيقة يعترف بها حتى متبني الفكر الفرويدي .

ولقد عنى الإسلام بهذا الموضوع اعتناءاً بالغاً ، ووضع لنا الأسس والمبادىء التي يمكن ان تكون منهجاً متكاملاً لتنمية العفة والنزاهة في نفس الطفل لينشأ سعيداً بهذه الفضيلة التكاملية ، ويمكن من خلال مجموعة من الأحاديث التي سنوردها أن ندرك هذا المنهج بشكل مبسط وواضح بشرط الالتزام الشديد بها .

١ ـ قال رسول الله (ص) : « الصبي والصبي ، والصبي والصبية ، والصبية والصبية ، يفرق بينهم في المضاجع لعشر سنين »[١] .

٢ ـ وعن الباقر (ع) « يفرق بين الغلمان والنساء في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين »[٢] .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٣ ص٢٧٦ الباب ١٢٨ في الحد الذي إذا بلغه الصبيان ح٥ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص٢٢٣ .

٣ ـ عن ابن عمر قال النبي (ص) : « فرقوا بين أولادكم في المضاجع إذا بلغوا سبع سنين »[١] .

٤ ـ وحديث آخر : « روي أنه يفرق بين الصبيان في المضاجـع لست سنين »[٢] .

٥ ـ وعن الامام موسى بن جعفر قال : قال علي (ع) : « مروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا أبناء سبع سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع إذا كانوا أبناء عشر سنين »[٣] .

٦ ـ قال رسول الله (ص) : « اذا بلغت الجارية ست سنين فلا تقبلها ، والغلام لا تقبله المرأة إذا جاوز سبع سنين »[٤] .

٧ ـ وعن ابي الحسن (ع) : « إذا أتت على الجارية ست سنين لم يجز أن يقبلها رجل ليست هي بمحرم له ، ولا يضمها إليه »[٥] .

٨ ـ وعن الامام الصادق (ع) : « إذا بلغت الجارية ست سنين فلا ينبغي لك ان تقبلها »[٦] .

٩ ـ وعنه (ع) : « سأل أحمد بن النعمان ، فقال : عندي جويرية ليس بيني وبينها رحم ولها ست سنين .

---

(١) مكارم الاخلاق : ص٢٢٣ .
(٢) من لا يحضره الفقيه : ج٣ ص٢٧٦ الباب ١٢٨ في الحد الذي اذا بلغه الصبيان . . . ح٤ .
(٣) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٥٥٨ الباب ٩٨ من ابواب مقدمات النكاح ح٢ .
(٤) مكارم الأخلاق : ص٢٢٣ .
(٥) الوسائل : ج١٤ ص١٧٠ الباب١٢٧ من ابواب مقدمات النكاح ح٦ .
(٦) الوسائل : ج١٤ ص١٧١ الباب١٢٧ من ابواب مقدمات النكاح ح٧ .

قال : فلا تضعها في حجرك ولا تقبلها »[1] .

١٠ ـ قال علي (ع) : « مباشرة المرأة ابنتها إذا بلغت ست سنين شعبة من الزنا »[2] .

والمقصود من المباشرة هنا مسّ عضوها الخاص .

ويقول القرآن الكريم : **﴿يا أيها الذين آمنوا ، ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ﴾**[3] .

قال رسول الله (ص) : « والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح أبدا ، إن كان غلاماً كان زانياً أو جارية كانت زانية »[4] .

وعن الامام الصادق (ع) : « لا يجامع الرجل إمرأته ولا جاريته وفي البيت صبي ، فإنه ذلك مما يورث الزنا »[5] .

وعن الامام الباقر (ع) : « إياك والجماع حيث يراك صبي يحسن أن يصف حالك »[6] .

إن أي مخالفة لهذه النصوص الواردة يمكن أن تؤدي الى نضوج مبكر

---

(١) مكارم الأخلاق : ص٢٢٣ .
(٢) مكارم الأخلاق : ص٢٢٣ . ·
(٣) سورة النور ، الآية٥٨ .
(٤) الوسائل : ج١٤ ص٩٤ الباب ٦٧ من ابواب مقدمات النكاح ح٢ .
(٥) الوسائل ج١٤ ص٩٤ الباب٦٧ من ابواب مقدمات النكاح ح١ وص٩٥ ح٧ .
(٦) الوسائل : ج١٤ ص٩٥ الباب ٦٧ من ابواب مقدمات النكاح ح٨ .

لهذه الغريزة ، وبالتالي سوف يقع الأبوان في دوامة أسئلة من الطفل حول هذا الموضوع ، والتي قلّما يستطيع الأبوان ان يخرجا من هذا المأزق بشكل جيد .

وفي حالة كهذه أو في حالات مشابهة كأن يرى الأبوان بعض التصرفات من أطفالهما تشير إلى إنتباههم الى هذه الأمور ، كأن يعبث الطفل بعضوه أو ما شابه ذلك ، ففي هذه الحالة على الأب مع الصبي أو الأم مع الفتاة ان تتصرف بحكمة ، فلا ينبغي ارهاب الطفل بشكل يجعله اكثر إثارة تجاه هذا الشيء بحيث ينشد تجاه الممنوع ودون أن يشعر والديه في المرات الأخرى ، فعلى الأب ان يتصرف معه دون اشعاره بأنه قام بعمل فادح مما قد يزرع بذور عقدة النقص في نفسه ، بل يجب ان يكلما الطفل بكل هدوء ، ويحاولان ان يشعراه بعدم أهمية الموضوع ، ونهيه بشكل رقيق ، وتعريضه لمؤثرات اخرى بحيث تشد انتباهه عن الموضوع سالف الذكر .

والخطوة التالية هي أن يخضع الوالدان هذا الطفل لمراقبة شديدة لمعرفة إن كان هناك أي مضاعفات أخرى لم يعلما بها دون اشعاره بهذه المراقبة ايضا .

وهنا يجدر الاشارة الى نقطة هامة في هذا الموضوع ، وهو أنّ كثيرا من الآباء والأمهات يصارحون أبناءهم وبناتهم بكل شيء حول الأمور الجنسية ، ولربما وصل الحدّ الى درجة شرح تفاصيل العملية الجنسية ، يفعلون ذلك باسم العلم والثقافة ، والغريب انك تسمع من هؤلاء الآباء تأكيدا على وجوب شرح هذه الأمور للأطفال اثناء البلوغ ، ولربما وجدت هذه المعلومات مفصلة في المكتبة المدرسية في عمر مبكر .

والحقيقة ان هذه الفكرة خطأ فاحش ، إذ أن البالغ يكون خياله في قمة نشاطه في هذه الفترة ، وهنا تكمن الخطورة إذ قد يستحوذ هذا الجانب على

خياله فيشده الى التفكير في هذه الأمور دون الأمور الأخرى ، ويكون قد وقع في خطر الانحراف مع وجود المؤثرات وتأخر الزواج في عصرنا الحاضر ، والخطر الثاني التأثير على مستقبله العلمي والفكري .

إن الحديث بصراحة في هذه الأمور لا يجب أن يكون إلا قبيل الزواج بفترة بسيطة جداً ، إذ أن الاسلام يحافظ على سلامة الخيال من أي شائبة قد تؤثر سلبياً على صاحبها ، وقد جاء في الحديث : « لا تعلموا نساءكم سورة يوسف وعلموهن سورة النور »[1] .

أيها الأب المؤمن . . .

أيتها الأم المؤمنة . . .

* ان الطفل مخلوق ضعيف وقد جعل الله امره بيدك تتصرف معه كيفما تشاء وانت المسؤول عنه بدقة ﴿**ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها**﴾[2] فلا تظلمه ، ولا تؤذيه فهو كبدك الذي يمشي على الأرض ، وانسان صغير محتاج لك ويرجو فضلك ، ويرى انك الذي ترزقه كما جاء بالحديث ، ولا ملجأ له غيرك فانظر كيف تكون معه .

إن طفلك منسوب إليك ، وهو جزء منك ، وسيحمل اسمك في المجتمع ، فكيف تريد ان تراه؟ وطبقا لما تتمناه تستطيع ان تضعه ، واعلم ان صيرورة الطفل تحت يديك فتنة وبلاء ومسؤولية ، فانظر كيف ستجتازها .

ضع نفسك مكان الطفل ، وتأمل كيف تريد ان تكون حياتك منذ بدايتها ، وكيف تود ان يعاملك أبواك ، واعمل على هذا الأساس .

---

(١) الكافي : ج٥ ص٥١٦ باب تأديب النساء ح٢ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

وأخيرا اعرف ان هذا الطفل الذي بين يديك سيعكس شخصيتك وايمانك وفكرك لله وللناس .

فما تستطيع أن تنتجه في تربيتك لطفلك تكون قيمتك . وكما قال الامام علي (ع) : « قيمة كل امرء ما يحسنه »[1] .

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٨١ .

تزلزل العلاقة بين الزوجين ..
نهاية الأسرة

المقدمة

إن الزواج وتكوين الأسرة من المسائل المهمة في حياة الانسان ، فقد كان ولا يـزال مادة للبحث والنقـاش بين المفكرين من علمـاء التـربيـة والفلسفـة والمشرعين باختلاف عقائدهم ، وأهم ما يبحث في هذا الجانب هو حقوق أفراد الأسرة وأسس العلاقات بين أفرادها والمشاكل التي تعترض تكوين الأسرة .

إن وجود الأسرة ضرورة يثبتها العقل والشرع ، وبدونها لا يكون للحياة الاجتماعية شكل أو معنى ، والدراسات تثبت أن محاولات بعض المـاديين ـ كأصحاب نظريات الشيوعية الجنسيـة وغيرهـا ـ بطرح آراء تقلل من ضـرورة الأسرة وتقلل من البناء الأسري ، كان خطأً فاحشاً وخيانة عظمى للانسانية حيث أصابت المجتمع بالهزات والمصائب والخراب[1] .

ففي المجتمعات الغربية والحضارة الجديدة عامة قد اختلط الصالح مع الطالح ، والأفكار السليمة مع الخاطئة حتى أصبح الحق باطلاً والباطل حقاً، وبسبب هـذه التنـاقضـات حـدثت ردود فعـل متبـاينـة عنـد النـاس في تلك المجتمعـات ، فالبعض مثـلاً ضرب عـرض الحائط بـأي نوع من العـلاقات

---

(١) نظريات الشيوعية الجنسية وغيرها .

الأسرية ، وطرح فكرة الاباحية اللامحدودة كبديل للأسرة وتكونت روابط كثيرة غير مشروعة .

ولم تستطع النهضة الثقافية أن تحل مشكلة العلاقات والروابط بين الناس ، بل إن الأسرة في عالمنا اليوم تزلزلت تزلزلاً شديداً في علاقات أفرادها سلبتها الثبات والهدوء ، مما أدى بها إلى أن تكون العلاقات سطحية وهشّة ، لذلك نرى كثرة الطلاق وهدم الأسرة ، وبعكس تلك القوانين فقد اختار الله للبشرية الدين الاسلامي كمنهج للحياة وأنزل القوانين والمبادىء التي تنظم الأسرة وتحفظها من الأهواء ولم يترك أي جانب يعتريه الخلل أو النقص ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾[١] .

وعن الرسول الأكرم هذا الحديث الذي يقول فيه : « ما بني في الاسلام بناء أحب إلى من التزويج » .

وقال (ص) : « ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عزّ وجلّ ، وأعز من التزويج »[٢] .

كيف ينظر الاسلام للزواج :

ينظر الاسلام للأسرة على أنها جماعة أو اجتماع مكون من أفراد ذوي شخصية مدنية وحقوقية معنوية ، وقال الرسول (ص) : « أعظم الناس حقا على المرأة زوجها وأعظم الناس حقا على الرجل أمه »[٣] .

إن البنية الأساسية للأسرة تتكون من الزواج ، والنكاح عقد على أساسه تتكون الروابط الزوجية والتي من أثرها يصبح للطرفين وظائف وحقوق وعليهم

---

(١) سورة النور ، الآية : ٣٢ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص١٩٦ .

(٣) كنز العمال : ج١٦ ص٣٣١ ح٤٤٧٧١ .

واجبات والتزامات .

والزوجين يمثلان اللبنة المهمة والأساسية التي بهما تتكون الأسرة ، وهما الوحدة التي يرتكز عليها استمرار الأسرة منذ عقود الزواج[1] .

ففي البداية يكون الزوجـان وحيدين ومن ثم يـأتي الأبناء ليكملوا بنـاء الأسرة ، وفي النهاية وعندما يكبر الأبناء ويكونوا أسراً جديدة يخرجوا من إطار الأسرة إلى القاعدة الأساسية ، ويبقى الوالدان مترابطان في إطار احدى الأسر الجديدة للأبناء .

فالزواج هو تكوين اجتماع بين فردين لم يكن لهما أية علاقة ببعضهم في السابق ، وعندما تبدأ هذه العلاقة الجديـدة من البديهي أن يحـدث نوع من الروابط بين الطرفين ، ولكي يكون هذا التجمع (الكيان) راسخاً وثابتاً ، هناك حاجة لقوانين وأسس للتعامل على ضوء العلاقة الجديدة التي حدثت ، حتى يحافظ كل فرد على حقوقه ، ويباشر مهامه بالوجه السليم دون التعـدي على حقوق الطرف الآخر ، والمعروف أن الـروابط بين أعضاء الأسـرة مبنية على أساس التفاني والتراضي ، والاعتماد على الصفات الانسانية النبيلة التي دعى لها الشرع الاسلامي كي تسير سفينة الأسرة في خضم بحر الحياة وتجابه أمواج المشاكل المتلاطمة .

ولنناقش جانبا من هذه العلاقات التي تحكم الأسرة والمشاكل التي يمكن أن تحدث من جراء ذلك وكيفية حلها .

(١) راجع مشاكل العائلة الحديثة في فقه الاجتماع لآية الله الشيرازي .

العلاقة بين الزوجين

١ـ العلاقة بين الزوج والزوجة :

إن الزواج في الإسلام ـ بخلاف كل المدارس الفكرية الأخرى ـ أمر مقدس ، فكل الروايات والأحاديث تركز على ذلك . يقول الرسول (ص) : « ما من شيء أحب إلى الله من بيت يعمر في الاسلام بالنكاح »[١] .

ويقول (ص) : « من أحب فطرتي فليستن بسنتي ، ومن سنتي النكاح »[٢] .

ولهذه العلاقة الجديدة ثمار قيمة وقيم عالية لا تنشأ بدون هذه الرابطة والعلاقة المقدسة ومنها :

١ ـ بالرغم من القيمة السامية للفرد المؤمن في الإسلام كان رجلاً أو امرأة إلا أن عظمة الفرد وقيمته تزداد أضعافاً مع تكوين الروابط الأسرية ، ففي الأسرة يخرج الانسان من إطار الفردية والوحدة إلى الزواج ، الذي هو نوع من التكامل

---

(١) الكافي : ج٥ ص٣٢٨ باب الحض على النكاح ح١ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص١٩٦ .

ورفع لمكانة الرجل والمرأة في نظر الإسلام ، ففي الحديث عن رسول الله (ص) : « لركعتان يصليهما متزوج أفضل من صلاة رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره »[1] .

وفي رواية أخرى عن الصادق (ع) : « ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما أعزب »[2] .

فالزوجية في كل شيء كما يقول الله تعالى : ﴿من شيء خلقنا زوجين﴾[3] تعتبر سنة من سنن الله الفطرية ، وبالزواج يدرك الانسان حقائق لا يدركها وهو فرد ، لأن الزواج نصف الدين كما في الرواية عن الرسول (ص) « من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي »[4] .

وقال (ص) « المتزوج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب »[5] .

وقال (ص) « من تزوج فقد أعطى نصف العبادة »[6] .

٢ ـ ادراك قيمة الوحدة :

يقول الامام الرضا (ع) : « لو لم تكن في المناكحة آية منزلة ولا سنة متبعة ، لكان ما جعل الله فيه من بر القريب وتآلف البعيد ما رغب فيه العاقل

---

(١) مكارم الأخلاق : ص١٩٧ .
(٢) مكارم الأخلاق : ص١٩٧ .
(٣) سورة الذاريات ، الآية . ٤٩ .
(٤) مكارم الأخلاق : ص١٩٦
(٥) جامع الأخبار : ص١٠٦ في التزويج وبحار الانوار : ج١٠٠ ص٢٢١ .
(٦) روضة الواعظين . ص٣٧٥ وبحار الانوار . ج١٠٠ ص٢٢٠ .

اللبيب وسارع اليه الموفق المصيب »[1] .

في ظل العلاقة الجديدة بين الزوج والزوجة يتوصل الطرفان إلى إدراك مفهوم جديد للوحدة والتفاني فانهما وإن كانا اثنين ولكنهما جسدان وروح واحدة .

والوحدة هذه تعلمهما التفاني في سبيل بعضهما البعض في درب الخير والسعادة ، فكل منهما يتعلم من الآخر سبل العيش مع الطرف الآخر كوحدة متجانسة متفقة .

٣ ـ ادراك قيمة الحياة الانسانية :

بسبب هذه العلاقة الجديدة يدركان قيمة أخرى للحياة ، ومعنى آخر للحياة الانسانية وهو معرفة الأهداف السامية والحميدة التي خلق من أجلها الانسان ، فما أكثر التفاهات المقدسة في حياة الكثير من العزاب .

عن علي (ع) قال : « إن جماعة من الصحابة كانوا حرموا على أنفسهم النساء والافطار بالنهار والنوم بالليل فأخبرت أم سلمة رسول الله (ص) فخرج إلى أصحابه فقال :

أترغبون عن النساء ، إني آتي النساء ، وآكل بالنهار ، وأنام بالليل ، فمن رغب عن سنتي فليس مني وأنزلَ الله **﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا انّ الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾**[2] .

فقالوا : يا رسول الله إنا قد حلفنا على ذلك :

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٠ ص٢٦٤ ومكارم الاخلاق : ص٢٠٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٨٧ ـ ٨٨ .

فأنزل الله : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم﴾ إلى قوله . . ﴿ذلك كفارة أيمانكم﴾[1] [2] .

٤ ـ ارتقاء قيمة العبادات :

بالزواج ترتقي قيمة العبادات وتسمو روحياً فقد قال رسول الله (ص) : « من تزوج أحرز نصف دينه »[3] .

ويعتبر الاسلام الزواج بحد ذاته عبادة قال رسول الله (ص) : « من تزوج فقد أعطى نصف العبادة »[4] .

٥ ـ النكاح يزيد في الرزق :

﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم واماثكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[5] .

وعن الرسول (ص) : « اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم »[6] .

وعنه (ص) : « حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله »[7] .

هذه بعض القيم التي يدركها الانسان المتزوج في ضوء العلاقة الجديدة ، وهذا ما نرجوه لكل مسلم ومؤمن بالله ـ ولكن تجري الرياح بما لا

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٩ .
(٢) الوسائل : ج١٤ ص٨ الباب ٢ من ابواب مقدمات النكاح ح٩ .
(٣) الكافي : ج٥ ص٣٢٨ باب كراهة العزبة ح٢ .
(٤) روضة الواعظين : ص٣٧٥ وبحار الأنوار : ج١٠٠ ص٢٢٠ .
(٥) سورة النور ، الآية : ٣٢ .
(٦) قرب الاسناد : ص١١ وبحار الانوار : ج١٠٠ ص٢١٧ ح١ .
(٧) كنز العمال : ج١٦ ص٢٧٦ ح٤٤٤٤٣ .

تشتهي السفن ـ فما زلنا نـلاحظ في مجتمعاتنـا الحاضـرة أن معظم الـروابط الأسرية ليست على أسس متينة ، ولم تؤد العلاقات الجديدة أهدافها ، بل كثيراً ما كان الطلاق وفسخ تلك العلاقة المقدسة نهاية للمشاكل التي تعترض مسار الأسرة .

أسباب تزلزل العلاقات بين الزوج والزوجة

أولا : الأسباب الفكرية والأيديولوجية :

التقــارب العقــائــدي مــطلب أســاسي ومهم للزواج في الإســلام ، والاختلافات العقائدية من العوامل المهمة لتضارب العلاقات . والسبب في هذا واضح ، فالتعايش بين نظريتين متباينتين غير ممكن ، كعدم اجتماع الأضداد ، فمن المفـروض على المسلم أن يسير حياته ويؤدي أعمـاله حسب المنهج الاسلامي ، ومن جهة أخرى ، الطرف الآخر كذلك يريـد تطبيق عقيـدته في الحياة فيما يتعلق بالعلاقة بينهما وبين الزوج ، ولا مرد فإن هذا الاختلاف في منهج التطبيق يؤدي إلى التضارب بين الرأيين والمشاحنة .

أما إذا رأيت أحدا قد استطاع الانسجام مع زوجته التي تختلف معه في العقيدة فاعلم بأنه قد قدم تنـازلات في فكره وعقيـدته ، ونقـول هذا لشبـابنا المسلم الذي تقتضيه الضرورة أن يسافر إلى الخارج لتقصي العلم ، ويحاول هناك أن يكوّن علاقات أسرية ، فكم رأينا من هؤلاء الذين قرروا الزواج من إمرأة ليست من عقيدتهم ، كيف ان هـذه العلاقـة لم تستمر وكـانت نهايتهـا المشاحنة والفراق .

لقد كانت آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون مثالاً للنساء ولكل المؤمنين في مدى تمسك المرأة بعقيدتها وهي زوجة لأكبر طاغية في زمانه ، والقرآن يذكر لنا هذا النموذج ليكون قدوة لنا حتى لا يكون الزواج على حساب العقيدة والتنازل عن المبدأ ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله ونجّني من القوم الظالمين﴾[١] .

والواقع إن التباين العقائدي لا يؤدي فقط إلى تزلزل العلاقة ، بل ان التفاوت في مدى التمسك بالعقيدة قد يكون سببا لسوء العلاقات بين الزوجين ، فمن الممكن أن يكون الزوج ممن يتعامل مع زوجته على خلاف المنهج الاسلامي ضارباً بقوانين الاسلام عرض الحائط ، فتارة يدعوها للخروج معه للزيارات المختلطة مع أصدقائه وأهله ، وتارة يمنعها من التمسك بحدود الاسلام من لبس الحجاب وزيارة المساجد والأماكن المقدسة ، ففي الأثر روي أن رجلاً جاء إلى الحسين (ع) يستشيره في تزويج ابنته فقال : « زوجها من رجل تقي فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها »[٢] .

فكثيراً ما شاهدنا في الآونة الأخيرة أن الزوجة تريد أن تتحجب ولكن الزوج يمنعها من ذلك ، وفي رواية عن أم سلمة قالت : كنت عند النبي (ص) وعنده ميمونة فأقبل ابن مكتوم الأعمى وذلك بعد أن أمر بالحجاب ، فقال : « احتجبا » .

فقلنا : يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا .

فقال (ص) : « أفعميان أنتما ألستما تبصرانه »[٣] .

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ١١ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص٢٠٤ .

(٣) مكارم الأخلاق : ص٢٣٣ .

فتقع الزوجة بين نارين نار معصية الله ، ونار عدم طاعة الزوج ، وتبدأ بالتخوف على دينها ، ويؤدي ذلك إلى المشاحنات والمشاجرات المستعرة والعكس كذلك قد يكون صحيحاً وذلك بأن يكون الزوج مؤمناً متمسكاً بعقيدته ملتزماً لحدود الله أما الزوجة فيكون فهمها سطحياً للدين ولا تتمسك بقيم الاسلام سواءا العبادية منها أو السلوكية ، فالتباين العقائدي يلعب دوراً رئيسياً في الخلافات وسوء العلاقة بين الزوجين .

ثانياً : نماذج أو صور من سوء المعاملة بين الطرفين :

أ ـ حب الذات وتحقير الغير :

عند التدقيق في أسباب الخلافات في الأسرة نرى حب الذات وتحقير الغير يلعبان دوراً أساسياً في ذلك ، فالزوج مثلاً يتعامل مع زوجته وكأنها خلقت لخدمته والترفيه عنه فهي والخادمة في البيت سواء ، ولا يتعامل معها كإنسانة تساويه في المشاعر والأحاسيس بل يرى نفسه أفضل منها .

ويزداد الوضع سوءا إذا كان هناك تبايناً علمياً أو مالياً أو عرقياً بجانب الجهل ، فلا يرى هذه الأفضلية نعمة من الله وأنه لا يعني كونه أفضل منها ، ولا يسعى لتصحيح الفارق أو تقليله ، بل يستغله لفرض سيطرته وتسيير دفة الأسرة لمصلحته الذاتية بدون اعطاء أي قيمة للطرف الآخر .

وهذا بالطبع يؤدي إلى إحساس الزوجة بأنها مجرد قطعة أثاث ، أو آلة ليس لها أي دور في الأسرة سوى الغسل والطبخ وخدمة الزوج بحيث يجب أن تتعامل معه كالسيد المترأس ، فإن قالت أو أبدت رأيها في شيء أسكتها ، وأفهمها أن هذا ليس من شأنها وأنها لا تفهم في هذه الأمور ، وبهذا تفقد دورها في الأسرة مما يعني عدم مقدرتها على أداء واجباتها كتربية الأطفال والمعاشرة المثلى .

فهل يتوقع من هذه المرأة أن تربي جيلاً متّسماً بمتانة الشخصية ، وقوة الارادة والثقة بالنفس ، بالطبع كلا لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

عن الرسول (ص) : « ألا وان الله ورسوله بريئان من المختلعات بغير حق ، ألا وان الله عزّ وجلّ ورسوله بريئان ممن أضرّ بأمرأة حتى تختلع منه »[1] .

ويقول الامام علي (ع) : « لا يكن أهلك أشقى الخلق بك »[2] .

أما إذا كان التعالي من قبل الزوجة بحيث ترى نفسها أفضل من زوجها عرقياً أو غيره فالمصيبة أكبر ، لأن رد فعل الزوج يكون أقوى ، وبه تفقد الأسرة قائدها ومعيلها .

قال الامام الصادق (ع) : « ملعونه ملعونة إمرأة تؤذي زوجها وتغمه وسعيدة سعيدة إمرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع الأحوال »[3] .

وقال رسول الله (ص) : « لا تؤدي المرأة حق الله حتى تؤدي حق زوجها »[4] .

بينما الاسلام يؤكد على أن الرجل والمرأة سواء في قاموس الرسالة ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**﴾[5] وفي آية أخرى ﴿**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون**

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٣ ص٣٦٦ .
(٢) بحار الانوار : ج٧٤ ص٢٢٩ .
(٣) بحار الانوار : ج١٠٠ ص٢٥٢ ح٥٥ .
(٤) مكارم الاخلاق : ص٢١٥ .
(٥) سورة النحل ، الآية : ٩٧ .

الجنة﴾[1] .

فلا مجال للتفاضل بين الزوجين سواءا بالحسب ، أو النسب ، أو المستوى الاجتماعي ، أو الاقتصادي ، لأن الاسلام ينسف جميع هذه المقاييس البالية التي أصبحت عثرة تعيق بناء تكوين الأسرة الفاضلة أو لا أقل تعرقل استمراريتها . . .

فهذا قدوتنا رسول الله (ص) يقول : « أنكحت زيد بن حارثة بنت جحش وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ليعلموا أن أشرف الشرف الإسلام »[2] .

وقال أبو جعفر (ع) : « إن رجلاً كان من أهل اليمامة يقال له جويبر أتى رسول الله (ص) منتجعاً للإسلام فأسلم وحسن اسلامه ، وكان رجلاً قصيراً دميماً محتاجاً عارياً ، . . . . وان رسول الله (ص) نظر إلى جويبر ذات يوم برحمة منه له ورقة عليه فقال له : يا جويبر لو تزوجت إمرأة فعففت بها فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك .

فقال له جويبر : يا رسول الله بأبي أنت وأمي من يرغب فيّ فوالله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال ، فأية إمرأة ترغب فيّ؟

فقال له رسول الله (ص) : يا جويبر إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً ، وشرّف بالإسلام من كان في الجاهلية وضيعاً ، وأعزّ بالاسلام من كان في الجاهلية ذليلاً ، وأذهب بالاسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها ، فالناس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم

(١) سورة النساء ، الآية : ١٢٤ .
(٢) مكارم الأخلاق : ص٢٠٧

وقرشيّهم وعربيّهم وعجميّهم من آدم ، وإن آدم خلقه الله من طين ، وأن أحب الناس إلى الله أطوعهم له وأتقاهم ، وما أعلم يا جويبر لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً إلا لمن كان أتقى لله منك وأطوع ، ثم قال له : انطلق يا جويبر إلى زياد بن لبيد فإنه من أشرف بني بياضة حسبا فيهم ، فقل له : إني رسول رسول الله (ص) إليك ، وهو يقول لك زوّج جويبراً إبنتك (الذُلفاء » .

وفيه أنه زوجه إياها بعدما راجع النبي (ص) ، فقال له : « يا زياد جويبر مؤمن ، والمؤمن كفؤ المؤمنة ، والمسلم كفؤ المسلمة فزوجه زياد ولا ترغب عنه »[1] .

ب ـ استعمال السلطة في العلاقات :

في وقتنا الحاضر نرى أن كثيرا من الأزواج يؤمنون بفكرة السيطرة والتسلط الفردي على الأسرة ، فكل منهما يعمل على أن تكون دفة القيادة بيده ، وأن يكون الآخر أسير قيد أوامره وسلطته ، فالزوجة مثلا تحاول أن تسيطر على زوجها وتقوده وفقاً لرأيها ، وتفتخر في المجتمع أن زوجها مطيع لها كالخاتم في أصبعها تديره كيفما تشاء ، وهي لا تعلم أن هذا التسلط سيكون نتيجته وبالاً عليها ، وأن هذا الزوج الذي فقد شخصيته سوف يثور عليها يوماً ما ، وتكون ثورته عارمة حتى وإن سكت بادىء الأمر ، ولقد قال الرسول (ص) عن هذه المرأة : « إن شر نسائكم الذليلة في أهلها العزيزة مع بعلها »[2] .

أما الزوج فحب التسلط عنده أقوى ، بل والكثير منهم يصبغه بتبرير شرعي ﴿الرجال قوامون على النساء﴾[3] . وتراه يأمر ويزجر وكأنه على رأس

---

(١) الكافي : ج٥ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ باب ان المؤمن كفو المؤمنة ح١ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص٢٠٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٣٤ .

كتيبة عسكرية وقد يستعمل الضرب (في غير مكانه) وينسى كلمات الامام علي (ع) : « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة »[1] . أما ما يلجأ اليه البعض من القيام بضرب زوجته فهي جريمة لا تغتفر إذا كانت مع إمرأة ناضجة عاقلة ، أما الضرب البسيط غير الموجع قد يكون علاجاً لحالة معينة حددها الاسلام بضوابط وشروط ، أما بشكل عام فهو مخالف لمقاصد الشرع .

يقول الرسول (ص) : « إني أتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها ، لا تضربوا نساءكم بالخشب فإن فيه القصاص »[2] .

وقال رسول الله (ص) : « من أتخذ زوجة فليكرمها »[3] .

وعادة ما يكون هذا انعكاس لضعف شخصية الرجل الذي لا يستطيع التعامل مع زوجته بالحسنى وغير قادر على فرض سيطرته الشرعية بالتفاهم والاستدلال فيحاول كسب هذا الشيء والغلبة بالقوة وهذا ما ينهانا عنه الإمام علي (ع) حيث يقول : « ما ظفر من ظفر بالاثم والغالب بالشر مغلوب »[4] .

جـ ـ اللامبالاة في العلاقات :

التشاور والتفاهم بين الزوجين في إدارة شؤون الأسرة واعتمادهما على بعضهما البعض في أمور الحياة عامل أساسي يساعد على ترسيخ مفهوم الوحدة والتآلف بين الطرفين .

يقول رسول الله (ص) : « إستشر زوجتك ، وإن لم تكن تريد أن تعمل

---

(١) مكارم الأحلاق : ص٢١٨ .
(٢) بحار الأنوار : ج١٠٠ ص٢٤٩ وجامع الأخبار : ص١٦٥ في النساء .
(٣) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٥٥٠ الباب٦٥ من ابواب مقدمات النكاج ح١ .
(٤) مشكاة الأنوار : ص٣٢٥

برأيها »[1] .

من الممكن ألا يكون أحد الزوجين محباً للنفس غير محتقراً للطرف الآخر ، ولكن في نفس الوقت علاقته تكون علاقة لا مبالاة ، وكأنه يعيش لوحده ولا يوجد أحدا بجواره ، فلا يحاول أن يستشير زوجته في حل المشاكل الأسرية وفي الأمور الأخرى كتربية الأولاد ، ويتخذ القرار بشكل فردي ولا يبالي برأي الطرف الآخر أبداً .

قال رسول الله (ص) : « ما زال جبرئيل يوصيني في أمر النساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن »[2] .

وقال الامام الصادق (ع) : « لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي : الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها ، وحسن خلقه معها واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها وتوسعته عليها »[3] . فمن الممكن أن تكون الزوجة على مستوى ثقافي جيد ، وتستطيع مساعدة الزوج في حل المشاكل ، وابداء الرأي ، بيد أنه يلتمس النصيحة والحل من أماكن أخرى .

وهذه النظرة قد تسبب عقدة الحقارة للطرف الآخر وأنه غير مرغوب فيه في الأسرة .

د ـ سوء الظن والغيرة المفرطة :

سوء الظن بين الزوجين يؤدي إلى ضياع الاستقرار العائلي ونتيجة لذلك

---

(١) الصداقة والأصدقاء : ص٥٩٩ .

(٢) العوالي : ج١ ص٢٥٤ ح١٢ .

(٣) تحف العقول : ٢٣٨ .

قد يبدأ الزوجان البحث عن هذا الاستقرار خارج اطار الأسرة ، فيكثر التغيب خارج المنزل ابتعاداً عن المشاكل ، مما يؤدي بالزوجة إلى أن تفسر كل تحرك من الزوج بظن سيء وأنه على علاقة مع امرأة أخرى ، فكلما تأخر يفسر بالسوء وبمجرد أن يتصل بالتلفون شكت في أمره .

أو أن الزوج يفسر كل حركة من زوجته بالشك والريبة وهكذا يبدأ كل واحد منهما يضيق الخناق على الآخر ، فتسوء العلاقات بينهما وتصبح الحياة غير مستساغة وتبدأ المناقشات والمشاحنات في محاولة للدفاع عن النفس ورد الاعتبار .

يقول (ص) : « من الغيرة ، غيرة يبغضها الله ورسوله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة ـ الشك »[1] .

فمثلاً نرى أن زوجاً من فرط غيرته على زوجته يقفل عليها الأبواب عند خروجه من المنزل .

طبعاً الغيرة من الرجال ضرورية في حدود حفظ المرأة ، وصون عرضها ، والمحافظة عليها ، والاهتمام بها .

يقول الرسول (ص) : « إن الله غيور يحب كل غيور ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها »[2] .

إن هذه الغيرة يجب أن تكون في أطر الضوابط الشرعية ولا تكون سببا للخلافات ، فالمطلوب من الزوج ألا يبالغ في البحث عن عيوب زوجته حتى لا يجرح كرامتها ولا يخدش كبريائها ، يقول الحديث الشريف : « نهى رسول الله

---

(١) الفضائل والأضداد : ص٣٥ وانظر كنز العمال : ج٣ ص٣٨٥ ح٧٠٦٦ .

(٢) الكافي : ج٥ ص٥٣٦ باب الغيرة ح١ .

أن يتبع عورات النساء وأن يتعنت بهن » .

وإن الكثير من حالات الطلاق في مجتمعاتنا كانت بسبب الغيرة أو لا أقل كانت بدايتها الغيرة المفرطة لما تتركه من الأثر الهدام على الأسرة .

يقول الصادق (ع) : « إياك والتغاير في غير موضع غيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب »[1] ولا تقتصر الغيرة على الرجل فان غيرة المرأة كذلك تؤدي إلى عواقب وخيمة لذلك نرى الرسول (ص) اعتبر صبر النساء على الغيرة بمثابة الجهاد ففي الحديث « كتب الجهاد على رجال أمتي ، والغيرة على نسائها فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها الله أجر شهيد »[2] .

هـ ـ عدم التقدير وطلب المستحيل :

تقدير الزوجين لجهود بعضهما البعض يساعد على رفع الروح المعنوية ، ويعطيهما دافعا نحو العمل المثمر ، ولكننا نرى في بعض الأسر الخدمة التي يؤديها أحدهما لا تنال اعجاب الآخر أو تقديره مهما حاول ارضائه ، فهذه الزوجة تعمل طوال اليوم في المنزل ، تنظف ، وترتب وتهيّء الجو لرجوع الزوج وسماع كلمة ثناء أو ابتسامة بينما الزوج عكس ذلك لا يعجبه كل هذا ، يرى أنها لم تهيّء له وسائل الراحة وأنها كان يجب عليها أن تعمل كذا وكذا وأن هذا الأكل غير مطبوخ بالطريقة السليمة ، ولباسه لم يكوى حسب رغبته ، ويتهمها بعدم الفهم ، وعدم القدرة على ادارة شؤون المنزل ، ومهما جاهدت لتحقيق رغباته فهو غير قانع ويتوقع أكثر من ذلك ، حتى وإن كان لا يجاهر بهذا فإنما يكفي المرأة كثرة الشكوى والتذمر والعتاب من الزوج حتى تحس بالضيق ، وأن هذا الانسان غير قنوع ولا يفهمها مهما تعبت هي بالمنزل وتكون

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٣١ .

(٢) دعائم الاسلام : ج٢ ص٢١٧ ح٨٠٦ .

النتيجة ضعف همتها في العمل ، ثم تبدأ المشاحنات .

لقد جاء في أحد الأساطير أن امرأة قروية كانت تصنع الطعام كل يوم لرجال عشيرتها ، ولكنها أتت ذات مرة بمقدار من علف الماشية ووضعتها أمامهم بدلا عن الطعام ، فصرخ الرجال في وجهها ، وقد حسبوا أن قد مسّها الجنون ، فما كان منها إلا أن قالت لهم : وما أدراني انكم ستلاحظون الفارق ، ولم أكن أعرف أنكم بشر ، وأنكم ستفرقون بين الطعام وبين العلف ، وأضافت : لقد ظللت أطهو لكم الطعام عشرين عاما ، فلم أسمع منكم طوال هذه المدة ما يطمئنني إلى أنكم تفرقون حقا بين الطعام وعلف الماشية .

وكذلك بالنسبة للزوجة تراها مثلا دائمة التذمر من الزوج ، وأينما جلست بدأت بشرح وضعها السيء (كما تظن) للآخرين ، فزوجها مثلا لا يساعدها في العمل بالمنزل ، وزوجها لا يقدرها ، هكذا تنشر سمومها داخل الأسرة .

قال رسول الله (ص) : « من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وان صامت الدهر وقامت ، واعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله ، وكانت أول من ترد النار »[1] .

وقال رسول الله (ص) : « أيما امرأة أختلعت من زوجها لم تزل في لعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين حتى إذا نزل بها ملك الموت قال لها : ابشري بالنار ، وإذا كان يوم القيامة قيل لها : ادخلي النار مع الداخلين »[2] .

ويقول أحد العلماء : « لقد أتاني ذات يوم شاب وقال : قبل الزواج كنت أعشق زوجتي ، وكنت أحب النظر إلى باب دارها ، وأي شيء يتعلق بها ، ولكن بعد الزواج ، أتعجب كيف كنت أحبها ، واليوم لا أطيق النظر اليها ، ولا

---

(١) وسائل الشيعة : ج١٤ ص١١٦ الباب ٨٢ من ابواب مقدمات النكاح ح١ .
(٢) ثواب الأعمال وعقابها : ص٣٣٥ .

أدري لماذا؟ فقلت له : إن الحب بينك وبينها لم يتحول إلى علاقة انسانية ، وإنما بقيت العلاقة ميكانيكية ومثل هذه العلاقة ليست ناجحة في الانسان » .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (١) .

و ـ المثالية في المعاملة :

يعتقد البعض أن العلاقات الزوجية يجب أن تكون دقيقة ، دقة الساعة ويريد لتلك العلاقة أن تعمل كالآلة لا تحيد يميناً أو يساراً قيد أنملة ، فمن الصباح هناك مراقبة دقيقة لتحركات الآخر ومحاولات تصيد الخطأ في تصرف ما ، الابتسامة لم تكن صادقة ، الترحيب لم يكن حارا ، اللقاء لم يكن ساخناً وهكذا ، فهذا الانسان ينسى أنه يتعامل مع انسان آخر له صفاته الانسانية من تعب وسأم وضيق ورخاء وغير ذلك من الصفات الانسانية التي يمكن أن تؤثر بشكل أو بآخر ، فلا داعي لتفسير كل تصرف بخطأ مقصود من جانب الطرف الآخر ، وأما المثاليات في العلاقات فغير ممكنة عند الانسان الذي هو مزيج من الصفات الانسانية .

ز ـ المنة في التعامل :

وظائف وأعمال الأسرة مقسمة بين الزوجين فعلى الرجل كسب الرزق خارج المنزل ، وعلى الزوجة العمل داخل البيت ولكن تقتضي الحاجة أن يؤدي أحد الطرفين خدمة للآخر ويساعده في عمل ما ، فالزوج يساعد الزوجة في الأعمال المنزلية ، أو أن الزوجة تعمل خارج المنزل لمساعدة الزوج في حالة بعض الصعوبات المادية ، فهذا دليل على رضا النفس ، وعلامة المحبة المتبادلة بين الطرفين ، ولكن تكون المشكلة عندما يمنّ احدهما على الآخر

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٢١

لأنه ساعده في هذا العمل ، فالزوج كثيراً من يمنّ على زوجته اذا ساعدها في عمل منزلي بسيط ، ويذكرها بذلك دائماً وأبداً ، أو أن الزوجة تذكر الزوج دائماً أنها تساعده في تحمل الأعباء الاقتصادية ، وكلما قال الزوج شيئاً أجابته ـ لا تنسى إنني أساهم بتقديم الأموال ـ أو أن جزءاً من البيت ملك لي ـ أنا وضعت في الديكور أموالي ـ النفس البشرية لا تقبل المنة والتحقير أبداً ، ويكون رد فعل الزوج شديداً أمام هذا التحقير ، ويتمنى لو لم تكن هذه المساعدة ومن ثم المنة .

لذلك نرى بعض الروايات تحذر من خطورة ذلك ، عن الرسول (ص) : « لو أن جميع ما في الأرض من ذهب وفضة حملته المرأة إلى بيت زوجها ثم ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام ، وتقول : من أنت؟ انما المال مالي ، حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس إلى أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها »[1] .

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ سمعت رسول الله (ص) يقول : « أيما امرأة منت على زوجها بمالها وتقول إنما تأكل أنت مالي ، لو أنها تصدقت بذلك المال في سبيل الله لا يقبل الله منها إلا أن يرضى عنها زوجها »[2] .

حـ ـ سوء الخلق في العلاقات :

بالأخلاق الحسنة يستطيع الانسان أن يحل أصعب المشاكل ، ويذلل أكبر المصاعب ، ويكون أفضل العلاقات والروابط سواء كان هذا داخل الأسرة أو في المجتمع ، وكما أن لحسن الخلق تأثيراً ايجابياً فان تأثير سوء الخلق يكون سلبيا .

(١) مكارم الأخلاق : ص٢٠٢ .
(٢) مكارم الاخلاق : ص٢٠٢ .

قال الامام علي (ع) : « ما يقوم المؤمن على الله تعالى بعمل بعد الفرائض أحب الى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه »[1] .

فمن الممكن أن يكون أحد الزوجين سيء الخلق مشاكس .

وقال (ص) : « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم »[2] .

وأحياناً يصب الزوج جام غضبه على زوجته ، فهو بذيء اللسان ، سيء العشرة يثور ويغضب لأتفه الأسباب ، دائماً معكر المزاج ، والويل اذا لم تجرِ الأمور حسب مشتهياته ورغباته ، كتأخر اعداد الطعام مثلا ، أو أن الملح قليل ، فتراه يصرخ ويزجر أو يستعمل الكلمات البذيئة الجارحة ، فماذا نتوقع من علاقة كهذه؟ وكيف يكون أثرها على مسيرة الأسرة؟ وقد تكون الزوجة كذلك فما أن يدخل الزوج البيت حتى تبدأ الزوجة بالشكوى والتذمر من كل شيء ، الجيران قالوا هكذا ، والدتك سيئة ، الأطفال عملوا كذا أو تراها لأقل سبب تسب وتلعن أما على الزوج أو على الأطفال أو الجيران .

وعندما يرى الزوج هذه الأخلاق السيئة يبحث عن أقل عذر للخروج من المنزل والبحث عن الهدوء والراحة بين الأصدقاء والديوانية ، ويعوض عن هذا النقص بتكوين علاقات أخرى خارج الأسرة .

ط ـ عدم التوافق الجنسي :

إن التوافق الجنسي بين الزوج والزوجة من القضايا المهمة في الحياة

---

(١) الكافي : ج٢ ص١٠٠ باب حسن الخلق ح٤ .
(٢) مكارم الأخلاق : ص٢١٤ .

الزوجية ، ويخطأ من يعتبرها قضية هامشية ، فالكثير من حالات الطلاق والهجرة تبدأ من هذه القضية ، فلا بد من الطرفين أن يفهمان قضايا الجنس تفهماً كاملاً حتى لا تصبح مثاراً للقلق والحيرة العقلية ، والنفسية ، والعاطفية ، لذلك وجب على الزوج أن يدرس طبيعة زوجته بدقة ويحترم مشاعرها ، وعلى الزوجة كذلك أن تصارح زوجها بكل ما يتعلق بهذه القضايا ، حتى يتم التوافق والانسجام الكامل ، ونلاحظ أن هناك الكثير من التعاليم الاسلامية في هذا المجال مما يرتبط باختيار الزمان والمكان وغيرها[1] .

ثالثاً : الأسباب الثقافية :

نقصد بالثقافة كل ما اكتسبه المرء من أفكار ورؤى وعلوم سواءاً من الأسرة أو المجتمع أو دور العلم .

ولكل مجتمع معالم معينة ، فثقافتنا ينبغي أن تكون أسلامية ، ولكن مستوى هذه الثقافة الاسلامية تختلف من أسرة لأخرى ، ولذلك يحدث أن تكون الزوجة والزوج على مستويات مختلفة وتباين في العلم والثقافة ، مما يؤدي للاختلاف في وجهات النظر والآراء ولذلك يصعب التفاهم في المواضيع المشتركة وخاصة إذا لم تكن النية حسنة في التعامل ، كالتمسك بالجدال السيء وفرض الآراء دون السعي لأن يفهم كل منهما الآخر ، ويتهم كل منهما الآخر بالجهل وعدم الفهم ويتشبث كل برأيه .

فإذا كان أحدهما قد نشأ في أسرة متعلمة ومؤمنة ، وقد تربى على المبادىء الخيرة ، وتعلم سبل الحياة وفق المنهج السليم بينما الآخر قد نشأ بلا تربية هادفة أو مسؤولة في مثل هذه الحالة يجب ألا نستفزه إذا كان الاختلاف في آرائهما شديداً .

---

(١) في العلاقات الزوجية ـ المدرسي .

التقليد الأعمى :

بعد ابتعاد الكثير عن مناهج السماء وقوانين الاسلام في مختلف المجالات ومنها في علاقات الأسرة وبعد أن أخذوا يتمسكون بتقاليد وأعراف لا صلة لها بالدين الاسلامي ، ركضا وراء كل ما هو أجنبي ظنا منهم أنه هو الصواب ، وانصاعوا للتقليد الأعمى وقراءة الكتب التي تبشر بالثقافات الغربية ، بعد ذلك بدأ الانحراف ينخر في سلوكهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية والأسرية[١] .

وقد كان بذور هذا الانحراف قد انتشر بين أوساط شبابنا المسلم الذي يذهب إلى الغرب للدراسة ، وعند العودة يحمل معه مخلفات الثقافة الغربية ، فالبعض منهم مثلا يرى من الممثل الفلاني القدوة التي يقتدي بها أو أن طريقة حياتهم يجب أن تكون حسب الفيلم الذي رآه وتأثر به ، أو يريد من علاقة زوجته بأصدقائه أن تكون كما رآه في العائلة الغربية ، التي سكن عندهم عندما كان يدرس هناك ويحاول أن يطبق هذا الشيء في علاقاته الأسرية .

والتباين الثقافي السابق كما ذكرنا يسبب عدم القدرة على الاتفاق في الآراء وايجاد الحلول للمشاكل المشتركة ، كتربية الأطفال وغيره ، وهكذا تضيع القضايا بين الزوجين وتبقى المشاكل بدون حل تتراكم على رؤوس أفراد الأسرة ، إلى أن ينفجر هذا التراكم في يوم من الأيام على شكل عراك ومشاكل كبيرة بين الزوجين .

رابعاً : الأسباب الاقتصادية :

يحدث أحياناً أن تتحول العلاقة بين الزوجين من علاقة روحية ومعنوية

---

(١) الزواج في الاسلام ـ مجيد الصيمري .

إلى علاقة مادية بحتة ، ويبدأ كل منهما يحاسب الآخر في الأموال وكأنهما يعيشان في بنك وليس تحت ظل العلاقات الزوجية ، بل ان هناك الكثير ممن يظن أن أساس كل العلاقات مادية ، وسبب كل المشاكل المادة ، وإذا توفرت هذه المادة فلا تنشأ المشاكل أبداً .

فإذا ما حدث سوء تفاهم من قبل الزوجة يرى حل ذلك في أن يغدق عليها المال الكثير ، أو كما يقال ـ يسكتها بالفلوس ـ نعم شراء الهدايا حسن وجيد ولكن ليس هذا أساس حل المشاكل ـ أو عندما يزعل الابن يرى الأب أن ارضاءه يكون بالمال ـ إن هذا الانسان يحاول أن يحسن علاقته مع أفراد أسرته ليس عن طريق قوة الشخصية والعلاقة الحميدة ، بل عن طريق المال ، وبسلطته المادية يريد اثبات أنه راعي هذه الأسرة وسيدها ، وهذا أحد أسباب البذخ والتبذير الشديد الذي نراه في أسرنا .

ومن ناحية أخرى نشاهد حالة الجري الدائم خلف المال ، فالرجل منذ الصباح وحتى المساء يعمل ويكدس هذه الأموال ، ونتيجة ذلك يبقى أكثر وقته خارج المنزل ولا تراه الأسرة إلا نادراً عند الأكل أو النوم ، وعندما تتذمر الزوجة من ذلك يجيب أليس من أجلكم أعمل كل هذا .

إن هذا الابتعاد الكثير والغياب الطويل عن الأسرة يسبب البرود في العلاقة بين الزوجين ـ وطبعا نحن لا نتكلم عن ما تستدعيه الحاجة والضيق المالي إلى هذا الاجراء ـ وكذلك قد ينطبق ذلك على المرأة التي تخرج أحيانا للعمل خارج الأسرة وتنسى دورها الأساسي والمهمة الرئيسية الملقاة على عاتقها داخل الأسرة ، ومن جراء ذلك تحس أن لها مكانة مالية داخل الأسرة ولها الحق في التصرف بشؤون الأسرة ، حيث أنها تشارك في كسب المال ويتنازع الطرفان على من يقود دفة الأسرة ، فاذا اقتضت الحاجة أن تعمل الزوجة خارج المنزل

يجب أن تكون على أساس التفاهم أولاً بحيث لا تضيع دورها الأساسي في الأسرة .

خامساً : اللاهدفية من الزواج :

نستطيع أن نقول أن خلاصة كل ما سبق انما هو عدم وجود هدف من الزواج ، فكثيراً من الأحيان تسأل لماذا تزوجت تراه يقف متحيراً لا جواب لديه بل يتعجب من سؤالك ، كيف؟ لماذا؟ انه تزوج لأنه في سن الزواج ، وأنه وصل مرحلة البلوغ ، وأن والدته قالت له أنه يجب أن يتزوج ، ولقد اختارت له الزوجة ، أما ماذا يريد أن يحقق من ذلك؟ ما هي أهداف هذا الزواج؟ كيف تكون العلاقة الزوجية؟ إنها أشياء لم تخطر على باله أبداً ، فهو يتزوج كما يتزوج الباقون . . . إن الرابطة التي تبدأ هكذا تنتهي بالمشاكل السابقة التي ذكرناها ، فلو أن الانسان عرف حقيقة ومقام الزواج في الاسلام وقرأ قليلاً عن العلاقة بين الزوجين لما حدثت هذه المشاكل ، فعن الرسول (ص) : « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله »[1] .

ما ذكرناه بعض الأسباب التي تؤثر على علاقة الزوجين ببعضهما سلبياً وتعكر صفاء وهدوء الأسرة ، وبدل أن يكون البيت سكناً وراحة لأفراد الأسرة يتحول إلى سجن يحاول كل واحد الهروب منه ، والبحث عن راحته في أجواء أخرى ، فتفقد الأسرة مقوماتها ومبادئها التي من أجلها حثّ الاسلام الحنيف لتكوين الأسرة .

(١) المحجة البيضاء : ج٣ ص٥٤ .

عوامل استقرار العلاقات في الأسرة

إذا كانت العلاقات في الأسرة مبنية على أسس سليمة ويعيش أفرادها في جو من الاستقرار والوئام ، فإنها ستكون مدرسة تخرج العظماء من الرجال ، وهناك عوامل تعتبر أساسية لبناء العلاقات في الأسرة ، خاصة بين الزوجين وهي ركـائز أسـاسية نستشف من خـلالها الـوسائـل والأساليب للبنـاء الأفضـل في العلاقات ، وبها يستطيع الزوجان تفادي المشاكل التي قد تحصل بينهما :

١ ـ عامل العقيدة والثقافة :

كل تجمع وعلاقة مشتركة بحاجة للارتكاز على قواعد ومبـادىء ينطلق منها ، وتنظم له حياته ، ونحن المسلمون يجب أن تكون كل أعمالنا وتصرفاتنا وفق مناهج السماء والرسالة الاسلامية ، وخاصة في الزواج فبناء هذه العلاقة يجب أن تكون على أساس العقيدة الاسلامية .

ومن لم يعجبه منهج الاسلام في علاقتـه مع زوجتـه فقد سلك طـريق الهاوية وختمها بالدمار .

ثم ان الزواج ليس مرحلة عشوائية مؤقتة ، وليس مجرد تجربة وتسلية

بلا هدف ولا مسؤولية ، إن الاسلام أعطى لقضية العلاقات وتكوين الأسرة أهمية كبيرة .

يقول الرسول (ص) : « ما من شيء أحب إلى الله عزّ وجلّ من بيت يعمر في الإسلام بالنكاح »[1] .

ولنا في ذلك الزواج وتلك الأسرة الطاهرة المطهرة خير عبرة ومثال وهو زواج فاطمة الزهراء (ع) من الامام علي (ع) إنه زواج وفق القيم الاسلامية في جميع جوانبه ، فأصبح النموذج المتكامل لكل زيجة ، حتى أن الطريقة التي اتبعت في زواجهما (ع) أصبحت سنة مندوبة في الفقه الاسلامي ، لأنه كان صورة مجسدة لتعاليم الاسلام .

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[2] .

٢ ـ معرفة الحقوق والواجبات :

إن التمسك بالحقوق والواجبات يجلب الخير لأفراد الأسرة ، فبالحقوق والواجبات يعرف كل من الزوج والزوجة مسؤوليتهما تجاه الآخر ، وبهذه الحقوق يستتب النظام داخل الأسرة ، فلا يحق لأحد أن يتصرف، حسب أهوائه ويغرق الأسرة في بحر من المزاجية ، حيث أن اتباع الحقوق يساعد على الاستقرار والأمان داخل الأسرة . وتتضح معالم التعامل ضمن اطار من الواجبات والحقوق ، وأخيراً يساعد على إيجاد العدالة في الأسرة ، فكل فرد يعلم حدوده ويحاول ألا يتجاوز هذه الحدود .

---

(١) الكافي : ج٥ ص٣٢٨ باب الحص على النكاح ح١ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

٣ ـ المعاملة الحسنة :

العلاقات في الأسرة بين الزوجين قامت لكي تستمر مدى الحياة ، فهي ليست علاقة مؤقتة ليوم أو يومين ، بل انه اتصال مدى العمر ، وفي مسيرة الحياة الصعبة يحتاج الانسان إلى رفيق حياة يؤنسه ، ويسكن اليه ، ويشترك معه ، ويؤازره في مصائبه ، ولاستمرار هذه العلاقات يجب أن تكون المعاملة بين الطرفين بالحسنى ، ووفق الأخلاق الاسلامية الحميدة يقول الله سبحانه وتعالى : **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**[١] .

قال الامام علي (ع) : « بحسن العشرة تدوم الوصلة »[٢] .

« بحسن العشرة تدوم المودة »[٣] .

« بحسن العشرة تستديم المودة »[٤] .

« بحسن العشرة تأنس الرفاق »[٥] .

وهناك ثلاثة نماذج (صور) للعلاقات كما ورد في الحديث السابق .

أ ـ علاقة المودة والرحمة :

كي لا يتحول الزواج إلى علاقة مادية بحتة يؤكد الله بالآية الكريمة على السكن **﴿لتسكنوا اليها﴾** والمودة والرحمة كطابع يطبع الحياة الزوجية في مفهوم

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٢١ .
(٢) غرر الحكم : ج١ ص٣٣٣ ح٩٢ (ط . ايران) .
(٣) غرر الحكم : ج١ ص٣٣٠ ح٢٢ (ط . ايران) .
(٤) غرر الحكم : ص٢٥٩ ح٤٨٩٨ (ط . بيروت) .
(٥) غرر الحكم : ج١ ص٣٣١ ح٥٥ (ط . ايران) .

الاسلام ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ حيث تنطلق العلاقة من مبدأ انساني رحب يشعر فيه كل طرف أنه مشدود إلى الآخر برباط المودة والرحمة .

قال رجل للنبي (ص) : أحب أن يرحمني ربي .

قال : « ارحم نفسك ، وارحم خلق الله يرحمك الله »[1] .

إن الحب المتبادل هو أساس التعامل في الحياة الأسرية ، وهذا الحب المتبادل تقوية لرباط الزوجية وتدعيم لكيان الأسرة ، لأنه يبعد الزوجين عن الكراهية وحب النفس وسوء الظن والغيرة المفرطة .

ب ـ الكلمة الطيبة :

﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ كانت دائماً وسيلة لتهذيب النفس وتذويب الفوارق والبغضاء ، والمسلم لا يتنابز بالألقاب ، فالسب والشتم واللسان البذيء أمور غير مقبولة من المسلم أينما كان ، فكيف به وهو بذيء الكلام مع زوجته وأسرته ، فهي من أسوأ الصفات ، لقد فصل أحد القضاة في أربعين ألف قضية خلاف زوجي ، وبعدها قال هذه الجملة (إنك لتجد التوافه ـ دائما ـ في قرارة كل شقاء زوجي) فاغفال الزوجة لعبارة (مع السلامة) مثلاً تقولها لزوجها وهي تلوح بيديها أثناء انصرافه إلى عمله في الصباح ، أمر تافه ، ولكنه كثيرا ما يؤدي إلى الطلاق .

ولقد دعانا النبي والأئمة (عليهم السلام) لاستعمال الكلمة الطيبة في علاقاتنا داخل الأسرة ، وقال (ص) : « خير الرجال من أمتي الذين لا يطاولون على أهليهم ويحنون عليهم ولا يظلمونهم »[2] قال رسول الله (ص) : « إن

---

(١) كنز العمال : ج١٦ ص١٢٨ ح٤٤١٥٤ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص٢١٦ .

الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه »[1] .

جـ ـ الرفق واللين في المعاملة :

قال (ص) : « الرفق نصف المعيشة »[2] .

من الحديث السابق نرى أن الاسلام يدعو للرفق وحسن المعاملة .

يقول الرسول (ص) : « ألا أخبركم بشر نسائكم قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من شر نسائكم الذليلة في أهلها العزيزة في بعلها »[3].

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « لكل دين خلق وخلق الايمان الرفق »[4] .

فالمعاملة الشديدة العنيفة والحدة في التصرفات من طرف الزوج أو الزوجة يسبب فساد العلاقة بينهما .

قال الامام زين العابدين (ع) : « وأما حق الزوجة فان تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكنا وأنسا فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها ، وان كان حقك عليها أوجب فان لها عليك أن ترحمها »[5] .

٤ ـ التفاهم والمشاركة :

كل أسرة معرضة أن تجابه المشاكل والصعاب سواءا على صعيد العلاقة بين الزوجين أو على صعيد علاقة الأسرة بالمحيط الخارجي ، ومن المشاكل

---

(١) الكافي : ج٢ ص١١٩ باب الرفق ح٦ .
(٢) بحار الأنوار : ج٦٨ ص٣٤٩ ح١٩ .
(٣) مكارم الأخلاق : ص٢٠٢ .
(٤) غرر الحكم : ص٣٧٧ ح٧٣٧٤
(٥) مكارم الأخلاق : ص٤٢٠ .

التي ارتفع معدلها بين الزوجين هو وجود الفروقات والتباين (الشكلي) بينهما كما ذكرنا في السابق ، والاسلام دعا إلى نبذ هذه الفروقات السطحية والفهم الواعي والمسؤول لكل منهما الآخر **﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله بكل شيء عليم﴾**[1] .

قال الامام الصادق (ع) : « إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها وان لم يكن في طبعه ذلك معاشرة جميلة ، وسعة بتقدير ، وغيرة بتحصن »[2] .

فاذا عاش كل منهما ظروف الآخر وتفاعل مع حالته النفسية أمكن له أن يتعامل معه على أساس من التقدير لتلك الظروف ، والتباين والفرق الشخصي ، ولو عرف أن هناك حياة مرتبطة بحياة لها ظروف تختلف عن ظروف حياته ، وأن هذا الانسان يعيش معه أجواءاً فكرية وعاطفية لا تتفق بالضرورة مع الأجواء الفكرية والعاطفية التي كونت شخصيته ، فان ذلك يجسد التفاهم على أحسن صورة ، ويبعدهما عن الانانيات الذاتية التي تحطم العلاقة الزوجية عندما يحاول أحدهما استغلال الفروقات كوسيلة للقمع والضغط .

ثم إن الحياة الزوجية مد وجزر من سعادة وشقاء وفرحة ورخاء ونشوة ورخاء وتعب وراحة ، والزوجين يشاركان بعضهما البعض في تحمل أعباء الحياة عن رضى النفس ورغبة ، ولا يمكن أن يقال للمساعدة التي يقدمها أحد منهما للآخر بالمنة والترفع ، لأن هذه المساعدة تحطم العلاقات الزوجية ولا تبنيها .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٣٢

(٢) بحار الانوار : ج٧٥ ص٢٣٦ ح٦٣ .

استيقظ احد العلماء يوم من الأيام ، فوجد زوجته كانت ولا تزال راقدة على الفراش ، وقد أصيبت بمرض البرص في كل جسمها فتصور حالة الزوجة حين تكتشف بعد لحظات ان جمالها قد انتهى ، ولكي لا يحول البيت الزوجي إلى جحيم لا يجرح قلب زوجته ، أدعى قبل أن تكتشف الزوجة ما أصابها أنه أصيب بالعمى ، وحينما اكتشفت الزوجة ما أصيبت به خلال الليل أخفت ذلك عن زوجها اعتقاداً منها أنه قد أصيب بالعمى ، وهكذا عاش الزوجان في سعادة وصفاء ، بفعل اغماض الزوج ـ بهذه الطريقة ـ عما أصاب زوجته .

فاذا قام الزوج بمساعدة الزوجة في عمل ما يجب ألا يمن عليها في هذه الخدمة ، أو أن الزوجة تحاول أن تعكر صفو وهدوء الأسرة بالمنة الدائمة ، وكذلك عندما يحدث خلاف بسيط بينهما فلا يحاول كل منهما تقديم التنازلات المتبادلة من قبل الطرفين حتى يصفى الجو بينهما .

قال الامام امير المؤمنين (ع) : « جهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته »[١] .

وعن الامام الكاظم (ع) : « جهاد المرأة حسن التبعل »[٢] .

٥ ـ شخصية القائد :

إذا أردت أن تعرف العلاقات داخل الأسرة فانظر إلى رب الأسرة ، ما هي علاقته بزوجته؟ وما مدى قوة شخصيته؟ وكيف يتعامل مع أفراد أسرته؟ . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**﴾[٣] .

---

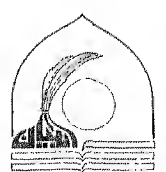
(١) الكافي : ج٥ ص٩ باب جهاد الرجل والمرأة ، ح١ .
(٢) مكارم الأخلاق : ص٢١٥ .
(٣) سورة النساء ، الآية: ٣٤ .

كل سفينة بحاجة إلى ربان ، وربان سفينة الأسرة هو الزوج ، فيجب أن يعطي أحقية القيادة ، ويجب أن يكون ذو شخصية قوية قادراً على ادارة شؤون الأسرة ، وعلاقاته بكل أفراد الأسرة متينة وقوية ، وتكون كلمته مسموعة ، أما إذا كان الأب ضعيف الشخصية بلا ارادة فلا تتوحد الآراء ولا الحلول ، ومن ثم تتشابك الأيدي لفرض الرأي الأقوى ، وتنتهي العلاقات بانفصال بين الـزوج والزوجة .

فما أكثر ما قرأنا وسمعنا أن الزوجة تطلب الطلاق وعذرها أن الزوج ليس له شخصية في الأسرة .

الفهرس

الموضوع .... الصفحة



دار البيان العربية
حارة حريك ـ خلف بنك بيروت والبلاد العربية : بناية سبيتي ط ٣ . ت٨٢١١٤٢ ـ ص . ب ٢٥/٩٧ و ١١٣/٥٧٨٩ بيروت ـ لبنان تلفاكس ٨٦٣٤٦١ تلكس BACHAIR LE ٢٢١٧